مختار الأغاني

في

الأخبار والتهاني

تأليف

جمال الدين محمد بن مكرّم الانصاري الخزرجي

الشهير بابن منظور ، مؤلف « لسان العرب »

المولود سنة ٦٣٠ ـ والمتوفى سنة ٧١١

قال صاحب كشف الظنون عند كلامه على الاغانى :

وقد اختار منها جماعة . . منهم جمال الدين محمد

ابن مكرّم الانصارى المتوفى سنة أحد عشر وسبعمائة ،

ومختاره مرتب على الحروف سماه (مختار الاغانى ،

فى الاخبار والتهانى) . انتهى

طبع بنفقة

حضرة الكتبي الشهير ، الفاضل الامجد السيد

محمد عزم الخشاب

المطبعة السلفية - بمصر

مختار الأغاني

في

الأخبار والتهاني

تأليف

جمال الدين محمد بن مكرّم الانصاري الخزرجي

الشهير بابن منظور ، مؤلف « لسان العرب »

المولود سنة ٦٣٠ ــ والمتوفى سنة ٧١١

قال صاحب كشف الظنون عند كلامه على الاغانى :
وقد اختار منها جماعة . . منهم جمال الدين محمد
ابن مكرّم الانصارى المتوفى سنة أحد عشر وسبعمائة ،
ومختاره مرتب على الحروف سماه (مختار الاغانى ،
فى الاخبار والتهانى) . انتهى

طبع بنفقة

حضرة الكتبي الشهير ، الفاضل الامجد السيد

محمد نديم الخشاب

المطبعة السلفية ـ بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

الحمد لله رب العالمين * وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال المصنف رحمه الله تعالى : أقدم هنا حكاية وجدتها في آخر مختصر من هذا الكتاب اختصره الرشيد أبو الحسين احمد بن الرشيدي الزبير وهي : « قال أبو محمد الحسن بن محمد المهلبي سألت أبا الفرج الاصبهاني : في كم جمع كتابه الأغاني ؟ فذكر أنه جمعه في خمسين سنة . وقال أبو الفرج : انه كتب الأغاني في عمره مرة واحدة ، وأهداه الى سيف الدولة ، فأنفذ له ألف دينار . ولما حُدّث الصاحب بن عباد بذلك ، قال : لقد قصر سيف الدولة وانه ليستحق أضعافها ، إذ كان كتابه مشحونا بالمحاسن المنتخبة ، والفقر الغريبة ، فهو للزاهد فكاهة ، وللعالم مادة وزيادة ، وللكاتب والمتأدب بضاعة وتجارة ، وللبطل رحلة وشجاعة ، وللمضطر رياضة وصناعة ، وللملك طيبة ولذاذة ، ولقد اشتملت خزائنى على مائة ألف وسبعة عشر ألف مجلد ، مافيها سميري غيره [1] ولا راقني منها سواه ، ولقد عنيت بامتحانه في أخبار العرب وغيرهم فوجدت جميع ما نفر عن أسماع من قرفه [2] بذلك قد أورده العلماء في كتبهم ، ففاز بالسبق في جمعه ، وحسن رصفه وتأليفه . ولله در ابى الفرج ، فلقد أبقى له به ذكراً لاينسى ، وبسط نمرقة لاتبلى ، ولقد جمل الدنيا بفضله الذي أظهره فيه ، فهو حقيق بتسميته (الحاوى) لا (الأغاني) . ولقد كان عضد الدولة لايفارقه في

---

(١) فى الاصل « ما فيها من هو سميرى » وصححناها من كشف الظنون ج ١ ص ٩٩ طبع بولاق (٢) في الاصل « ربه » وفى كشف الظنون « قرقه »

سفره ولا حضره ، ولقد كان جليسه الذي يأنس به ، وخدنه الذي يرتاح اليه ؛ فزاده بذلك شرفا الى شرفه ، ونبلا الى نبله . قال أبو جعفر محمد بن يحيى بن سرزاد : اتصل بي أن أصل أبي الفرج من مسودة الأغاني أخرجت الى سوق الوراقين لتباع وانها بلغت في النداء أربعة آلاف درهم ، وان أكثرها في ظهور وبخط التعليق ، وأنها اشتريت لأبي احمد محمد بن حفص

المختار من الاصول

روى أن الرشيد أمر المغنين أن يختاروا له مائة صوت ، فاختاروها . ثم أمرهم باختيار عشرة منها فاختاروها . ثم أمرهم باختيار ثلاثة منها فاختاروها * من الثلاثة فى شعر أبي قطيفة :

القصر والنخل فالجماء منزلة أشهى الى القلب من أبواب جيرون

ومنها فى شعر عمر بن أبي ربيعة :

تشكّى الكميت الجرى لماجهدته وبيّن لو يسطيع أن يتكلما

ومنها فى شعر نُصيب :

أهاج هواك المنزل المتقادم نعم وبه ممن شجاك معالم

وذكر جحظة ان من الثلاثة الاصوات فى شعر المجنون :

اذا ما طواكِ الدهر ياأم مالك فشأن المنايا القاضيات وشانيا

يقال : ان هذه الثلاثة الأصوات على تلك الطرائق لا تبقى نغمة فى الغناء إلا وهي فيها * قال ابراهيم بن المهدي : أمر الرشيد المغنين أن يختاروا له أحسن صوت غنى فيه ، فاختاروا له لحن ابن محرز فى شعر نصيب :

أهاج هواك المنزل المتقادم نعم وبه ممن شجاك معالم

* * *

الصوت المختار في شعر أبي قطيفة :

القصر فالنخل فالجماء بينهما اشهى الى القلب من أبواب جيرون
الى البلاط فما حازت قرائنه دور نزحن عن الفحشاء والهون
قد يكتم الناس أسرارا فأعلمها ولا ينالون حتى الموت مكنوني

القصر الذي عناه هاهنا هو (قصر سعيد بن العاص) بالعرصة ، والنخل هو (نخل سعيد) بين قصره وبين (الجماء) وهي أرض كانت له فصار جميع ذلك لمعاوية بن أبي سفيان بعد وفاة سعيد ابتاعه من ابنه عمرو باحتمال دينه عنه ، وأبواب جيرون بدمشق . ويروى « حاذت قرائنه » [من المحاذاة] والقرائن دور كانت لسعيد بن العاص متلاصقة سميت بذلك لاقترانها . ونزحن بعدن . والمكنون المستور الخفي من السكن

فهذه الثلاثة الاصوات هي المختارة من كل صوت غني به . والله أعلم

***

الشرط في هذا الاختيار : ترك ذكر الاصوات ، وانما ذكرت هذه الثلاثة الأصوات منها لنكتة أنها مختار ما غني من الاصوات التي غني فيها . وما عسى أن تُطرب جودة التلحين مع سماجة هـذا الشعر ، فرحم الله أبا الفرج أين هو عن صناعة أهل العصر في تلحينهم واختيارهم له الشعر الرقيق الفائق ! ولقد غني في عصرنا قول في شعر أبي نواس ــ غناه شمس الدين بن بدل لغيره ــ :

غننا بالطلول كيف بلينا واسقنا نعطك الثناء الثمينا

فلو سمعه أبو الفرج شقق ثيابه ، ومزق كتابه ، وأضرب عن ذكر الغناء والاصوات ، وقال هيهات ! وغني أيضا في زماننا خفيف في شعر البحتري صنفه الامير شهاب الدين أحمد بن يغمور :

ضمان على عينيكِ انيَ لا أسلو وأن فؤادي من جوى بك لا يخلو
ولو شئت يوم البين بل غليله محب بوصل منك ان أمكن الوصل

وما النائل المطلوب منك بعوز لديك بل الاسعاف يعوز والبذل
أطاع لها دل غرير وواضح شتيت وقدٌ مفعم وشوى خدل
وألحاظ عين ماعلقن بفارغ فخلينه حتى يكون له شغل

لو طرق أذن الاصبهاني ، نسي اصبهان ، وقضى على سائر الألحان .
ولقد عرض على بعض امراء الدولة الظاهرية التركية نسخة من مصارع العشاق وكنت حاضراً عنده ، فارتجلتُ بديهاً :

ان جزتَ بسلع سل عن المشتاق ماذا صنعتْ به يد الاشواق
واستملِ حديث العشق من جيرته فالقوم رواة مصرع العشاق

وكان في المجلس بعض المغنين فأخذ آلته وأصلحها ولحنها في اسرع من نظمي وغناه فلم يبق في المجلس من لاغلبه الطرب واستفزّه ، وحركه السرور وهزه . وغنى أيضا في شعر لي :

وفاتن القد فاتر اللحظ أغيد حلو العتاب واللفظ
رضيت عن قسمة الزمان وقد أصبح من سائر الورى حظي

في تصنيف لو سمعه أحمد لأحمده ، أو معبد لاستعبده ، صنفه شمس الدين بن بدل ولعمري كما ينبغي أن تتخير الألحان المعجبة . لذلك ينبغي أن يتقدم باختيار الأشعار المطربة ، فان الشعر الطيب لو أورد ايراداً بغير تلحين بلغ في الاطراب مالا تبلغه صنعة المغنين ، وانما يستدرك بالألحان بعد اللذة بالمعاني العجيبة والأشعار الغريبة ، فحينئذ تجتمع اللذتان ، ويتضاعف الطربان . ولم أذكر هذه النبذة إلا لأن زماننا — وان قصرت قدرة أهليه عن قدرة أهل ذلك الزمان — فيه من الاخوان المتنوعين في التنعم والتلذذ مالو تكمل بالامكان لشغل أهليه باخوانهم عن ذلك الزمان واولئك الاخوان

حرف الألف

﴿ أبو العتاهية اسماعيل ﴾

أبو العتاهية لقب غلب عليه . وهو اسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان وكنيته أبو اسحق وأمه أم زيد بنت زياد المحاربي مولى بني زهرة . وفي ذلك يقول أبو قابوس النصراني وقد بلغه ان أبا العتاهية فضل عليه العتابى فقال :

قل للمكنى نفسه   متخيراً بعتاهيه
والمرسل الكلم القبيح   وعته أذن واعيه
ان كنت سراً سؤتني   أو كان ذاك علانيه
فعليك لعنة ذي الجلا   ل . وأم زيد زانيه

أم زيد هى أم أبي العتاهية . ومنشؤه في الكوفة وبها تأدب ، وكان في أول أمره يتخنث ويحمل زاملة المخنثين . وكان يبيع الفخار بالكوفة ثم قال الشعر وبرع فيه فتقدم ، ويقال أطبع الناس بشار والسيد وأبو العتاهية . وما قدر أحد قط على جمع شعر هؤلاء الثلاثة لكثرته . ومن شعر أبي العتاهية :

كل يحاول حيلة يرجو بها   دفع المضرة واجتلاب المنفعه
والمرء يغلط في تصرف حاله   ولربما اختار العناء على الدعه

وكان لطيف المعاني ، سهل الالفاظ ، كثير الافتنان ، قليل التكلف ، غزير البحر ، إلا أنه كثير الساقط المرذول مع ذلك . وأكثر شعره في الزهد والامثال . وكان ينسب الى القول بمذهب الفلاسفة ممن لا يؤمن بالبعث ، ويحتجون بأن شعره انما هو في ذكر الموت والفنا ، دون ذكر النشور والمعاد . وله أوزان ظريفة قالها مما لم يتقدمه الاوائل فيها ، وكان من أبخل

الناس مع يساره وكثرة ما جمعه من الاموال . وكان سبب تكنيه بأبي العتاهيه ان المهدى قال له يوما أنت متحذلق معته . فاستوت له من ذلك كنية غلبت على اسمه وسارت في الناس . قال ويقال للرجل المتحذلق عتاهية كما يقال للرجل الطويل شناحية . ويقال أبو عتاهية بغير ألف ولام . وقيل كنى بذلك لأنه كان يحب الشهرة والمجون . فكنى لعتوه بأبي العتاهية . وكان محمد بن أبي العتاهية يذكر أن أصلهم من عنزة وأن جدهم كيسان كان من أهل عين التمر فلما غزاها خالد بن الوليد كان جدهم كيسان هذا يتيما صغيراً فكفله قرابة له من عين التمر (١) فسباه خالد مع جماعة صبيان من أهلها . ووجه بهم الى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فوصلوا اليه بحضرة عباد بن رفاعة العنزي أحد بني معدم ابن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار . فجعل أبو بكر رضي الله عنه يسأل الصبيان عن أنسابهم ، فيخبره كل واحد منهم بمبلغ علمه . حتى سأل كيسان فذكر أنه من عنزة . فلما سمعه عباد يقول ذلك استوهبه من أبي بكر رضى الله عنه وأنه قد صار خاصاً له فوهبه له فاعتقه فتولى عنزة . مندل وأخوه فقيهان من بني عمرو بن عامر فظن من تقدم عنزة . وكانا من سادات أهل الكوفه (٢) . قال أبو دؤيل مصعب بن برد : لم أرقط مندل بن علي وأخاه حيان بن علي غضبا من شيء الا يوماً واحداً دخل عليهما أبو العتاهية فقال لهما : من أنا ؟ وهو مضمخ بالدماء (٣) . فقالا له : انت أخونا وابن عمنا ومولانا . فقال : ان فلاناً الجزار قاتلني وزعم أنني نبطي فان كنت نبطياً هربت على وجهي والا فقوما وخذا لي بحقي . فقام معه مندل بن علي وما تعلق نعله غضباً . وقال : والله لو كان حقك على علي بن عيسى (٤) لأخذته لك منه . ومر

(١) في الاغاني من «عنزة» (٢) من اول قوله « مندل» الى هنا غير موجود في نسخة الاصل (٣) هنا زيادة ليست في كتاب الاغاني وهي « فقال لهما ميراثنا » (٤) كذا في الاصل . وفى الاغانى على عيسى بن موسى

معه حافياً حتى أخذ له بحقه

وقيل : ابو العتاهية مولى عطاء بن محجن العنزي وكان أبو العتاهية وابراهيم الموصلي من أهل المذار ، وكان أبو العتاهية وأهله يعملون الجرار الخضر ، فقدما الى بغداد ، فنزل ابراهيم الموصلي بغداد ، ونزل أبو العتاهية الحيرة

وولاء أبي العتاهية من قبل أبيه لعنزة ، ومن قبل أمه لبني زهرة ثم لمحمد ابن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص . وكانت أمه مولاة لهم يقال لها (أم زيد) ، قال الخليل بن أسد وكان أبو العتاهية [يأتينا ف] يستأذن ويقول : ابو أسحق الخزاف . وكان أبوه حجاما من أهل ورجة ولذلك يقول أبو العتاهية :

ألا إنما التقوى هو العز والكرم ‌ ‌ ‌ وحبك للدنيا هو الفقر والعدم
وليس على عبد تقي نقيصة ‌ ‌ ‌ إذا صحح التقوى وإن حاك أو حجم

قال محمد بن أبي العتاهية : جاذب رجل من كنانة أبي أبا العتاهية في شيء ففخر عليه الكناني واستطال بقوم من أهله . فقال أبو العتاهية :

دعني من ذكر أب وجد ‌ ‌ ‌ ونسب يعليك سور المجد
ماالفخر الا في التقى والزهد ‌ ‌ ‌ وطاعة تعطى جنان الخلد
لابد من ورد لأهل الورد ‌ ‌ ‌ إما الى ضحل وإما [عدّ]

وكان مذهب أبي العتاهية التوحيد وأن الله [خاق جوهرين] وهذان متضادان لامن شيء . وبني هذا العالم هذه البنية منهما وان العالم حديث العين والصنعة لامُحدث له الا الله تعالى ، ويزعم أن الله تعالى سيعيد كل شيء الى الجوهرين المتضادين قبل أن تفنى الأعيان جميعاً . وكان يذهب الى أن المعارف واقعة بقدر الفكر والاستدلال والبحث طباعاً . وكان يقول بالوعيد وبتحريم المكاسب ، ويتشيع على مذهب الزيدية لا يتنقص أحداً ولايرى مع ذلك الخروج على السلطان ــ وكان مجبراً . قال أبو العتاهية لثمامة بين يدي المأمون

ـ وكان كثيراً مايعارض في الاجبار ـ : أسئلك عن مسئلة . فقال له المأمون : عليك بشعرك . فقال : ان رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في مسئلته ويأمره بأجابتي . فقال : أجبه إذا سألك . فقال : أنا أقول ان كل مايفعله العباد من خير وشر فهو من الله تعالى وأنت تأبى ذلك . فمن حرك يدي هذه ؟ وجعل ابو العتاهية يحرك يده . فقال له ثمامة : حركها من امه زانيــة . فقال : شتمني والله يا امير المؤمنين . فضحك المأمون : وقال له ألم آمرك أن تشتغل بشعرك وتدع ماليس من عملك . قال ثمامة : فالقيني بعد ذلك فقال : يا أبا معن ماأغناك الجواب عن السفه . فقلت : إن من أتم الـكلام ماقطع الحجة ، وعاقب على الاساءة ، وشفى الغيظ ، وانتصر من الجاهل

وكان ابو العتاهية مذبذباً في دينه . فاذا سمع طاعناً عليه ترك اعتقاده إياه وأخذ في غيره . قال ابو الشمقمق : رأيت أبا العتاهيــة يحمل زاملة المخنثين . فقلت : مثلك يضع نفسه هذا الموضع مع سنك وقدرك وشعرك ؟ فقال : أريد أن اتعلم كيادهم واحفظ كلامهم

قال بشر بن المعتمر لابي العتاهية : بلغني انك لما نسكت جلست تحجم اليتامى والفقراء للسبيل . قال : نعم . قال : فما أردت بذلك ؟ قال أردت أن أغض (١) من نفسي حسبما رفعتني هذه الدنيا ، واضع منها ليسقط عني الـكبر واكتسب بما فعلته الثواب . وكنت أحجم الفقراء واليتامى خاصة . فقال له بشر دعني من تذليل نفسك بالحجامة فانه ليس بحجة لك ان تؤدبها وتصلحها بمـا تفسد به غيرها . هل كنت تعرف الوقت الذي يحتاج فيه من تحجمه الى اخراج الدم ؟ قال : لا . قال : فهل كنت تعرف مقدار مايحتاج كل واحد الى مايخرجه على مقدار طبعه مما اذا زدت عليه أو نقصت منه ضر المحجوم ؟ قال : لا .

(١) في الاغاني : أضع

قال فما أراك الا أردت أن تتعلم الحجامة على اقفاء اليتامى والمساكين

وكان حمدويه صاحب الزنادقة أراد أن يأخذ أبا العتاهية ففزع من ذلك فقعد حجاما . وقيل كان لابي العتاهية جارة تشرف عليه فرأته ليلة يقنت فروت عنه انه يكلم القمر . واتصل الخبر بحمدويه فمضى الى منزلها وبات ، وأشرف على أبي العتاهية فرآه يصلي ولم يزل يرقبه حتى قنت وصار الى مضجعه . فانصرف حمدويه خاسئا

ولما أخبر يحيى بن خالد أن أبا العتاهية نسك وأنه قعد يحجم اليتامى للأجر تواضعاً بذلك ، قال : ألم يكن يبيع الجرار قبل ذلك ؟ فقيل : بلى . قال : أما في بيع الجرار من الذل مايكفيه ويستغني به عن الحجامة ؟

قال أبو شعيب صاحب ابن أبي دواد قلت لابي العتاهية : القرآن عندك مخلوق أم غير مخلوق ؟ فقال لي : سألتني عن الله أو عن غير الله ؟ [قلت عن غير الله] فأمسك . ثم أعدت عليه فأجابني هذا الجواب نفسه . حتى فعل ذلك مراراً . فقلت له . مالك لاتجيبني ! فقال : قد أجبتك ولكنك حمار

وكان أبو العتاهية نظيفاً (١) أبيض اللون أسود الشعر له وفرة جعدة وهيئة حسنة ولباقة . وكان له عبيد من السودان ولاخيه زيد أيضا عبيد منهم يعملون الخزف في أتون لهم فاذا اجتمع منه الشيء ألقوه على أجير لهم يقال له أبو عباد من أهل طاق الجرار بالكوفة فيبيعه على يده ويرد فضله اليهم . وقيل بل كان يفعل ذلك أخوه زيد لاهو . وسئل عن ذلك فقال : أنا جرّار القوافي وأخي جرار التجارة . قال عبد الحميد مولى بني عجل : رأيت أبا العتاهية وهو جرار يأتيه الاحداث والمتأدبون ينشدهم أشعاره فيأخذون ماتكسر من الخزف فيكتبونها فيه ، وكان يهاجي والبة بن الحباب فقال فيه والبة :

(١) كذا في (الاغاني). وفي نسخة الاصل من هذا المختصر « قضيفا »

كان فينا يكنى ابا اسحاق وبها الركب سار فى الآفاق
فتكنى معتوهنا بعتاه (١) يالها كنية أتت باتفاق
خلق الله لحية لك لاتنـفك معقودة لدى الحلاق (٢)

قال النوشجانى : أتانى البواب يوما فقال : أبو اسحق الخزاف بالباب . فقلت ائذن له . فاذا أبوالعتاهية . فوضعت بين يديه قنو موز . فقال : قد صرت تقتل العلماء بالموز ، قتلت أبا عبيدة بالموز وتريد أيضاً أن تقتلنى به ، لا والله لا أذوقه . وكان أبو عبيدة قد رؤي خارجا من دار النوشجانى في شق محمل [مسجى] الا انه حيّ ، وعند رأسه قنو موز وعند رجليه قنو موز آخر . فذهب به الى أهله . فقال : لما دخلنا عليه نعوده ، وقلناله: ماسبب علتك ؟ فقال : هذا النوشجاني جاءني بموز كأنه أيور المساكين فأكثرت منه فكان سبب العلة . ومات في تلك العلة

وكان مصعب بن عبدالله الزبيري يقول : أبو العتاهية أشعر الناس . فقيل له : بأي شيء استحق ذلك عندك ؟ قال بقوله :

تعلقت بآمال طوال أي آمال
وأقبلت على الدنيا ملحّاً أي إقبال
أيا هـذا تجهز ا فراق الأهل والمال
فلابد من الموت على حال من الحال

قال مصعب هذا كلام حق لاحشو فيه ولا نقصان ، يعرفه العاقل ويقر به الجاهل . وكان الاصمعي يستحسن قول أبى العتاهية :

أنت ما استغنيت عن صا حبك الدهرَ أخوه
فاذا احتجت اليـه ساعة مجَّكَ فوه

(١) فى الاغانى « معتوبها بعتاه » (٢) في الاغانى « بداء الحلاق »

قال صالح السهروردى (١) أتيت سالماً الخاسر فقلت له : أنشدني لنفسك فقال : لا ولكني أنشدك لاشعر الجن والانس لأبي العتاهية. ثم أنشدنى له :

سكن يبقى له سكن ... مابهذا يؤذن الزمن
نحن في دار يخبرنا ... ببلاها ناطق لسن
دار سوء لم يدم فرح ... لامرىء فيها ولا حزن
في سبيل الله أنفسنا ... كلنا بالموت مرتهن
كل نفس عند ميتتها ... حظها من مالها الكفن
ان مال المرء ليس له ... منه إلا ذكره الحسن

قال محمد الانماطي : قلت لداود بن [زيد بن] رزين الشاعر : من أشعر أهل زماننا ؟ قال : أبو نواس . قلت فما تقول في أبي العتاهية ؟ فقال : أبو العتاهية أشعر الجن والانس . وقال عبدالله بن عبدالعزيز القمي (٢) : اشعر الناس أبو العتاهية حيث يقول:

ماضر من جعل التراب مهاده ... ان لاينام على الحرير اذا قنع

صدق والله وأحسن . قال المعلى بن عثمان : قيل لأبي العتاهية : كيف تقول الشعر ؟ قال ما أردته قط إلا مثل لى فأقول ما أريد . وأترك مالا أريد . وكان أبو العتاهية يقول : لو شئت أن أجعل كلامى كله شعراً لفعلت

جلس المهدي يوما للشعراء فاذن لهم وفيهم بشار وأشجع ، وكان أشجع يأخذ عن بشار ويعظمه ، وكان أبو العتاهية فيهم . فلما سمع بشار كلامه قال لاشجع : يا أخاسليم أهذا ذاك الكوفى المقلب (٣) فقلت : نعم . فقال : لاجزى الله خيرا من جمعنا معه . ثم قال له المهدي : أنشد . فقال بشار : ويحك ، ويقدم

(١) كذا في الاصل . وفي نسخة الاغاني الاميرية « الشهرزوي » ولعله محرف من « الشهرزورى » (٢) في الاغانى « العمري » (٣) كذا في الاغانى وفي المختصر « الملقب »

فيستنشد قبلنا أيضا ، فقلت : قد ترى . فأنشد :

ألا ما لسيدتي مالها   دلالا فأحمل ادلالها [1]

وإلا ففيم تجنت وما   جنيت سقى الله أطلالها

ألا ان جارية للامام   قدأسكن الحسن سربالها [2]

مشت بين حور قصار الخطى   تجاذب في المشي أكفالها [3]

وقد أتعب الله نفسي بها   وأتعب باللوم عذالها

فقال بشار : ويحك يا أخا سليم ، ما أدرى من أي أمريه أعجب : أمن ضعف شعره أم من تشبيبه بجارية الخليفة يسمعه ذلك بأذنه · حتى أتى على قوله :

أتته الخلافة منقادة   اليه تجرر أذيالها [4]

ولم تك تصلح إلا له   ولم يك يصلح إلاّ لها

ولو رامها أحد غيره   لزلزلت الارض زلزالها

ولو لم تطعه بنات القلوب   لما قبل الله أعمالها

وان الخليفة من بغض « لا »   اليه ليبغض من قالها

فقال بشار وقد اهتز طربا : ويحك يا أخا سليم أترى الخليفة لم يطر [5] عن فرشه طرباً لما يأتى به هذا الكوفى ؟

قال ابو عمرو القرشي لما قص منصور بن عمار على الناس بمجلس البعوضة قال ابو العتاهية : انما سرق منصور هذا الكلام من رجل كوفي . فبلغ قوله منصوراً فقال : ابو العتاهية زنديق اما ترونه لا يذكر في شعره قط لا الجنة ولا النار ، انما يذكر الموت فقط . فبلغ ذلك ابا العتاهية فقال فيه:

---

(١) في الاغاني « أدلا فاحمل .... » (٢) في الاغاني « الحب سربالها » (٣) كذا في الاغاني وفي المختصر « في الحسن أكفالها » (٤) في المختصر «أتتك» و « اليك »
(٥) كذا في الاغاني وفي الاصل «يهتز»

ياواعظ الناس قد اصبحت متهماً إذ عبت منهم اموراً انت تأتيها
كالملبس الثوب من عري وعورته للناس بادية ما ان يواريها
واعظم الأثم بعد الشرك تعلمه في كل نفس عماها عن مساويها
عرفانها بعيوب الناس تبصرها منهم ولا تبصر العيب الذي فيها

فلم تمض الا ايام يسيرة حتى مات منصور بن عمار فوقف ابو العتاهية على قبره وقال : يغفر الله لك يا أبا السرى ما كنت رميتني به . قال الخليل بن أسد النوشجانى : جاءنا أبو العتاهية الى منزلنا فقال : أيزعم الناس أنى زنديق ؟ والله ما ديني الا التوحيد . فقلت : قل شيئاً نتحدث به عنك . فقال :

ألا اننا كلنا بائد وأىُّ بني آدم خالد
وبدؤهم كان من ربهم وكل الى ربه عائد
فياعجبا كيف يعصى الا له أم كيف يجحده الجاحد
وفى كل شيء له آية تدل على انه واحد

قال ابو دلف هاشم بن محمد الخزاعى(١) : تذاكروا يوما شعر ابى العتاهية بحضرة الجاحظ الى انجرى ذكر ارجوزته المزدوجة التي سماها (ذات الامثال) فأخذ بعض من حضر ينشدها حتى آتى الى قوله :

ياللشباب المرح التصابي روائح الجنة في الشباب

فقال الجاحظ للمنشد : قف . ثم قال : انظروا الى قوله « روائح الجنة في الشباب » فان له معنى كمعنى « الطرب » لايقدر احد على معرفته الا بالقلوب ، وتعجز عن ترجمته الألسن ، الا بعد التطويل وادامة التفكر . وخير المعاني ما كان القلب الى قبوله اسرع من اللسان الى وصفه . وهذه الأرجوزة من

(١) في الاغاني « محمد بن هاشم »

بدائع الشعر ، يقال ان فيها اربعة آلاف مثل ، منها قوله :

حسبك مما تبتغيه القوت ما أكثر القوت لمن يموت
هي المقادير فلمني أو فذر إن كنتُ أخطأتُ فما أخطا القدر
لكل مايؤذي وإن قل ألم ما اطول الليل على من لم ينم
ما انتفع المرء بمثل عقله وخير ذخر المرء حسن فعله
من جعل النمّام عينا هلكا مبلغك الشر كباغيه لكا
إن الفساد ضده الصلاح ورب جد جره المزاح
إن الشباب والفراغ والجده مَفسدة للمرء أي مفسده
ماعيش من آفته بقاؤه نغص عيشاً كله فناؤه
ما زالت الدنيا لنا دار أذى ممزوجة الصفو بألوان القذى
من لك بالمحض وليس محض يخبث بعض ويطيب بعض
يارُبَّ من أسخطنا بجهده قد سرنا الله بغير حمده
ماتطلع الشمس ولا تغيب الا لأمر شأنه عجيب
لكل انسان طبيعتان خير وشر وهما ضدان
والخير والشر اذا ماعدّا بينهما بون بعيد جدا
انك لو تستنشق الشحيحا وجدته انتن شيء ريحا
كذا قضى الله فكيف أصنع والصمت ان ضاق الكلام أوسع

قال روح بن الفرج : شاور رجل ابا العتاهية فيما ينقش على خاتمه فقال انقش عليه « لعنة الله على الناس » ثم انشد :

برمت بالناس واخلاقهم فصرت استأنس بالوحده
ما اكثر الناس لعمري وما اقلهم في حاصل العده

قيل ان عمرو بن العلاء مولى عمرو بن حريث صاحب المهدي كان ممدحاً

فمدحه ابو العتاهية فأمر له بعشرين (١) الف درهم فأنكر ذلك بعض الشعراء وقال : كيف فعل هـذا بهذا الكوفي وليس مقدار شعره هذا ؟ فبلغه ذلك فأحضره وقال : ان الواحد منكم ليدور على المعنى فلا يصيبه ، ويتعاطاه فلا يحسنه ، يشبب بخمسين بيتاً ثم يمدحنا ببعضها . وهذا فكأن المعانى تجمع له ، مدحني فقصر التشبيب وقال :

اني امنت من الزمان وريبه ‏ لما علقت من الامير حبالا
لو يستطيع الناس من إجلاله ‏ لحذوا له حُرَّ الوجوه نعالا
ان المطايا تشتكيك لانها ‏ تطوي اليك سباسباً ورمالا
فاذا وردن بنا وردن مخفة (٢) ‏ واذا رجعن بنا رجعن ثقالا

اخذ هذا المعنى من قول نصيب :

فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله ‏ ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

قال محمد بن النضر : أُخرجت رسولا الى عبد الله بن طاهر وهو يريد مصر . فنزلت على العتابي وكان لي صديقاً . فقال : أنشدني لشاعر العراق ـ يعني أبا نواس وكان قد مات ـ فأنشدته ما كنت أحفظ من شعره وملحه. وقلت له : ماظننتك تقول هذا الا لابي العتاهية . فقال : لو أردت أبا العتاهية لقلت : أنشدني لأشعر الناس، ولم أقتصر على العراق

قال أبو العتاهيـة : أكثر النـاس يتكلمون بالشعر ولايعلمون ، ولو أحسنوا تأليفه لكانوا شعراء كلهم . فبينما هم كذلك اذ قال رجل لآخر معه مسح « ياصاحب المسح تبيع المسح ؟ » فقال أبو العتاهية : هذا من ذلك ألم تسمعوه يقول :

(١) في الاغاني « بسبعين » (٢) في المختصر « خفافاً »

ياصاحب المسح تبيع المسحا

فقد قال شعراً وهو لا يعلم . ثم قال له الرجل « تعال ان كنت تريد الربح » فقال أبو العتاهية : قد أجاز المصراع بمصراع آخر وهو لا يعلم . قال :

تعال ان كنت تريد الربحا

قال الاصمعي : شعر أبي العتاهية مُثّل كساحةِ الملوك : يقع فيهـا الجوهر ، والذهب ، والتراب ، والخزف ، والنوى

وقال محمد بن أبي العتاهية : سئل أبي هـل تعرف العروض؟ فقال : أنا أكبر من العروض . قال : وله أوزان لا تدخل العروض

قال أبو عكرمة : حم الرشيد فصار أبو العتاهية الى الفضل برقعة فيها :

لو علم الناس كيف أنت لهم مات اذا ما ألمتَ أجمعهم
خليفة الله أنت ترجح بالنـــاس اذا ما وزنت أنت وهم
قد علم الناس أن وجهك يســتغنى اذا ماراه معدمهم

فأنشدها الفضل الرشيد . فأمر باحضار أبي العتاهية . فما زال يسامره ويحدّثه الى أن برىء ووصله بمال جزيل . قال ابن الاعرابي — وقد حدث هـذا الحديث — وقال رجل في المجلس لمـا أنشد هذا الشعر : ماهـذا الشعر يستحسن وهو ضعيف . فقال ابن الاعرابي : الضعيف والله عقلك ، ألأبي العتاهية تقول « ضعيف الشعر » ؟ والله مارأيت شاعرا أطبع ولا أقدر على بيت شعر منه ، ولا أحسب مذهبه الا ضربا من السحر ، ثم أنشد له :

قطعتُ منك حبائل الآمال وحططتُ عن ظهر المطي رحالي
ووجدت برد اليأس بين جوانحي فأرحت من حل ومن ترحال
يا أيها البطر الذى هو في غد في قبره متمزق الاوصال

هذر المنى (١) عند المشمرفي الهدى   ورأى هناك طويلة الاذيال
حيل ابن آدم في الامور كثيرة   والموت يقطع حيلة المحتال
قست السؤال فكان أعظم قيمة (٢)   من كل عارفة جرت بسؤال
فاذا ابتليت ببذل وجهك سائلا   فابذله للمتكرّم المفضال
واذا خشيت تعذّرا في بلدة   فاشدد يديك بعاجل الترحال
واصبر على غِيَرِ الزمان فانما   فرج الشدائد مثل حل عقال

ثم قال للرجل : هل يحسن أحد يقول مثل هـذا ؟ فقال له الرجل : اني لم أردد عليك ، ولـكن الزهد مذهب أبي العتاهية ، وشعره في المديح ليس كشعره في الزهد . فقال له ابن الاعرابى : أليس هو الذى يقول في المديح :

وهارون ماء المزن يشفى به الصدى   اذا ما الصدى بالريق غصت حناجره
وأوسط بيت في قريش لبيته   وأول عز في قريش وآخره
وزحف له تحكى البروق سيوفه   وتحكى الرعود القاصفات زماجره (٣)
اذا حميت شمس النهار تضاحكت   الى الشمس فيه بيضه ومغافره
اذا نُكب الاسلام يوماً بنكبة   فهارون من بين البرية ثائره
ومن ذا يفوت الموت والموت مدرك   كذا لم يفت هارونَ ضد ينافره

فتخلص الرجل من شر ابن الاعرابي بأن قال : القول كما قلت ، وما كنتُ سمعت له مثل هذا . وكتبها عنه

قال هارون ابن سعدان بن الحرث مولى عباد : حضر أبو نواس مجلساً وأنشد شعراً (٤) . فقال [له] بعض من حضر المجلس : أنت أشعر الناس .

(١) في الاغانى « حذف المنى »
(٢) كذا في الاغانى . وفي المختصر « حيلة »
(٣) كذا في المختصر ، وفي الاغاني « حوافره »
(٤) كان فى أصل المختصر « حضرت بالامس مجلسا فانشدت شعراً » وصححناه من الاغانى

فقال[1] أما والشيخ حيٌّ فلا . يعني ابا العتاهية

قال ثمامة بن أشرس أنشدني أبو العتاهية :

اذا المرء لم يعتق من المال نفسه   تملكه المال الذي هو مالكه
الا انما مالى الذي أنا منفق   وليس لى المال الذي أنا تاركه
اذا كنت ذا مال فبادر به الذي   يحق وإلا استهلكته مهالكه

فقلت له من أين قضيت بهذا ؟ فقال : من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « انما لك من مالك ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فابليت ، أو تصدقت فأمضيت » فقلت له : أتؤمن بان هذا قول رسول الله صلى عليه وسلم وانه الحق؟ قال نعم . قلت : فلم تحبس عندك سبعاً وعشرين بدرة في دارك لا تأكل منها ولا تشرب ولا تزكي ولا تقدمها ذخراً ليوم فقرك وفاقتك ؟ فقال يا أبا معن ، والله ان ماقلت لهو الحق ، ولكني أخاف الفقر والحاجة الى الناس . قلت : وبما يزيد حال من افتقر على حالك ، وأنت دائم الحرص ، دائم الجمع ، شحيح على نفسك لا تشترى اللحم الا من عيد الى عيد ؟ فترك جواب كلامي كله ثم قال : والله لقد اشتريت يوم عاشوراء لحما وتوابله وما يتبعه بخمسة دراهم . فلما قال لى ذلك أضحكني حتى أذهلني عن جوابه ومعاتبته ، فامسكت عنه وعلمت أنه ليس ممن شرح الله صدره للاسلام

وكان محمد بن عيسي الخزيمي جار أبي العتاهية[2] قال : كان لابي العتاهية جار يلتقط النوى ضعيف سيء الحال وكان يمر بأبي العتاهية طرفي النهار . فيقول أبو العتاهيه : اللهم أعنه على ماهو بسبيله شيخ ضعيف سيء الحال عليه ثياب متجمل اللهم اصنع له . فبقى على هذا الحال الى ان مات الشيخ نحواً من عشرين

(١) في المختصر « فقلت » وصححناه من الاغاني

(٢) في أصل المختصر « وكان محمد بن عيسي في حارة أبي العتاهية » وصححناه من الاغاني

سنة لا والله ماتصدق عليه بدرهم ولا دانق قط ولا زاده على الدعاء شيئا. فقلت له يوما: يا أبا اسحاق اني أراك تكثر الدعاء لهـذا الشيخ وتزعم انه فقير معيل فلم لاتتصدق عليه بشيء ؟ فقال: أخشى ان يعتاد الصدقة ، والصدقة آخر مكاسب العبد ، وان في الدعاء لخيراً كثيراً

قال [محمد بن عيسى] الخزمي[١] : كان لابي العتاهية خادم اسود طويل كانه محراك اتون، وكان يجرى عليه في كل يوم رغيفين . فجاءني الخادم يوما فقال لي : والله ما اشبع . فقلت : وكيف ذلك . قال : لأني ما أفتر من الكد وهو يجري علي رغيفين بغير ادام ، فان رأيت ان تكلمه حتى يزيدني رغيفا فتؤجر . فوعدته بذلك . فلما جلست معه مر بنا الخادم فكرهت اعلامه انه قد شكاه الي فقلت له : يا أبا اسحق كم تجرى على هـذا الخادم كل يوم . فقال : رغيفين. فقلت له : لايكفيانه . فقال : من لم يكفه القليل لم يكفه الكثير ، وكل من أعطى نفسه شهوتها هلك ؛ هذا خادم يدخل على حرمي وبناتي فان لم اعوده القناعة والاقتصاد أهلكني وأهلك عيالي . ثم مات الخادم بعد ذلك فكفنه في ازار فراش كان له خلق فقلت له : سبحان الله خادم قديم الحرمة طويل الخدمة واجب الحق تكفنه في خلق وانما يكفيه كفن بدينار . فقال : انه يصير الى البلى والحي أولى بالجديد من الميت . فقلت : يرحمك الله فلقد عودته الاقتصاد حيا وميتا

وقال الحزمي[٢] وقف سائل من الظرفاء يوما على أبي العتاهية [وجماعة من جيرانه حوله ، فسأله من بين الجيران . فقال : صنع الله لك .][٣] فأعاد السؤال فرد عليه مثل ذلك . فاعاد الثالثة فرد عليه مثل ذلك . فغضب وقال له :

(١) في المختصر « قال الخرق » والتصحيح والزيادة من الاغانى

(٢) في المختصر « الخرق » وفي الاغانى « محمد بن عيسى »

(٣) كان بياضا في المختصر وأكملناه من الاغانى

ألست الذى تقول :

كل حى عند ميتته　　حظه من ماله الكفن

قال نعم . قال فبالله أتريد ان تعد مالك كله لثمن كفنك . قال لا . قال بالله فكم قدرت لكفنك قال خمسة دنانير . قال فهى حظك اذاً من مالك قال نعم . قال فتصدق على من غير حظك بدرهم واحد . فقال لو تصدقت عليك لكان حظى . قال فاعمل على ان ديناراً من الخمسة وضيعته قيراط وادفع لى قيراطاً . والا فواحدة أخرى : القبور تحفر بثلاثة دراهم فاعطني درهما وأقيم لك كفيلا يأبي بي أحفر لك به قبرك متى مت وتربح درهمين لم يكونا من حسابك . فان لم أحفر لك به رددته على ورثتك أو رده كفيلي عليهم . فخجل أبو العتاهية وقال : اعزب عنى . وضحك جميع من حضر . ومر السائل يضحك . فالتفت اليهم أبو العتاهية — وقد اغتاظ — وقال : من أجل هذا وأمثاله حرمت الصدقة . فقلت له : ومن حرمها ومتى حرمت ؟ فما رأيت أحداً ادّعى ان الصدقة حرمت قبلك ولا بعدك

وقال الحزيمي (١) هذا قلت لابي العتاهية : أتزكى مالك ؟ فقال : والله ما أنفق على عيالى الا من زكاة مالى . فقلت له : سبحان الله انما ينبغي ان تخرج زكاة مالك الى الفقراء والمساكين . فقال : لو انقطعت زكاة مالى عن عيالى لم يكن أفقر منهم

قيل لابى العتاهية : أى شعر قلته أحكم ؟ قال قولى :

علمت يا مجاشع بن مسعده　　ان الفراغ والشباب والجده

مفسدة للمرء أى مفسده

قال أبو غزية : كان أبو العتاهية اذا قدم المدينة يجلس الىّ فاراد مرة

---

(١) فى المختصر « الحرقي » وفى الاغانى « محمد بن عيسى »

الخروج الى المدينة (١) فودعني ثم قال :

ان نفش نجتمع والا فما اشـ غل من مات عن جميع الانام

كان لبعض تجار باب الطاق على أبي العتاهية ثمن ثياب أخذها منه فمر به يوماً فقال لغلام له حسن الوجه : أدرك أبا العتاهية ولا تفارقه حتى تأخذ منه مالنا عليه . فأدركه على رأس الجسر . فأخذ بعنان حماره ووقفه فقال له: ماحاجتك ياغلام ؟ فقال له : أنا رسول فلان بعثني اليك لآخذ ماله عليك . فأمسك عنه أبو العتاهية وجعل كل من يمر فيرى الغلام متعلقاً به يقف ينظر . فلما اجتمع الناس وتكاثروا قال أبو العتاهية :

والله ربك انني لأجلّ وجهك عن فعالك
لو كان فعلك مثل وجـ ـهك كنت مكتفياً بذلك

فخجل الغلام وأرسل عنان الحمار ورجع الى صاحبه . وقال : بعثني الى شيطان جمع عليَّ الناس وقال فيَّ الشعر حتى أخجلني فهربت منه

قال أبوعكرمة : كان الرشيد اذا رأى عبد الله بن معن بن زائدة تمثل قول أبي العتاهية فيه :

أخت بني شيبان مرت بنا ممشوطة كورا على بغل

وأول هذه الابيات التي هجاه بها :

ياصاحبيْ رحليَ لا تكثرا في شتم عبد الله من عذل
سبحان من خص ابن معن بما أرى به من قلة العقل
قال ابن معن وجلا نفسه عليّ في الخلوة (٢) يا أهلي
انا فتاة الحي من وائل في الشرف الشامخ والنبل

(١) كذا في المختصر . وفي الاغاني « اذا قدم من المدينة يجلس الي فاراد مرة الخروج من المدينة » . وما في النسختين لايستقيم

(٢) في الاغاني « من الجلوة »

مافي بنى شيبان أهل العلى جارية واحـدة مثلى
ياليتنى أبصرت دلالة تدلني اليوم على فحل
ويلى ويالهفي على أمرد يلزق منى القرط بالحجل
صافحته يوماً على خلوة فقال دع كفى وخذ رجلى
أخت بنى شيبان مرت بنا ممشوطة كورا على بغل
تكنى أبا الفضل ويامن رأى جارية تكنى أبا الفضل
قد نقطت في وجهها نقطة مخافة العين من الكحل
ان زرتموها قال حجابها نحن عن الزوار في شغل
مولاتنا مشغولة عندها بعل ولا إذن على البعل
يابنت معن الخير لاتجهلى وأنت تقضين[1] عن الجهل
أتجلد الناس وأنت امرؤ تجلد في دبرك والقبل
ما ينبغى للناس أن ينسبوا من كان ذا جود الى البخل
يبذل ماتمنع أهل الندى هذا لعمرى منتهى البذل
ما قلت هذا فيك إلا وقد جفّت به الأقلام من قبلى

فبعث اليه عبدالله بن معن فأتى به فدعا بغلمان له ثم أمرهم أن يرتكبوا منه الفاحشة ففعلوا ذلك ثم أجلسه وقال لقد جزيتك على قولك فيّ فهل لك بعد هذا في الصلح ومعه مركب وعشرة آلاف درهم أو تقيم على الحرب ؟ فقال : بل الصلح . قال : فأسمعني ماتقوله في معنى الصلح . فقال :

ماالعذالى ومالى أمرونى بالضـلال
عذلوني في اعتقادي[2] لابن معن واحتمالى
ان يكن ما كان منه فبجرمى وفعالى

(١) في الاغانى « وأين قصار » (٢) في الاغاني « اغتفاري »

قل لمن يعجب بن حـ ... سن رجوعي ومقالى
رب صلح بعد ود ... وهوى بعد تقالى
قد رأينا ذا كثيراً ... جاريا بين الرجال
انما كانت يمينى ... لطمت منى شمالى
ماله بل نفسه لى ... وله نفسى ومالى
أنا منه كنت أكنى ... زيده[1] في كل حال

وكان أبو العتاهية فى حداثته يهوى امرأة نائحة من أهل الحيرة لها حسن وكفاية[2] يقال لها سعدى . وكان عبد الله بن معن بن زائدة يهواها أيضاً وكانت مولاة لهم . ثم اتهمها أبو العتاهية بالنساء . فقال فيها :

ألا ياذوات السحق فى الغرب والشرق ... أفقن فان النيك أشفى من السحق
أفقن فان الادم بالخبز[3] يشتهى ... وليس يسوغ الخبز بالخبز فى الحلق
أراكن ترقعن الخروق بمثلها ... وأنّى وما يسترقع[4] الخرق بالخرق
وهل يصلح المهراس إلا بعوده ... اذا احتيج منه ذات يوم الى الدق

فتعهد عبدالله بن معن أبا العتاهية ونهاه أن يتعرض لسعدى فقال :

ألا قل لابن معن ذا الـ ... ـذى في الوجد[5] قد حالا
لقد بُلّغتُ ما قال ... فما باليت ماقالا
ولو كان من الأسد ... لما راع ولا هالا
فصغ من حلية السيـ ... ـف الذي قلدت خلخالا
وما تصنع بالسيف ... اذا لم تك قتّالا
أرى قومك أبطالا ... وقد أصبحت بطالا

(١) في الاغانى « كنت أسوى عشرة » (٢) فى الاغانى « وجمال » (٣) فى الاغانى « الخبز بالادم » (٤) فى الاغانى « وأي لبيب يرقع » (٥) فى الاغانى « فى الود »

ولو تمد الى أذنيـ ـه كفيه لما نالا
قصير الطّول والطُّول فلا شب ولا طالا

ثم ان عبد الله بن معن احتال على أبي العتاهية حتى أخذه في مكان فضربه مائة سوط [ضرباً] ليس بالمبرح غيظاً عليه ولم يعنف في ضربه خوفاً من كثرة من يعنى به ، فقال أبو العتاهية يهجوه :

جلدتني بكفها بنت معن بن زائده
جـلدتني فأوجعت بأبي تلك جالده
وتراها مع الخصـي على الباب قاعـده
تكتني بكنى الرجا ل بعمد مكايده
جلدتني وبالغت مائة غير واحده
اجلديني اجلدي اجلدي إنما أنت والده

وقال :

ضربتني بكفها بنت معن أوجعت كفها وماأوجعتني
ولعمرى لولا أذى كفها إذ ضربتني بالسوط ماتركتني

وهجا أخاه يزيداً معه وكان زائدة أخوهما صديقا لابي العتاهية فلم يعن اخويه عليه . فلما مات رثاه أبو العتاهية بأبيات . قال أحمد بن ابى قنن[1] : كنا يوماً عند ابن الاعرابي فذكر قول أبي نوفل في عبد الملك بن عمير القاضي :

اذا ذات دل[2] كلمته لحاجة فهم بأن يقضي تنحنح أو سعل

وان عبدالملك قال : تركني والله وان السعلة لتعرض لي في الخلاء فأذكر قوله فأهاب أن أسعل . قال فقلت لابن الاعرابى فهذا أبو العتاهية قال في عبدالله بن معن :

(١) فى المختصر « أحمد بن مس » (٢) فى المختصر « ذات يوم »

فدع ما كنت حليت ... به سيفك خلخالا
وما تصنع بالسيف ... اذا لم تك قتالا

وقال عبدالله بن معن مالبست سيفي قط فرأيت انسانا يامحنى إلا ظننته يحفظ قول أبى العتاهية في فيتأملنى لذلك فأخجل

واجتمع أبوالعتاهية ومسلم بن الوليد فجرى بينهما كلام . فقال مسلم : والله لو كنت أرضى أن أقول مثل قولك :

الحمد والنعمة لك ... والملك لا شريك لك
لبيك ان الملك لك

لقلت في اليوم عشرة آلاف بيت . ولكنى أقول :

موف على مهج في يوم ذي رهج ... كانه أجل يسعى الى أمل

فقال أبو العتاهية : يا ابن أخى قل مثل قولي « الحمد والنعمة لك » حتى أقول مثل قولك « كانه أجل يسعى الى أمل »

قال محمد بن سابق قال بشار لابى العتاهية أنا أستحسن اعتذارك حيث تقول :

كم من صديق لى أسا ... رقه البكاء من الحياء
فاذا تأمل لامني ... فأقول مابي من بكاء
لكن ذهبت لارتدى ... فطرفت عيني بالرداء

فقال أبو العتاهية : يا أبا معاذ ماالذت الا بمعناك ، ولا جنيت الامن غرسك حيث تقول :

شكوت الى الغواني ما ألاقي ... وقلت لهن مايومى بعيدُ
فقلن بكيتَ قلت لهن كلا ... وقد يبكي من الطرب الجليد
ولكني أصاب سواد عيني ... عويد قذى له طرف حديد

فقلن فما لدمعهما سواء أكلتا مقلتيك أصاب عود

قال مخارق: لما لبس أبو العتاهية الصوف أمره الرشيد أن يقول شعراً في الغزل. فامتنع. فضربه ستين عصا، وحلف لايخرج من حبسه حتى يقول شعراً فى الغزل. فلما ضرب قال أبو العتاهية كل مملوك له حر وامرأته طالق ان تكلم سنة إلا بالقرآن أو بلاإله إلا الله محمدرسول الله. وكان الرشيد تحرج مما فعله، فحبسه فى دار ووسع عليه ولم يمنع أحداً ممن يريد الدخول عليه. وكانت الحال بينه وبين ابراهيم الموصلى لطيفة. وكان يبعث بي اليه يتعرف خبره فاذا دخلت اليه وجدت بين يديه طهوراً [١] ودواة فيكتب الي بجميع مايريد وأكلمه أنا. فمكث كذلك سنة. واتفق أن ابراهيم صنع صوته:

أعرفت دار الحي بالحجر فشرودبان فقنة العمر [٢]
وهجرتها وألفت رسم بلى [٣] والرسم كان أحق بالهجر

قال مخارق: فقال لى ابراهيم. اذهب الى أبى العتاهية وغنه هذا الصوت فأتيته في اليوم الذي انقضت فيه يمينه فغنيته اياه فكتب الى بعد ان غنيته: هذا اليوم الذي ينقضى فيه يميني، فأحب ان تقيم عندي الى الليل. فاقمت نهاري كله عنده حتى اذا أذن المغرب كلمني فقال: يامخارق. قلت: لبيك. قال فكنت أول من أفطر على كلامه. فقلت له: هل قلت شيئاً تتخلص به من هذا الموضع؟ فقال: نعم قد قلت في امرأتي شعراً. فقلت هاته. فانشدني:

من لقلب متيم مشتاق شفه شوقه وطول الفراق
طال شوقي الى قعيدة بيتي ليت شعري فهل لنامن تلاق
هي حظي قد اقتصرت عليها من ذوات العقود والاطواق

(١) في الاغانى « ظهراً » (٢) كذا فى المختصر وفي الاغاني « فشدوريان فقنة الغمر » ولم أجد « شدوريان » ولا « شرودبان » ولا « قنة الغمر » أو العمر فى معجم البلدان
(٣) فى المختصر « رسما بائنا » ولا يستقيم به الوزن وصححناه من الاغاني

جمع الله عاجلا بك شملي عن قريب وفكنى من وثاقي

فكتبتها وصرت الى ابراهيم فصنع فيها لحنا ثم دخل على الرشيد، فكان أول صوت غناه في ذلك الشعر . فاعجبه وسأله : لمن هذا الشعر والغناء ؟ فقال ابراهيم : أما الغناء فلي ، وأما الشعر فلاسيرك أبي العتاهية . قال، أوقد فعل ؟ قال نعم . فدعا به ثم قال لمسرور: كم كنا ضربنا أبا العتاهية ؟ فقال ستين عصا . فأمر له بستين ألف درهم وخلع عليه وأطلقه

قال الفضل بن العباس وجد الرشيد وهو بالرقة على أبي العتاهية فى شيء وأبو العتاهية فى مدينة السلام . وكان أبو العتاهية يرجو أن يتكلم فيه الفضل ابن الربيع فأبطأ عليه فكتب اليه :

أجفوتنى فيمن جفاني وجعلت شانك غير شاني

ولطال ما منيتني مما أرى طول الأماني

حتى اذا انقلب الزما ن عليَّ صرت مع الزمان

فكلم الفضل فيه الرشيد ، فرضي عنه ، وأرسل الفضل اليه يأمره بالشخوص ويذكر له أن الرشيد رضي عنه ، فشخص . فلما دخل على الفضل أنشده قوله فيه :

قد دعوناه نائيًا فوجدنا ه على نأيه قريبا سميعا

فادخله على الرشيد ورجع الى حالته الاولى

وكان يزيد بن منصور خال المهدي يتعصب لابي العتاهية لانه كان يمدح اليمانية . وكان ابو العتاهية في مدة حياة يزيد بن منصور يدّعى انه مولى اليمن ، وينتفي من عنزة . فلما مات يزيد رجع الى ولائه الاول . وسئل عن ذلك فقال : ذلك شيء احتجنا اليه في ذلك الزمان . وكان قد ادّعى ولاء اللخميين . وكان يزيد بن منصور من أكرم الناس وأحفظهم لحرمة وأرعاهم لعهد . وكان باراً

بابي العتاهية كثير الصلة له و كان أبو العتاهية فى سعة ومنعة من كثرة ما يدفعه اليه ويحميه من المكاره .ولما مات رثاه أبو العتاهية . فقال :

أنعى يزيد بن منصور الى البشر　　أنعي يزيد لاهل البدو والحضر
ياساكن الحفرة المهجور ساكنها　　بعد المقاصير والابواب والحجر
وجدت فقدك في مالى وفي نشبي　　وجدت فقدك في شعري وفي بشرى
فلست أدري جزاك الله صالحة　　أمنظري فيك أسوا اليوم أم خبري

ولما حبس المهدي أبا العتاهية تكلم فيه يزيد بن منصور الحميري حتى أطلقه فقال فيه أبو العتاهية :

ما قلت في فضله شيئاً لامدحه　　الا وفضل يزيد فوق ماقلت
مازلت من صرف دهري خائفا وجلا　　فقد كفانى بعد الله ماخفت

قال عبيد بن الحسن جاءني أبو العتاهية وأنا في الديوان فجلس الى فقلت له يا أبا اسحق أما يصعب عليك شيء من الالفاظ تحتاج فيه الى استعمال الغريب كما يحتاج اليه سائر الناس ممن يقول الشعر؟ فقال : لا · فقلت : أني لاحسب ذلك من كثرة ركوبك القوافي السهلة. قال : فاعرض على ماشئت من القوافى الصعبة . فقلت : قل أبياتا على مثل « البلاغ » فقال من ساعته :

أى عيش يكون أفضل من عيـــش كفاف قوت بقدر البلاغ
صاحب البغي ليس يسلم منه　　وعلى نفسه بغى كل باغ
رب ذي لقمة تعرض منها　　حائل بينها وبين المساغ
أبلغ الدهر في مواعظه بل　　زاد فيهن لى على الابلاغ
غبنتنى الايام عقلي ومالى　　وشبابى وصحتى وفراغي

قال مسلم بن الوليد : كنت مستخفا بشعر أبى العتاهية فلقينى يوما فسألني ان أصير اليه فصرت اليه فاحضر لى لونا واحداً فاكلناه وأحضر لى تمراً

وجلسنا نتحدث وأنشدته أشعاراً لي في الغزل واستنشدته فانشدني قوله :

بالله ياقرة العينين زوريني ... قبل الممات والا فاستزيريني

اني لاعجب من حب يقربني ... ممن يباعدني عنه ويقصيني

اما الكثير فلا أرجوه منك ولو ... أطمعتني في قليل كان يكفيني

ثم أنشدني :

رأيت الهوى جمر الغضى غير انه ... على حره في صدر صاحبه حلو

أخلاي بي شجو وليس بكم شجوٌ ... وكل امرىء من شجو صاحبه خلو

وما من محب نال ممن يحبه ... هوى صادقا الا سيدخله زهو

بُليت وكان المزح بدء بليتي ... فاحببت حقا والبلاء له بدو

وعلقت من يزهو عليَّ تجبراً ... وانيَ في كل الخصال له كفو

أذاب الهوى عظمي ومخي وقوتي ... فلم يبق الا الروح والجسد النضو

ثم أنشدني أيضاً :

صبرت ولا والله مابي جلادة ... على الصبر لكني صبرت على الرغم

يصاب فؤادي حين أرمي ورميتي ... تعود الى نحري ويسلم من أرمي

الا في سبيل الله جسمي وقوتي ... الا مسعد حتى أنوح على جسمي

فقلت له : يا أبا اسحق مايبالي من أحسنَ ان يقول مثل هذا الشعر مافاته من الدنيا . فقال : يا ابن أخي لاتقل كذا فان الشعر أيضاً من مصايد الدنيا

اجتمع الشعراء على باب الرشيد فاذن لهم فدخلوا وانشدوا . وانشد أبو العتاهية :

يامن يرجى زمنا صالحا ... هرون لاشك صلاح الزمن

كل لسان هو في ملكه ... بالشكر في احسانه مرتهن

فاهتز الرشيد وقال له : أحسنت والله . ولم يخرج أحد من الشعراء في ذلك

اليوم بصلة غيره . قال ابن الاعرابي أجرى الرشيد الخيل فجاء فرس له يقال له «المشمر» سابقا وكان الرشيد معجبا بذلك الفرس فامر الشعراء ان يقولوا فيه ، فبدرهم أبو العتاهية فقال :

جاء المشمر والافراس يقدمها   هوناً على رِسله منها وما انبهرا
وخلف الريح حسرى وهي جاهدة   ومر يختطف الابصار والنظرا

فاجزل صلته وما جسر أحد ان يقول بعده في ذلك شيئاً

كان على بن ثابت صديقا لابى العتاهية وبينهما مجاوبات في الزهد والحكم ، فتوفي علي بن ثابت . فقال أبو العتاهية :

مؤنس كان لى هلك   والسبيل التي سلك
ياعلى بن ثابت   غفر الله لى ولك
كل حي مملك   سوف يفنى وما ملك

وحضر أبو العتاهية علىّ بن ثابت هذا وهو يجود بنفسه فلم يزل يلتزمه ويبكي حتى فاض . فلما شد لحييه بكى طويلا ثم انشأ يقول :

ياشريكا في الخير قرّبك الله   فنعم الشريك في الخير كنتا
ولعمري حكيت لى غصص المـ   ـوت فحركتنى لها وسكنتا

ولما دفن وقف على قبره يبكي أحر بكاء ويردد أبياتا منها :

بكيتك ياعلي بدمع عيني   فما أغنى البكاء عليك شيّا
وكانت في حياتك لي عظات   وأنت اليوم أوعظ منك حيا

أخذ أبو العتاهية هذا المعنى من كلام الفلاسفة لما حضروا تابوت الاسكندر وأخرج ليدفن قال بعضهم : كان الملك أمس أهيب منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس . وقال آخر : سكنت حركة الملك في لذاته ، و[قد]حركنا [اليوم في] سكونه جزعا لفقده

قال جعفر بن الحسين اللهبي [١] : اتميت أبا العتاهية فقلت له : ياأبا أسحق من أشعر الناس ؟ قال الذي يقول :

الله أنجح ما طلبت به   والبر خير حقيبة الرحل

فقلت له : أنشدني من شعرك شيئاً . فأنشدني :

ياصاحب الروح والأنفاس والبدن   بين النهار وبين الليل مرتهن
لقلّ ما يتخطاك اختلافهما   حتى يفرق بين الروح والبدن
لتجذبن يد الدنيا بقوتها   الى المنايا وان نازعتها رسنى

قال فكتبتها ثم قلت: أنشدني شيئاً من شعرك في الغزل. فقال : ياابن أخي ان الغزل يسرع الى مثلك . فقلت : أرجو عصمة الله عز وجل. فأنشدني :

كأنها من حسنها درة   أخرجها الموج الى الساحل
كأنّ في فيها [٢] وفي طرفها   سواحراً أقبلن من بابل
يامن رأى قبلي قتيلا بكى   من شدة الوجد على القاتل [٣]

فقلت ياأبا اسحق هذا من قول صاحبنا جميل :

خليليّ فيما عشتما هل رأيتما   قتيلا بكى من حب قاتله قبلي

قال : هو ذاك ياابن أخي

واجتاز أبو العتاهية في أول أمره وعلى ظهره قفص فيه فخار يدور به في الكوفة يبيع منه ، فمر بفتيان جلوس يتذاكرون الشعر ويتناشدونه ، فسلم ووضع القفص عن ظهره ثم قال لهم : يافتيان اراكم تتذاكرون الشعر وتقولونه ، فاقول شيئا وتجيزونه ، فان فعلتم فلكم عليّ عشرة دراهم وان لم تفعلوا فعليكم عشرة دراهم . فهزئوا منه وسخروا به وقالوا: نعم . فقال : لا بد

(١) فى الاغاني « المهلبي »   (٢) كذا فى الاغاني . وفى المختصر « كانما فيها »
(٣) كذا فى الاغاني . وفى المختصر « من شدة الحب الى القاتل »

أن نشتري بأحد القمرين رطبا يؤكل فانه قمر حاصل . وجعل رهنه على يد أحدهم . ففعلوا . فقال : أجيزوا

ساكني الاجداث أنتم

وجعل بينه وبينهم وقتا وعلامة في موضع اذا بلغته الشمس ولم يجيزو البيت وجبت القمرة عليهم . فلم يأتوا بشيء . فأخذ الدراهم وجعل يهزأ بهم وتمّمه فقال :

ساكني الاجداث أنتم مثلنا بالأمس كنتم
ليت شعري ماصنعتم أربحتم أم خسرتم

وهي قصيدة طويلة من شعره

ولما حبس الرشيد أبا العتاهية وحلف أن لايطلقه أو يقول شعراً قال أبو حبش : أسمع باعجب من هذا ، يقول الشعراء الشعر النادر الجيد فلا يسمع منهم ويقول هذا المخنث المفكاك تلك الاشعار بالشفاعة ، ثم أنشد أبياتها منها :

أبا اسحق راجعتَ الجماعه وعدت الى القوافي والصناعه
وكنت كجامع في الغي عاص وأنت اليوم ذو سمع وطاعه
كسدنا ما نُراد وان اجدنا وأنت تقول شعرك بالشفاعه

قال أبوالعتاهية : أخرجني المهدي معه الى الصيد فوقعنا منه على شيء كثير فتفرق أصحابه في طلبه وأخذ هو في طريق غير طريقهم فلم يلتقوا وعرض لنا واد عظيم جرار وغيمت السماء وبدأت تمطر . وأشرفنا على الوادي فاذا فيه ملاح يعبر الناس فلجأنا اليه وسألناه عن الطريق فجعل يضعّف رأينا ويعجزه في بذلنا أنفسنا في ذلك الغيم والمطر للصيد حتى أبعدنا . ثم أدخلنا كوخاً له وكاد المهدي يموت برداً فقال له أغطيك بجبتي هذه الصوف ؟ فقال نعم. فغطاه بها

فتماسك قليلا ونام . وافتقده غلمانه وتبعوا أثره حتى جاءونا فلما رأى الملاح كثرتهم علم انه الخليفة [فهرب] وتبادر الغلمان فنحوا الجبة عنه والقوا عليه الوشي والخز . فلما انتبه قال لي ويحك مافعل الملاح فقد وجب حقه علينا فقلت هرب خوفا من قبح ماخاطبنا به . قال والله لقد أردت أن أغنيه ، وبأي شيء خاطبنا؟ نحن والله مستحقون لأقبح مما خاطبنا به ، بحياتي عليك الا ماهجوتني . فقلت يا أمير المؤمنين كيف تطيب نفسي أن تهجوك ؟ قال والله لتفعلن فاني ضعيف الرأي مغرم بالصيد . فقلت :

يالابس الوشي على ثوبه ما أقبح الاشيب بالداح(١)

فقال : زدني بحياتي . فقلت :

لو شئت ايضاً جلت في حلة وفي وشاحين وأوضاح

فقال ويلك هذا معنى سوء يرويه الناس عنك وأنا استأهل ، زدني شيئاً آخر فقلت : أخاف أن تغضب . فقال : لا والله . فقلت :

كم من عظيم القدر في نفسه قد نام في جبة ملاح

فقال معنى سوء عليك لعنة الله . وقمنا فركبنا وانصرفنا

كان علي بن يقطين صديقا لابي العتاهية وكان يبره كل سنة براً واسعاً . فأبطأ عليه بالبر سنة من السنين . وكان اذا لقيه أبو العتاهية سر به ورفع مجلسه لايزيده على ذلك . فلقيه ذات يوم وهو يريد الخليفة فاستوقفه وأنشده :

حتى متى ليت شعري يا ابن يقطين اثنى عليك بما لا منك تولني
ان السلام وان البشر من رجل في مثل ما أنت فيه ليس يكفيني
أما علمت جزاك الله صالحة وزادك الله فضلا يا ابن يقطين
اني اريدك للدنيا وعاجلها وما أريدك يوم الدين للدين

(١) الداح : الوشي والنقش ، والخلوق من الطيب ، ونقش يلوّح به الصبيان

فقال على بن يقطين : لست أبرح ولاتبرح من موضعنا هذا إلا راضيا . وأمر له بما كان يبعث به اليه في كل سنة فحمل معه من وقته

ولما ضرب الرشيد أبا العتاهية وحبسه وكل به صاحب خبر يكتب مايقول ويسمعه . فكتب بأنه سمعه ينشد :

أما والله ان الظلم لوم   وما زال المسيء هو الظلوم

الى ديّان يوم الدين نمضي   وعند الله تجتمع الخصوم

فبكى الرشيد وأمر باطلاق أبي العتاهية وأحضره وأمر له بألفي دينار

قال محمد بن أبي العتاهية قال أبي في عتبة :

كأن عتابة من حسنها   دمية قس فتنت قسها

يارب لو أنسيتنيها بما   فيجنة الفردوس لم أنسها

شنع عليه منصور بن عمار بالزندقة وقال : يتهاون بالجنة في مثل هذا . وشنع عليه أيضاً بقوله :

ان المليك رآكِ أحـ   ـسن خلقه ورأى جمالك

فحذا بقدرة نفسه   حور الجنان على مثالك

قال ــ نستغفر الله العظيم ــ أيصور الله الحور على مثال امرأة آدمية ، والله لا يحتاج الى مثال . فاوقع له هذا على السنة العامة فلقى منهم بلاء

قال أبو سلمة الباذغيسي قلت لأبي العتاهية : في أى شعرك أنت أشعر؟ قال قولي :

الناس في غفلاتهم   ورحى المنية تطحن

مادون دائرة الورى   حصن لمن يتحصن

دخل أبو العتاهية على المأمون فأنشده :

ما أحسن الدنيا واقبالها   اذا أطاع اللهَ من نالها

من لم يواس الناس من فضلها عرّض للإدبار اقبالها

فقال المأمون : ما أجود البيت الأول فأما الثاني فما صنعت فيه شيئاً الدنيا تدبر عمن واسى منها أو ضن بها وانما يوجب السماحةُ بها الاجرَ والضنُّ بها الوزر. فقال : صدقت ياأمير المؤمنين أهل الفضل أولى بالفضل ، وأهل النقص أولى بالنقص. فقال المأمون : ياأبا ثابت ادفع اليه عشرة آلاف درهم لاعترافه بالحق. فلما كان بعد أيام عادفأ نشده :

كم غافل أودى به الموت لم يأخـذ الأهبة للفوت
من لم تزُل نعمته قبله زال عن النعمة بالموت

فقال له : أحسنت الآن طبقت[1] المعنى . وأمر له بعشرين الف درهم

كان أبو العتاهية يحج كل سنة فاذا قدم اهدى الى المأمون برداً [وميطرفاً] ونعلاً سوداء ومساويك من أراك فيبعث اليه بعشرين الف درهم وكان يوصل الهدية من جهة منجاب مولى المأمون ويجيئه بالمال (٢) فأهدى له مرة كما كان يهدي كل سنة اذا قدم ولم يبعث اليه بالوظيفة ، فكتب اليه أبو العتاهية :

خبروني ان من ضرب السنه جدداً بيضا وصفرا حسنه
احدثت لكنني لم أرها مثلما كنت أرى كل سنه

فأمر المأمون فحمل اليه عشرون ألفاً وقال : اغفلناه حتى ذكّرنا

ويقال ان المأمون كان يوجه الى أم جعفر زبيدة فى كل سنة بمائة الف دينار ومائة الف درهم جدد ، فاغفلها سنة ، فتقدمت الى أبى العتاهية أن يعمل أبياتاً يذكره بها ، فقال هذين البيتين ، فحمل اليها المأمون عادتها

---

(١) في الاغانى « طبت » (٢) كذا في الاغانى . وفي المختصر « ويجيء اليه المال »

ولما ولي الهادي الخلافة كان واجداً على أبي العتاهية لملازمته أخاه هرون وانقطاعه اليه ، واتفق ان ولد للهادي ولد في أول يوم ولي الخلافة، فدخل عليه أبو العتاهية فأنشده :

أكثر موسى غيظ حسّاده   وزين الأرض بأولاده
وجاءنا من صلبه سيد   أصيد في تقطيع أجداده
فاكتست الأرض به بهجة   واستبشر الملك بميلاده
وابتسم المنبر من فرحة   بقائم من فوق أعواده
كأنني بعد قليل به   بين مواليه وقواده
في جحفل تخفق راياته   قد طبق الأرض باجناده

فأمر له موسى بألف دينار وطيب ورضي عنه بعد ان كان ساخطاً عليه

قال يحيى بن الربيع دخل أبو عبيد الله على المهدي وكان قد وجد عليه في أمر بلغه عنه – وأبو العتاهية حاضر – فجعل المهدي يشتم ابا عبيد الله ويتغيظ عليه ، ثم امر به فجر برجله وحبس . ثم اطرق المهدي طويلاً ، فلما سكن غضبه أنشده ابو العتاهية :

أرى الدنيا لمن هي في يديه   عذاباً كلما كثرت لديه
تهين المكرمين لها بصغر [1]   وتكرم كل من هانت عليه
اذا استغنيت عن شيء فدعه   وخذ ما أنت محتاج اليه

فتبسم المهدي ثم قال لأبي العتاهية أحسنت فقام أبو العتاهية فقال : ياأمير المؤمنين ما رأيت أحداً أشد اكراماً للدنيا ولا اضن بها ولا أشح عليها من هذا الذي جر برجله الساعة ، ولقد دخلت على أمير المؤمنين ودخل وهو أعز الناس فما برحت حتى رأيته أذل الناس ولو رضي من الدنيا بما يكفيه لاستوت

(١) كذا في الاغاني . وفي المختصر « بصغر »

أحواله ولم تتفاوت . فتبسم المهدي ودعا بأبي عبيد الله ورضي عنه ، وكان أبو عبيدالله يشكر ذلك لأبى العتاهية

كان اسحق بن عزيز يتعشق عبادة جارية المهلبية ، وكانت المهلبية منقطعة الى الخيزران ، فركب أسحق يوماً ومعه عبد الله بن مصعب يريدان المهدي فلقيا عبادة فقال اسحق : يا أبا بكر هذه عبادة . وحرك دابته حتى سبقها فنظر اليها فجعل عبد الله بن مصعب يتعجب من فعله . ودخلا على المهدي فحدثه عبد الله ابن مصعب الحديث فقال : أنا أشتريها لك يا أبا اسحق . فدخل على الخيزران فدعا بالمهلبية فحضرت فاعطاها بعبادة خمسين الف درهم فقالت يا أمير المؤمنين ان كنت تريدها لنفسك هي لك . فقال انما أريدها لاسحق بن عزيز . فبكت وقالت : أتؤثر عليَّ اسحاق وهي يدي ورجلي ، ولساني في حوائجي . فقالت الخيزران لها عند ذلك : مايبكيك ؟ والله لاوصل اليها ابن عزيز أبداً ، صار يتعشق جواري الناس ؟ فخرج المهدي فأخبر ابن عزيز بما جرى وقال له : الخمسون الفا لك مكانها . فأخذها ولهاعن عبادة . فقال أبو العتاهية يعيره بذلك :

من صدق الحبَّ لاحبابه ... فان حب ابن عزيز غرور
انساه عبادة ذات الهوى ... وأذهب الحب الذي في الضمير
خمسون الفا كلها رُجَّح ... خشن لها في كل كيس صرير

قال مسعود بن بشر المازنى : لقيت ابن مناذر بمكة . فقلت له : من أشعر أهل الاسلام ؟ فقال : من اذا شئت هزل ، واذا شئت جد . قال من ؟ قال مثل جرير حيث يقول في النسيب :

ان الذين غدوا بلبك غادروا ... وشــلا بعينك مايزال معينا
غيضن من عبراتهن وقلن لي ... ماذا لقيت من الهوى ولقينا
مضر أبي وأبو الملوك فهل لـكم ... ياآل تغلب من أب كابينا

قال :ثم أبو العتاهية[1] . قلت فبماذا ؟ قال في قوله :

الله بيني وبين مولاتي أبدت لي الصد والملالات
لا تغفر الذنب ان أسأت ولا تقبل عذري ولا مواتاتي
منحتها مهجتي وخالصتي فكان هجرانها مكافاتي
أقلقني حبها وصيرني أحدوثة في جميع جاراتي
ومهمه[2] قد قطعت طامسة قفر على الهول والمخافات
بحرّة جسرة عذافرة خوصاء عيرانة علندات
تبادر الشمس كلما طلعت بالسير تبغي بذاك مرضاتي
[يا ناق خبّي بنا ولا تعدي نفسك مما ترين راحات]
حتى تناخي بنا الى ملك توّجه الله بالمهابات
عليه تاجان فوق مفرقه : تاج جلال وتاج اخبات
يقول للريح كلما عصفت : هل لك ياريح في مباراتي
من مثل من عمه الرسول ومن اخواله[3] أكرم الخؤولات

ولما ولي موسى الهادي الخلافة قال أبو العتاهية يمدحه وكان واجدا عليه :

يضطرب الخوف والرجاء اذا حرك موسى القضيب أو فكر
ما أبين الفضل في مغيّب ما أورد من رأيه وما أصدر
يثمر من مسّه القضيبُ ولو يمسه غيره لما أثمر
من مثل موسى ومثل والده المهدى أو جده ابى جعفر

فرضي عنه . ودخل عليه وأنشده قصيدته التي أولها :

لهفي على الزمن القصير بين الخورنق والسدير

(١) كانت في الاصل . « ثم قال أبو العتاهية » ونظنه خطأ ناسخ
(٢) في المختصر « ولها » وصححناه من الاغاني
(٣) في المختصر « نفي خؤولكم »

فاجزل صلته وعاد له الى أفضل ما كان عليه

قال أبو حاتم قدم علينا أبو العتاهية في خلافة المأمون فصار اليه أصحابنا فاستنشدوه فانشدهم :

ألم تر ريب الدهر في كل ساعة ... له عارض فيه المنية تلمع

أيا باني الدنيا لغيرك تبتني ... ويا جامع الدنيا لغيرك تجمع

أرى المرء وثابا على كل فرصة ... والمرء يوما لامحالة مصرع

تبارك من لا يملك الملك غيره ... متى تنقضي حاجات من ليس يشبع

وأي امريء في غاية ليس نفسه ... الى غاية أخرى سواها (١) تطلع

وكان يقال لو اعين طبع ابي العتاهية بجزالة اللفظ لكان أشعر الناس

قال محمد بن أبي العتاهية كان أبي لا يفارق الرشيد في سفر ولا حضر الا في طريق الحج وكان يُجري عليه في كل سنة خمسين الف درهم فلما قدم الرشيد الرقة لبس أبي الصوف وتزهد وترك حضور المنادمة وقول الغزل فامر الرشيد بحبسه فحبس ، فكتب اليه أبياتا منها :

تذكر أمين الله حقي وحرمتي ... وما كنت توليني وذلك يذكر

ليالي تدني منك بالقرب مجلسي ... ووجهك من ماء البشاشة يقطر

فمن ليَ بالعين التي كنت مرة ... اليَّ بها في سالف الدهر تنظر

فلما قرأها الرشيد قال : قولوا له لا بأس عليك . فكتب اليه من أبيات :

أمين الله ان الحبس بأس ... وقد أرسلت ليس عليك بأس

ولما حبس جعل في بيت خمسة أشبار في مثلها فصاح : الموت ، اخرجوني أنا أقول كل ما شئتم . فقيل له قل . فقال : حتى أتنفس . فاخرج واعطى دواة وقرطاسا فقال أبياته التي أولها :

---

(١) في المختصر « اليها » وصححناها من الاغاني

من لعبد أذله مولاه ماله شافع اليه سواه
يشتكي ما به اليه ويخشـــاه ويرجوه مثل ما يخشاه

ودفعت الى مسرور الخادم فاوصلها الى الخليفة، فأحضر أبا العتاهية واستنشده وأمر له بخمسين الف درهم

ولابي العتاهية في الرشيد لما حبسه أشعار كثيرة منها :

لاأراك ألله سوءا أبدا مارأت مثلك عيني أحدا
يارشيد الرأي أرشدني الى وجه نجحي لاعدمت الرشدا
أعن الخائف وارحم صوته رافعا نحوك يدعوك يدا
وابلائي من دواعي آثل[1] كلما قلت تدانى بعدا
كم أمني بغد بعد غد ينفد العمر ولم الق غدا

ومر القاسم بن الرشيد في موكب عظيم وكان من أتيه الناس وابو العتاهية جالس مع قوم على ظهر الطريق فقام ابو العتاهية حين رآه اعظاما له فلم يزل قائما حتى جاوزه فجاز ولم يلتفت اليه فقال أبو العتاهية :

يتيه ابن آدم من جهله كأن رحى الموت لاتطحنه

فسمعه بعض من في موكبه فأخبر به القاسم فبعث الى ابي العتاهية وضربه مائة مقرعة وقال له : يا ابن الفاعلة اتعرّض بي في مثل ذلك الموضع ؟ وحبسه في داره فدس ابوالعتاهية الى زبيدة بنت جعفر هذه الابيات وكانت توجه له[2] :

حتى متى ذو التيه في تيهه اصلحه الله وعافاه
يتيه اهل التيه من جهلهم وهم يموتون وان تاهوا

(١) كذا في المختصر ، ولعله من تأثيل المال أو الملك وهو تعظيمه وتثبيته . وفي طبعة بولاق من الاغاني « دعاوى آمل » (٢) كذا في الاغاني وفي المختصر « توجب له »

من طلب العز ليبقى به   فان عز المرء تقواه
لم يعتصم بالله من خلقه   من ليس يرجوه ويخشاه

وكتب اليها بحاله وضيق حبسه . وكانت مائلة اليه فرثت له واخبرت الرشيد بامره وكلمته فيه ، فاحضره وكساه ووصله وأطلقه ، ثم لم يرض عن القاسم حتى بره وادناه واعتذر اليه

بعث الرشيد من يستخرج له مالا من بقايا الخراج ، فجبى مالا عظيما ، ووافى به باب الرشيد فامر بصرف المال اجمع الى بعض جواريه ، فاستعظم الناس ذلك وتحدثوا به واخذ ابا العتاهية من ذلك شبهُ الجنون فقيل له مالك ؟ فقال : سبحان الله ، ايدفع هذا المال الجليل الى امرأة ولا يتعلق كفي بشيء منه ؟ ثم دخل على الرشيد بعد أيام فانشده :

الله هوّن عندك الـ   ـدنيا وبغضها اليكا
فابيت إلا ان تصغّـ   ـر كل شيء في يديكا
ماهانت الدنيا على   أحد كما هانت عليكا

قال فقال الفضل بن الربيع : يا أمير المؤمنين مامدحت الخلفاء باصدق من هذا المدح ، فقال : يافضل اعطه عشرة [1] آلاف درهم ، فغدا أبو العتاهية على الفضل فانشده :

اذا ما كنت متخذا خليلا   فمثل الفضل فاتخذ الخليلا
يرى الشكر اليسير له عظيما   ويعطي من مواهبه الجزيلا
اراني حيث مايممت طرفي   وجدت على مكارمه دليلا

فقال له والله لولا ان اساوي امير المؤمنين لاعطيتك مثلها ثم اعطاه ماامر له

(١) كذا في المختصر وفي طبعة بولاق من الاغاني عشرين

به الرشيد وزاده خمسة آلاف من عنده

قال هرون بن سعدان : كنت مع ابى نواس قريبا من دور بنى نوبخت وعنده جماعة، فجعل يمر به الحجاب والقواد وبنو هاشم وهو متكيء ممدود الرجل لايتحرك لاحد منهم حتى نظرنا اليه (١) وقد قبض رجليه ووثب فقام الى شيخ وقد اقبل على حمار له فاعتنقه ووقف ابو نواس يحادثه ولم يزل واقفا يرفع رجلا ويضع اخرى. ثم مضى الشيخ ورجع ابو نواس الينا وهو يتاوه فقال له بعض من حضر: والله لانت اشعر منه . فقال والله ماراأيته قط الا ظننت انه سمائى وانا أرضه

وقيل لبشار : من أشعر اهل زماننا ؟ فقال : مخنث اهل بغداد . يعنى ابا العتـاهية

قال ابو العتاهية ماتت بنت المهدى فحزن عليها حزنًا شديداً حتى امتنع من الطعام والشراب فقلت ابياتاً اعزيه فيها فوافيته وقد سلا وقد ضحك واكل وهو يقول لابد من الصبر على ما لابد منه وان سلونا عمن فقدنا ليسلون عنا من يفقدنا ولايأتي الليل والنهار على شيء الا ابلياه . فلما سمعت هذا قلت: ياامير المؤمنين اتأذن لي ان انشدك ؟ قال : هات ! فانشدته :

ماللجـديدين لا يبلى اختلافهما ... وكل غض جديد فيهما بالي
يامن سلا عن حبيب بعد ميتته ... كم بعد موتك ايضا عنك من سال
كأن كل نعيم انت ذائقه ... من لذة العيش يحكي لمعة الآل
لاتلعبن بك الدنيا وانت ترى ... ماشئت من عبر فيها وامثال (٢)

---

(١) كان فى المختصر « نظرنا اليه مالكية وقد قبض » ولفظ مالكية ليس بالاغاني ولم نر له معنى

(٢) كذا في الاغانى. وفي المختصر:

لاتبلغن بك الدنيا وأنت ترى ... ماشئت من غير منها وأمثال

ماحيلة الموت الا كل صادقة　　أو لا فما حيلة فيه تختال

فقال : احسنت واصبت مافي نفسي ووعظت فأوجزت . وامر له عن كل بيت بالف درهم

ولما مات موسى الهادى قال الرشيد لابي العتاهية : قل غزلا . فقال : لا أقول شعرا بعد موسى . فحبسه . وأمر ابرهيم الموصلى ان يغنى فقال : لااغني بعد موسى وكان محسنا اليهما . فحبسه . فلما شخص الى الرقة حفر لهما حفرة واسعة وقطع بينهما بحائط وقال كونا بهذا المكان لاتخرجا منه حتى تشعر أنت ويغني هذا. فصبرا على ذلك برهة من الزمان وكان الرشيد يشرب ذات يوم وجعفر بن يحي معه ، فغنت بعض الجوارى صوتا فاستحسناه وطربا منه طربا شديدا وكان بيتا واحدا ، فقال الرشيد ما كان أحوجه الى بيت ثان ليطول الغناء ونستمتع بمدة طويلة . فقال له جعفر : قد أصبته . قال : من أين ؟ قال : تبعث الى أبي العتاهية فيلحقه به . فقال : هو انكد من ذلك ولا يجيبنا وهو محبوس ونحن في نعيم وطرب . قال : بل يجيب . قال : أكتب اليه حتى نعلم ما قلت . فكتب اليه بالقصة وقال : الحق لنا بالبيت بيتا آخر. فكتب اليه أبو العتاهية :

شُغل المسكين عن تلك المحن　　فارق الروح وأخلى عن بدن

ولقد كُلفت أمرا عجبا　　أسأل التفريح من بيت الحزن

فلما وصلت الرقعة قال الرشيد : قد عرفتك انه لا يفعل. قال : فتخرجه حتى يفعل . قال : لا حتى يشعر فقد حلفت . فاقام أياما لايفعل . ثم قال ابوالعتاهية لابراهيم : الى كم هذا الخلاف ؟ هلم حتى اقول شعرا وتغني فيه . فقال : افعل . فقال أبو العتاهية :

بأبي من كان في قلبي له[1] مرة حب قليل فسرق
يابني العباس فيكم ملك شعب الاحسان منه تفترق
انما هرون خير كله مات كل الشر مذ يوم خلق

وغنى به ابراهيم فدعا بهما الرشيد فانشده أبو العتاهية وغناء ابرهيم فاعطى كل واحد منهما مائة الف درهم ومائة ثوب

وغضب الرشيد على جارية له فحلف لا يدخل اليها أياماً ثم ندم وقال :

صدّعني إذ رآني مفتتن وأطال الصد لما ان فطن
كان مملوكي فأضحى مالكي انّ هذا من أعاجيب الزمن

ثم قال لجعفر بن يحيى أطلب مَن يزيد على هذين البيتين فقال ليس غير أبي العتاهية . فبعثوا اليه فاعتذر، فأمر فاطلاقه وصلته فقال : الآن طاب القول ثم قال :

عزة الحب أرته ذلتي في هواه وله وجه حسن
ولهذا صرت مملوكا له ولهذا شاع مابي وعلن

فقال : أصبت ما في نفسي ووصله ثانياً

قال مخارق : لقيت أبا العتاهية على الجسر فقال : ياأبا اسحق أنشدني قولك في تبخيلك الناس كلهم. فضحك وقال : هاهنا ؟ قلت : نعم . فانشدني :

ان كنت متخذاً خليلا فتنقَّ وافتقد الخليلا
من لم يكن لك منصفاً في الود فابغ به بديلا
ولربما سئل البخيل الشيء لايسوى فتيلا
فيقول لا أجد السبيل اليه ، يكره أن ينيلا
ولذاك لاجعل الاله له الى خير سبيلا

(١) كذا في الاغاني وكانت في المختصر « بأبي من كان ساقي قلبه »

فاضرب بطرفك حيث شئـ ـت فلن ترى الا بخيلا

فقلت له أفرطت يا أبا أسحق. قال فديتك فأ كذبني بجواد واحد. فأحببت موافقته فالتفت يمينًا وشمالا ثم قلت ما أجد أحداً فقبل بين عيني ثم قال فديتك يابني لقد رفقت حتى كدت تسرف (١)

قال شبيب بن منصور كنت واقفاً على باب الرشيد واذا رجل شعث الهيئـة على بغل قد جاء فوقف وجعل النـاس يسلمون عليـه ويسائلونه ويضاحكونه ثم يسأل الناس عن أحوالهم فواحد يقول كنت منقطعاً الى فلان فلم يصنع بي خيراً وآخر يقول املت فلانا فخيب أملي، فقال الرجل:

فتشت ذي الدنيا فليس بها أحد أراه لآخر حامد

حتى كأن الناس كلهم قد افرغوا في قالب واحد

فسألت عنه فقيل: هـذا أبو العتاهية

كان احمد بن يوسف صديقا لأبي العتاهية فلما خدم المأمون وخص به رأى منه أبو العتاهية جفوة، فكتب اليه.

أباجعفر ان الشريف يهينه (٢) تتايهه على الاخلاء بالوفر

ألم تر ان الفقر يرجى له الغنى وان الغنى يخشى عليه من الفقر

فان نلت تيها بالذي نلت من غنى فان غنائي بالتجمل والصبر

فبعث اليه بألفي درهم واعتذر اليه مما انكره عليه

قال ابو جعفر قلت لأبي العتاهية اجزلي قول الشاعر:

وكان المـال يأتينا وكنا نبـذره وليس لنـا عقول

فلمـا ان تولى المـال عنـا عقلنا حين ليس لنا فضول

(١) كذا في الاغاني. وفي المختصر «وفقت حتى كدت تشرب»

(٢) كذا في المختصر. وفي الاغاني «يشينه»

فقال ابو العتاهية :

فقصرْ ماترى بالصبر حقا   فكلٌّ ان صبرت له يزول

قال ابو العتاهية لابنه وقد غضب عليه : اذهب فانك ثقيل الظل جامد الهواء

قال حبيب بن الجهم النميري [1] حضرت الفضل بن الربيع فاذا عون حاجبه قد جاءه فقال هذا أبو العتاهية قد جاءك من مكة يسلم عليك فقال اعفني منه فالساعة يشغلني عن ركوبي. فخرج اليه عون فقال انه على الركوب الى أمير المؤمنين . فأخرج من كمه نعلا عليها شراك فقال له قل له ان أبا العتاهيـة قد أهداها اليك . فدخل بها . فقال ماهذه ؟ فقال نعل وعلى شراكها كتابة . فقال ياحبيب اقرأ ماعليها . فقرأته فاذا هو :

نعل بعثت بها ليلبسها   قرم بها يمشي الى المجد

لو كان يصلح أن أشرّكها   خدي جعلت شراكها خدي

فقال لعون احملها معنا فلما دخل على الامين قال له : ياعباسي ماهذه النعل فقال أهداها الى أبو العتاهية وكتب عليها بيتين من شعر وكان أمير المؤمنين أولى بأن يلبسها لما وصف به لابسها . فقال : وما هما ؟ فقرأهما فقال : أجاد وما سبقه احد الى هذا المعنى هبوا له عشرة آلاف درهم فاخرجت في بدرة وهو راكب حمار فقبضها وانصرف

وكان ابو العتاهيـة من اقل الناس معرفة ، قال له بشر المريسي ياأبا اسحق لاتصلّ خلف فلان امام مسجدك فانه مشبّه. فقال : كلا فانه قرأ بنا البارحة قل هو الله احد . واذا هو يظن ان المشبه لايقرا قل هو الله احد.

(١) كذا في الاغاني . وكان في المختصر «حبيب بن الجهم النجيري»

كتب بكر بن المعتمر الى أبي العتاهية يشكو اليه ضيق القيد وغم السجن ، فكتب اليه أبو العتاهية :

هي الأيام والعِبَر وأمر الله ينتظر
اتيأس أن ترى فرجا فأين الله والقدر

قال بعضهم كنت أمشي مع أبي العتاهية فنظر الى الناس يذهبون ويجيئون فقال : أما تراهم هذا يتيه فلا يتكلم وهذا يتكلم بصلف . ثم قال لي : مرّ بعض أولاد المهلب بمالك بن دينار وهو يخطر فقال له يابني لو خفضت بعض هذه الخيلاء ألم يكن أحسن بك من هذه الشهرة التي قد شهرت بها نفسك ؟ فقال له الفتى : أما تعرف من أنا ؟ فقال : بلى والله اعرفك معرفة جيدة أولك نطفة مذرة ، وأخرك جيفة قذرة ، وأنت بين ذينك تحمل العذرة . قال : فارخى الفتى أذنيه وطأطأ رأسه ومضى وكف عما كان يفعله

قال أبو دلف العجلي : حججت فرأيت أبا العتاهية واقفاً على اعرابي في ظل ميل [1] وعليه شملة اذا غطى بها رأسه بدت رجلاه واذا غطى رجليه بدا رأسه فقال أبو العتاهية : كيف اخترت هذا البلد القفر على البلدان المخصبة ؟ فقال له : ياهذا لولا ان الله قنع بعض العباد بشر البلاد ماوسع خير البلاد كل العباد . فقال له فمن أين معاشكم ؟ قال : منكم معشر الحاج تمرون بنا فننال من فضولكم وتنصرفون . فقال له : انما نمر ونصرف في وقتين من السنة فمن أين معاشكم في سائر السنة ؟ فاطرق الاعرابي ثم قال : والله ما أدرى ما أقول إلا انا نرزق من حيث لانحتسب . فولى أبو العتاهية وهو يقول :

ألا ياطالب الدنيا دع الدنيا لشانيكا
وما تصنع بالدنيا وظل الميل [2] يكفيكا

(١) كذا في طبعة بولاق من الاغاني . وفي المختصر « جبل »
(٢) كذا في الاغاني . وفي المختصر « الليل »

هب الدنيا تواتيكا أليس الموت يأتيكا
كما أضحكك الدهر كذاك الدهر يبكيكا

ولما أنشده:

تعالى الله ياسلم بن عمرو اذل الحرصُ أعناق الرجال

قال سلم: ويلى على ابن الفاعلة كنز البدر ويزعم انى حريص وأنا في ثوبى هذين. ولما أنشد المأمون هذا البيت قال ان الحرص لمفسد للدين والله ماعرفت من رجل قط حرصاً ولا شرها فرأيت فيه مصطنعا

ولما جلس الأمين في الخلافة أنشده أبوالعتاهية:

يا ابن عم النبي خير البريه انما أنت رحمة للرعيه
ياإمام الهدى الأمين المصفى يا لُباب الخلافة الهاشميه
لك نفس أمّارة لك بالخير وكف بالمكرمات نديه
ان نفساً تحملت منك ماحملت المسلمين نفس قويه

قال وأحست زبيدة من المأمون بجفاء فوجهت الى أبى العتاهية تعلمه بذلك وتأمره أن يعمل فيه أبياتاً تعطفه عليها فقال:

ألا ان صرف الدهر يدنى ويبعد ويونس بالالاف طراً ويفقد
أصاب لريب الدهر مني يدى يدى فسلمت للأقدار والله أحمد
وقلت لريب الدهر ان سلمت يد فقد بقيت ـ والحمد لله ـ لى يد
اذا بقى المأمون لى فالرشيد لى ولى جعفر لم يفقدا ومحمد

فحسن موقع الأبيات من المأمون وعاد الى أحسن مما كان لها عليه. ويقال انها بعثت بهذه الأبيات الى مخارق فغناها المأمون فسأله المأمون عن الخبر فعرفه الصورة فبكى ورق لها وقام من وقته فدخل اليها وقبل يدها وقال لها: ياأمه ماجفوتك تعمداً ولكن شغلت عنك بما لايمكن اغفاله. فقالت: ياأمير

المؤمنين اذا حسن رأيك لم يوحشني بعدك . فسر بذلك وتم يومه عندها

قال العباس بن سليمان بن شيبان بن عبد الملك بن مسمع[1] كنا عند قثم بن جعفر بن سليمان[2] وعنده أبو العتاهية ينشده في الزهد فقال لي قثم : ياعباس أطلب لي الساعة الجماز حيث كان ولك عندي سبق . فطلبته فوجدته عند ركن دار جعفر بن سليمان فقلت : أجب الامير . فقام معي حتى أتى قثم فسلم فجلس في ناحية مجلسه وأبو العتاهية ينشده ، فأنشد الجماز :

ما أقبح التزهيد[3] من واعظ ... يزهّد الناس ولا يزهد
لو كان في تزهيده صادقا ... أضحى وأمسى بيته المسجد
يخاف أن تنفد ارزاقه ... والرزق عند الله لا ينفد
والرزق مقسوم على من ترى ... يناله الابيض والاسود

فالتفت ابو العتاهية اليه وقال : من هذا ؟ قالوا : الجماز . وهو ابن أخت سلم الخاسر اقتص لخاله منك . فاقبل عليه وقال : يا ابن أخي اني لم اذهب حيث ظننت ، ولا حبطت خالك ، ولا أردت أن أهينه به[4] ، وانما خاطبته كما يخاطب الرجل صديقه والله يغفر لكما . ثم قام فخرج فكتب للملك فيما بعد :

تعالى الله ياسلم بن عمرو ... أذل الحرص أعناق الرجال

ثم خرج الى دار ام جعفر فقالت له أنشدني ما أنشدت أمير المؤمنين فقال :

ياعمود الاسلام خير عمود ... والذي صيغ من حياء وجود
والذي فيه مايسلي ذوي الاحـ ... زان عن كل هالك مفقود

(١) كذا في المختصر . وفي طبعة بولاق من الاغاني « العباس بن عبيد الله بن سنان ابن عبد الملك بن مسمع » (٢) كذا في الاغاني وكانت في المختصر « عند عمر بن سليمان »
(٣) كذا في الاغاني . وكانت في المختصر « الزهد »
(٤) كذا في المختصر . وفي الاغاني « حيث ظننت ولا ظن خالك . ولا أردت أن أهتف به » وكلاهما لا يستقيم

والامين المهذب الهاشمي القرم محض الآباء محض الجدود
ان يوماً أراك فيه ليوم طلعت شمسه بسعد السعود

فقالت له أم جعفر : الآن وفيت المديح حقه . وأمرت له بعشرة آلاف درهم

قال صالح بن الرشيد كنا عند المأمون وعقيد المغني وعمرو بن بانة يغنيان وعيسى بن زينب المراكبي حاضر وكان مشهوراً بالابنة فغنى عقيد في شعر قيل في عيسى وضمن فيه البيت الاول :

ياعمود الاسلام خير عمود والذي صيغ من حياء وجود
لك عندي في كل يوم جديد طرفة تستفاد يا ابن الرشيد

فقال المأمون لعقيد : أنشدني باقي الابيات . فقال : أصون سمع أمير المؤمنين عنها . فقال : هاته ويحك أن جميل الادب وغيره جميل . فانشده :

كنت في مجلس أنيق وريحان وراح ومسمعات وعود
فتغنى عمرو بن بانة اذ ذاك وهو ممسك باير عقيد
ياعمود الاسلام خير عمود والذي صيغ من حياء وجود
فتنفست ثم قلت كذا كل محب صب الفؤاد عميد

فقال يا أمير المؤمنين[1] لعيسى بن زينب والله لا فارقتك حتى تخبرني عن تنفسك عند قبض عمرو على أير عقيد لاى شيء تنفست لابد ان يكون ذلك أسفاً عليه بعينه أوعلى مايكون مثله لعن الله تنفسك هذا ياميريب . وسمى هذا المراكبيّ لان أباه عبد الله بن اسماعيل صاحب مراكب المنصور وامه زينب بنت بشر صاحب طاقات بشر نائب الشام

---

(١) كذا في المختصر . ولعل حرف « يا » زائد

اجتمع أبو نواس وأبو الشمقمق في بيت ابن أذين وجاء أبو العتاهية وكان بينه وبين أبي الشمقمق شر فخبأوه من ابي العتاهية في بيت . ودخل أبو العتاهية فنظر الى غلام عندهم فيه تأنيث فظن انه جارية . فقال لابن اذين : متى حصلت هذه الجارية ؟ فقال: قريبا ياابااسحق. ثم قال له : قل فيها ما حضر. فمد أبو العتاهية يده فقال .

مددت كفي نحوكم سائلا   ماذا تردون على السائل

فلم يلبث أبو الشمقمق حتى ناداه من البيت :

ترد في كفك ذا فيشة   يشفي جوى في استك من داخل

فقال أبو العتاهية شمقمق والله . وقام مغضبا

وقال سليمان بن مناذر كنت عند جعفر بن يحيي وأبو العتاهية حاضر . فقال أبو العتاهية لجعفر : جعلني الله فداك عندكم شاعر يعرف بابن أبي أمية أحب ان أسمعه ينشد . فقال جعفر: هو أقرب الناس منك . فاقبل أبو العتاهية على ابن أبي أمية وساله أن ينشده فانشد .

ان وعدا منك لا أنساه لى   أوجب الشكر وان لم تفعل
أقطع الدهر بوعد حسن   وأجلى غمرة ماتنجلي
كلما أملت يوما (١) صالحا   عروض المكروه دون الامل
وأرى الايام لاتدني الذي   أرتجي منك وتدني أجلى

فاقبل أبو العتاهية يردد البيت الاخير ويقبل رأس ابن أبي أمية ويبكي ويقول: وددت انه لى بكثير من شعري

وكانت لابى العتاهية بنتان تسمى أحداهما لله والاخرى بالله فخطب منصور ابن المهدى لله فلم يزوجه وقال انما طلبها لانها بنت أبى العتاهية وكأنى به قد ملها

(١) فى الاغاني « وعداً »

فلم يكن الى الانتصاف منه سبيل وما كنت لازوجها الا لبائع الخزف ولكنى اختار لها موسرا

وكان له ابن يقال له محمد وكان شاعرا وهو القائل :

قد أفلح الساكت الصموت   كلام واعي الكلام قوت (١)

ما كل نطق له جواب   جواب ما يكره السكوت

يا عجباً لامرئ ظلوم   مستيقن أنه يموت

وفي شعر أبي العتاهية :

ما أسرع الايام في الشهر   واسرع الاشهر في العمر

ليس لمن ليست له حيلة   موجودة خير من الصبر

فاخط مع الدهر إذا ماخطا   واجر مع الدهر كما يجري

من سابق الدهر كبا كبوة   لم يستقلها آخر الدهر

قال أبو العتاهية : مازال الفضل بن الربيع من أميل الناس الى فلما رجع من خراسان بعد موت الرشيد دخلت اليه فاستنشدني . فانشدته من أبيات :

أفنيت عمرك ادباراً وقبالا   تبغي البنين وتبغي الاهل والمالا

الموت هول فكن ماعشت ملتمساً   من هوله حيلة ان كنت محتالا

ألم تر الملك الامسي حين مضى   هل نال حي من الدنيا كما نالا

أفناه من لم يزل يفني القرون فقد   أمسى وأصبح عنه الملك قد زالا

كم من ملوك مضى ريب الزمان بهم   قد اصبحوا عبرا فينا وأمثالا

فاستحسنها وقال لى : أنت تعرف شغلي . فعد الى وقت فراغي أقعد معك وآنس بك . فلم أزل أراقب ايامه حتى كان يوم فراغه فصرت اليه فيه . فبينا هو مقبل على يسألنى ويستنشدنى اذ أنشدته :

(١) في الاغاني « السالم الصموت » وفى المختصر « كلام راعى »

ولى الشباب فماله من حيلة وكسا ذؤابتي المشيب خمارا
أين البرامكة الذين عهدتهم بالامس أعظم أهلها اخطارا

فلما سمع ذكر البرامكة تغير لونه، ورأيت الكراهية في وجهه، فما رأيت منه خيراً بعد ذلك

قال أبو العتاهية: وحدثت بذلك أبا محمد الحسن بن سهل. فقال: لئن كان ذلك ضرك عند الفضل بن الربيع لقد نفعك عندنا. وأمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب وأجرى له في كل شهر ثلاثة آلاف درهم. فلم يزل يقبضها حتى مات

قال أبو العتاهية: حبسني الرشيد لما تركت قول الشعر. فادخلت السجن وأغلق الباب. فدهشت كما يدهش مثلي لمثل تلك الحال. فاذا أنا برجل جالس في جانب الحبس مقيد. فجعلت أنظر اليه ساعة. ثم تمثل:

تعودت مس الضر حتى ألفته وأسلمني حسن العزاء الى الصبر
وصيرني يأسي من الناس راجيا لحسن صنيع الله من حيث لا أدري
ووسع صبري للاذى كثرة الاذى وان كان أحيانا يضيق به صدري

فقلت: أعد أعزك الله هذين البيتين. فقال: ويحك يا أبا العتاهية. ما أسوأ أدبك، وأقل عقلك. دخلت علي السجن فما سلمت تسليم المسلم على المسلم، ولا سألت مسألة الحر للحر، ولا توجعت توجع المبتلى للمبتلى. حتى اذا سمعت أبياتا من الشعر الذي لافضل فيك غيره لم تصبر عن استعادته، ولم تقدم قبل مسألتك عنه عذرا لنفسك في طلبه. فقلت: يا أخي اني دهشت لهذه الحال. فلا تعذلني واعذرني متفضلا بذلك. فقال: والله أنا أولى بالدهش والحيرة منك. لانك حبست في ان تقول شعرا به ارتفعت وبلغت ما بلغت،

فاذا قلتَ أمنت . وأنا مأخوذ بان أدل على ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتل أو أقتل دونه . ووالله لا أدل عليه أبدا والساعة يدعى بي فاقتل . فاينا أحق بالدهش . فقلت : أنت والله أولى ، سلمك الله وكفاك . ولو علمت ان هذا حالك ماسألتك . فقال : لانبخل عليك اذا . ثم أعاد الابيات حتى حفظتها فسألته من هو . فقال: انا حاضر[1] داعية عيسى بن زيد وابنه احمد. ولم نلبث ان سمعنا صوت الاقفال فقام فسكب عليه ماء كان عنده في جرة ولبس ثوبا نظيفاً ثم دخل الحرس والجند ومعهم الشمع فاخرجنا جميعاً وقدّم قبلي الى الرشيد وسأله عن احمد بن عيسي . فقال : لاتسألني عنه واصنع ما أنت صانع فلو انه تحت ثوبي ما كشفته عنه. فأمر بضرب عنقه فضربت . ثم قال : اظنك قد ارتعت . فقلت : دون ما رايت تسيل منه النفوس . فقال : ردوه الى محبسه . فرددت وانتحلت البيتين وزدت فيهما :

اذا انا لم اقبل من الدهر كلّ ما   تكرهت منه طال عتبي على الدهر

قيل لابي العتاهية : مالك تبخل بما رزقك الله . فقال : والله مابخلت بما رزقني الله قط .

قيل وكيف ذلك وفي بيتك من المال مالا يحصي . فقال : ليس ذلك رزقي ولو كان رزقي لانفقته

قال محمد بن عبد الملك الزيات : لما احس المعتصم بالموت قال لابنه الواثق : ذهب والله ابوك ياهارون . لله در ابي العتاهية حيث يقول :

الموت بين الخلق مشترك   لاسوقة يبقى ولا ملك

ماضر أصحاب القليل وما   أغنى عن الاملاك ماملكوا

قال أبو العتاهية : دخلت على يزيد بن مزيد ، فانشدته قصيدتي التي

---

(١) في طبعة بولاق من الاغاني « خاص »

قلت فيها :

كانك في صدري اذا جئت زائراً   تقدر فيه حاجتي بابتدائكا
وان أمير المؤمنين وغيره   ليعلم فى الهيجاء فضل غنائكا
كانك عند الكر في الحرب انما   تفر من السلم الذي من ورائكا
فما آفة الابطال غيرك في الوغى   ولا آفة الاموال غير حبائكا

قال : فاعطاني عشرة آلاف درهم ودابة بسرجها ولجامها

قال أبو تمام الطائى : لابي العتاهية خمسة أبيات ماشاركه فيها أحد ، ولا قدر على مثلها متقدم ولامتأخر . فمنها قوله :

الناس فى غفلاتهم   ورحى المنية تطحن

وقوله :

ألم تر أن الفقر يرجى له الغنى   وان الغنى يخشى عليه من الفقر

وقوله :

ولما استقلوا بأثقالهم   وقدازمعوا للذى ازمعوا
قرنت التفاتى بآثارهم   وأتبعتهم مقلة تدمع

وقوله في موسى الهادي :

هب الدنيا تساق اليك عفوا   أليس مصير ذاك الى الزوال

مر عابد براهب فى صومعة فقال له : عظنى . فقال : أعظك وعليكم نزل القرآن ، ونبيكم محمد صلى الله عليه وسلم قريب العهد بكم ؟ قال قلت : نعم . قال : فاتعظ ببيت شعر لشاعركم ابى العتاهية حيث يقول :

تجرد من الدنيا فانك انما   وقعت الى الدنيا وأنت مجرد

مات شيخ ببغداد فدفن وأقبل الناس على أخيه يعزونه . فجاء أبو العتاهية اليه وبه جزع شديد فعزاه ثم أنشده :

لا تأمن الدهر والبس   لكل حين لباسا
ليدفننا   أناس كما دفنا اناسا

قال : فانصرف الناس وما حفظوا غير قول ابى العتاهية

قال بعضهم : كنت في مجلس خزيمة بن خازم وعنده ابوالعتاهية . فذكر خزيمة ماسفك من الدماء . ثم قال : والله مالنا عند الله عذر ولا حجة الا رجاء عفوه ومغفرته . ولولا عز السلطان وكراهة الذلة وان أصير بعد الرياسة سوقة وتابعاً وكنت ملكا متبوعا ما كان فى الارض أزهد ولا أعبد منى . فاذا هو بالحاجب قد دخل عليه برقعة من أبي العتاهية فيها مكتوبُ :

أراك امرءا ترجو من الله عفوه   وأنت على مالا يحب مقيم
تدل على التقوى وأنت مقصر   أيامن يداوي الناس وهو سقيم
وان امرءاً لم يلهه اليوم عن غد   تخوف ما يأتي به لحكيم
وان امرءا لم يجعل البر كنزه   وان كانت الدنيا له لعديم

فغضب خزيمة وقال : ما المعروف عند هذا الملحد المعتوه من كنوز البر فيرغّب فيه حرا . فقيل له : وكيف ذلك ؟ قال : ألا تقرأ «والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله »

كان الرشيد يعجبه غناء الملاحين فى الزلاّلات اذا ركبها . وكان يتأذى بفساد كلامهم ولحنهم. فقال: قولوا لمن معنا من الشعراء يعمل لهؤلاء شعرا يغنون فيه . فقالوا : ليس أحد أقدر على هذا من أبي العتاهية وهو في الحبس . قال: فوجه اليه الرشيد ان يقول فى ذلك شعراً ، ولم يأمر باطلاقه . فغاظه ذلك . فقال : والله لاقولن شعراً يحزنه ولا يسره ، فعمل :

خانك الطرف الطموح   أيها القلب الجموح

لدواعي الخير والشر دنو ونزوح
هل لمطلوب بذنب توبة منه نصوح
موت بعض الناس في الا ارض على قوم فتوح
سيصير المرء يوما جسدا مافيه روح
بين عيني كل حي عَلَم الموت يلوح
كلنا في غفلة والموت يغدو ويروح
لبني الدنيا من الدنيا غبوق وصبوح
رحن في الوشي وأقبلن عليهن المسوح
نُح على نفسك يامسكين ان كنت تنوح
لتموتن ولو عمرت ماعمر نوح

فبكى الرشيد بكاء شديدا وانتحب وكان من أغزر الناس دموعا وقت الموعظة وأشدهم عسفا وقت الغضب. فلما رأى الفضل بن الربيع كثرة بكائه أومأ الى الملاحين فسكتوا

ذكر (١) شعر أبي العتاهية :

عادني من الرجا (٢) نصب فدموع العين تنسكب
وكذاك الحب صاحبه يعتريه الهم (٣) والوصب
خير من يرجى ومن يهب ملك دانت له العرب
وحقيق ان يدان له من أبوه للنبي أب

لما عقد الرشيد لاولاده الثلاثة العهود ـ الامين والمأمون والمؤتمن ـ قال أبو العتاهية :

---

(١) كذا في الاصل. وانظر طبعة بولاق من الاغاني ٣ : ١٧٩

(٢) في الاغاني « ذكرها » (٣) كذا في الاغاني. وكانت في المختصر « الحب »

تجافى عن الدنيا وأيقن أنها ... مفارقة ليست بدار خلود
وشد عرى الاسلام منه بفتية ... ثلاثة أملاك ولاة عهود
هم خير أولاد لهم خير والد ... له خير آباء مضت وجدود
بنو المصطفى هرون حول سريره ... فخير قيام حوله وقعود
تقلب ألحاظ المهابة بينهم ... عيون ظباء في قلوب اسود

فوصله الرشيد صلة ما وصل مثلها شاعرا قط

قال الرياشى : قدم رسول ملك الروم ، فسأل عن أبى العتاهية ، فلقيه وأنشده من شعره ومضى الى بلاد الروم وذكره لملك الروم . فكتب ملك الروم يسأل الرشيد ان يوجه اليه بأبي العتاهية . فاستعفى منه وأباه

واتصل بالرشيد ان ملك الروم كتب بيتين (١) من شعر أبي العتاهية على أبواب مدينته وهما :

ما اختلف الليل والنهار ولا ... دارت نجوم السماء في الفلك
الا لنقل السلطان عن ملك ... قد انقضى ملكه الى ملك
وملك ذى العرش دائما أبدا ... ليس بفان ولا بمشترك

قال الرشيد لابي العتاهية : عظنى . فقال : أخافك . فقال له : أنت آمن. فقال :

لا تأمن الموت في طرف وفي نفس ... اذا تسترت بالابواب والحرس
واعلم بان سهام الموت قاصدة ... لكل مدرع منها ومترس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... ان السفينة لا تجري على اليبس

فبكى الرشيد حتى بل كمه

قال : مخارق جاءني ابو العتاهية يوما فقال لى: قد عزمت على أن أتزود

---

(١) الابيات الآتية ثلاثة كما ترى ، وهى فى الاغانى البيتان الاولان فقط

منك يوماً تهبه لى فتى تنشط له؟ فقلت متى شئت . فقال : اخاف ان تقطع بى . فقلت والله لافعلت ولو طلبنى الخليفة . فقال يكون ذلك في غد . فقلت افعل . فبا كرنى رسوله فجئت فادخلنى بيتاً نظيفاً فيه فرش نظيف ودعا بمائدة عليها خبز سميذ وجدي مشوى وبقل وخل فأ كلنا ، ثم دعا بسمك مشوى فاصبنا منه وغسلنا ايدينا وجاءوا بفا كهة وريحان والوان من الانبذة فقال : اختر مايصلح لك . فاخترت وشربت وصب قدحاً ثم قال : غننى في قولى :

قال لى أحمد ولم يدر مابي . أتحب الغداة عتبة حقا

فتنفست ثم قلت نعم حب جرى فى العروق عرقا فعرقا

فغنيته فشرب قدحاً وهو يبكى احر بكاء . ثم قال غني في قولى :

ليس لمن ليست له حيلة موجودة شيء سوى الصبر

فغنيته وهو يبكى وشرب قدحا آخر . ثم قال غني فديتك في قولى :

خليليَّ مالى لاتزال مضرتى تكون مع الاقدار حتماً من الحتم

فغنيته ومازال يقترح على واغنيه ويشرب حتى صارت العتمة . فقال لى . أحب ان تصبر على حتى ترى ما أصنع . فجلست فامر ابنه وغلامه فكسرا كل مابين أيدينا من النبيذ وآلته والملاهى . وأمر باخراج كل مافى بيته من النبيذ وآلته فأخرج جميعه فما زال يكسره ويصب النبيذ ويبكي حتى لم يبق من ذلك شيء . ونزع ثيابه واغتسل ولبس ثياب الصوف وعانقنى وبكى وقال : عليك السلام ياحبيبي وفرحي من الناس كلهم سلام الفراق الذى لالقاء بعده . وجعل يبكي ويقول : هذا آخر عهدك بي فى حال تعاشر أهل الدنيا . فظننتها بعض حماقاته فانصرفت فما لقيته زماناً . ثم تشوقته فأتيته فاستأذنت عليه فأذن لى فدخلت عليه فاذا هو قد أخذ قوصرتين فنقب احداهما وادخل رأسه ويديه فيها واقامها مقام القميص ونقب الاخرى فادخل رجليه منها واقامها مقام

السراويل . فلما رأيته نسيت ما كان عندى من الغم وضحكت ضحكا ماضحكت مثله قط فقال: من أي شيء تضحك لاضحكت ؟ فقلت: اسخن الله عينك ، أي شيء هذا ؟ من بلغك أنه فعل مثل هذا من الانبياء أو الصحابة أو الزهاد أو المجانين ؟ انزع عنك ياسخين العين . فكأنه استحيى منى . ثم بلغنى أنه جلس حجاما فجهدت ان اراه بتلك الحال فلم اره ثم مرض فبلغنى انه يشتهيني أن أغنيه فاتيته عائداً فخرج رسوله الى وقال : يقول لك ان دخلت الىّ جددت لى حزناً وتاقت نفسي الى سماعك والى ماقد غلبتها عليه وانا استودعك الله وأعتذر اليك من ترك اللقاء . فكان آخر عهدي به

وقيل لابي العتاهية عند الموت : ما تشتهي ؟ قال : اشتهي ان يجيء مخارق ويضع فمه على اذنى ويغنيني :

سيعرض عن ذكري وتنسى مودتي ... ويحدث بعدي للخليل خليل
اذا ما انقضت عني من الدهر مدتى ... فان غناء الباكيات قليل

قال محمد بن أبي العتاهية : آخر شعر قاله أبي في مرضه الذي مات فيه :

الاهي لاتعذبنى فاني ... مقر بالذي قد كان مني
ومالى حيلة الا رجائي ... لعفوك ان فعلت وحسن ظني
وكم من زلة لى في الخطايا ... وأنت علىّ ذو فضل ومن
اذا فكرت في ندمي عليها ... عضضت انامل وقرعت سني
اجن بزهرة الدنيا جنونا ... واقطع طول عمرى بالتمني
ولو اني صدقت الزهد فيها ... قلبت لاهلها ظهر المجن
يظن الناس بى خيرا ، واني ... لشر الناس ان لم تعف عنى

قال مخارق: توفي ابوالعتاهية وابراهيم الموصلى وابو عمرو الشيباني في خلافة

المأمون في يوم واحد سنة سبع ومائتين[١] وقيل مات هو وراشد الخناق وهشيمة [الخمارة] في يوم واحد سنة سبع ومائتين[٢] . قال محمد بن سعد كاتب الواقدي : مات ابو العتاهية يوم الاثنين لثمان خلون من جمادى الاولى سنة احدى عشرة ومائتين ودفن ببغداد بالجانب الغربي حيال قنطرة الزياتين[٣] وقال محمد ان اباه مات سنة عشرة ومائتين

ولما مات امر ان يكتب على قبره :

اذنَ حي تسمعي فاسمعي ثم عي وعي
انا رهن بمضجعي فاحذري مثل مصرعي
عشت تسعين حجة أسلمتني لمضجعي
كم ترى الحي ثابتا في ديار التزعزع
ليس زاد سوى التقى فخذي منه او دعي

وقيل ان ابنه كان ينكر انه اوصى ان يكتب على قبره شعر

---

(١) كذا في المختصر • وفي الاغاني « ثلاث عشرة ومائتين » وقال ابن خلكان : توفي يوم الاثنين لثمان أو ثلاث خلون من جمادى الاخرة سنة احدى عشرة ومائتين وقيل ثلاثة عشر ومائتين ببغداد وقبره على نهر عيسى قبالة قنطرة الزياتين
(٢) كذا في المختصر : وفي الاغاني تسع ومائتين
(٣) في المختصر « الرياشي »

امية بن ابى الصلت

اسم أبى الصلت عبدالله بن أبى ربيعة بن عوف بن عقدة بن عنزة بن قيس وهو ثقيف بن منبه بن بكر بن هوزان . وأم أمية رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف . وكان ابوه ابوالصلت شاعراً وهو الذي مدح سيف بن ذي يزن . وكان له اربعة بنين أخر: عمرو وربيعة ووهب والقاسم . وكان القاسم شاعرا وهو الذي يقول ـ انشده الاخفش وغيره عن ثعلب له وقيل هي لامية ـ :

قوم اذا نزل الغريب بدارهم ردوه رب صواهل وقيان
لاينكتون الارض عند سؤالهم لتطلب العلات بالعيدان
بل يبسطون وجوههم فترى لها عند السؤال كاحسن الالوان

يمدح بها عبدالله بن جُدعان واولها :

قومى ثقيف ان سألت وأسرتي وبهم ادافع ركن من عاداني

وكان أمية قد قرأ كتب الله عز وجل الاول وكان يأتى في شعره باشياء لاتعرفها العرب

قال ابوعبيدة اتفقت العرب على أن أشعر أهل المدر أهل يثرب ، ثم عبد القيس ثم ثقيف ، وكان اشعر ثقيف امية بن أبى الصلت

وكان الكميت يقول : أمية أشعر الناس قال فقال كما قلنا وقلنا فلم نقل كما قال .

وكان آمية قد لبس المسوح تعبدا ، وكان ممن ذكر ابراهيم واسماعيل عليهما السلام والحنيفية وحرم الخمر وشك في الاوثان وصام محققاً والتمس الدين وطمع في النبوة لانه قرأ في الكتب ان نبياً يبعث من العرب فكان يرجو ان يكون هو ، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم قيل له : هذا الذي

كنت تقول فيه، فحسده عدو الله وقال إنما كنت أرجو ان اكونه، فانزل الله تعالى فيه « واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها » وهو الذي يقول :

كل دين يوم القيامة عند الله الا دين الحنيفة زور

وكان يحرض قريشاً بعد بدر، ويرثي من قتل من قريش في وقعة بدر بأشياء منها :

ماذا ببدر والعقنقل من مرازبة جحاجح

وهي قصيدة نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن روايتها : ويقال ان أمية قدم على أهل مكة فأخذوا عنه « باسمك اللهم » فجعلوها مكان « بسم الله الرحمن الرحيم »

وقال الحجاج على المنبر : ذهب الذين يعرفون شعر أمية وكذلك اندراس العلم

ذكر خالد بن يزيد ان امية وابا سفيان اصطحبا في تجارة الى الشام وأنه سأله [راهب] عن عتبة بن ربيعة كم سنه فذكر سناً ثم قال اخبرني عن ماله فذكر مالا فقال له : وضعته . فقال ابو سفيان : بل رفعته . فقال : ان صاحب هذا الامر ليس شيخاً ولاذا مال

وكان لما خرج الى الشام مر بكنيسة فقال أمية : ان لي حاجة في هذه الكنيسة فانتظروني . فدخل الكنيسة وابطأ، ثم رجع كاسفا متغيراً فرمى بنفسه فاقاموا عليه حتى سري عنه ثم مضوا فقضوا حوائجهم ثم رجعوا فلما صاروا الى الكنيسة قال لهم : انتظروني، ودخل أيضاً فأبطأ ثم خرج بأسوأ حال من حالته الاولى، فقال له ابو سفيان بن حرب : قد شققت على رفقتك . فقال خلوني فاني ارتاد لنفسي وانظر لمعادي، ههنا راهب عالم اخبرني انه يكون بعد عيسى ست رجفات (١) وقد مضت منها خمس وبقيت

(١) كذا في المختصر . وفي الاغاني « رجمات »

واحدة فخرجت وانا اطمع في النبوة واخاف أن تخطئني فاصابني مارأيت أولا ، فلما رجعت ثانية قال لى : قد كانت الرجفة [1] وقد بعث نبي العرب . فيئست من النبوة وأصابني ما رأيت اذ فاتني ما كنت اطمع فيه . وكان الراهب ايأسه واخبره ان الامر لرجل من قريش

قال الزهرى وأتى أميـة أبا بكر فقال له : يا أبا بكر عميَ الخبر ، فهل أحسست شيئاً ؟ قال : لا والله . قال : قد وجدته يخرج العام .

وكان أمية جالساً فمرت به غنم فثغت منها شاة فقال للقوم : هل تدرون ماتقول ؟ قالوا : لا . قال : قالت لسخلتها مرّي لايجيء الذئب فيـأكلك كما أكل أختك عام أول في هذا الموضع. فقال بعض القوم للراعى : أخبرنا عن هذه الشاة التى تغث الها سخلة ؟ قال : نعم هذه سخلتها . قال : فكانت لها عام أول سـخلة ؟ قال : نعم أكلها الذئب هاهنا

قال الاصمعى : ذهب أمية في شعره بعامة ذكر الآخرة ، وذهب عنترة بعـامة ذكر الحرب ، وذهب عمر بن ابى ربيعة بعامة ذكر الشباب

خرج ركب من ثقيف الى الشام وفيهم أمية بن أبي الصلت فلما قفلوا راجعين نزلوا منزلا ليتعشوا بعشاء اذ أقبلت عظاية حتى قربت منهم فحصبها بعضهم بشيء في وجهها فرجعت وكفوا [2] سفرتهم ثم قاموا يرحلون فطلعت عليهم عجوز من وراء كثيب هناك تتوكأ على عصا فقالت لهم : ما منعكم ان تطعموا رحيمة الجارية اليتيمة التى جاءتكم عشية [3] فقالوا لها : ما أنت ؟ قالت « أنا ام العوّام ، أيمت منذ اعوام . أما ورب العبـاد ، لتنفرن في البـلاد » وضربت بعصـاها الارض ثم قالت « اطيلى أيابهم [4] ، ونفرى

(١) فى الاغاني « الرجمة » (٢) كذا فى الاغانى وفى المختصر « وكتبوا »
(٣) كذا الاغانى . وفى المختصر « غنيمة »
(٤) فى المختصر « اطيلى اتائهم » وفى الاغانى « بطئي ايابهم »

ركابهم » فنفرت الأبل كأن على ذروة كل بعير شيطانا ما نملك منها شيئاً حتى تفرقت في الوادي فجمعناها في آخر النهار من غد ولم تكد. فلما انخناها لنرحلها طلعت علينا العجوز وقالت كقولها بالأمس ففعلت الأبل كفعلها بالأمس فلم نجمعها الى الغد عشيا فلما انخناها لنرحلها اقبلت العجوز ففعلت كفعلها في اليومين فتفرقت الأبل. فقلنا لأمية اين ما كنت تخبرنا به عن نفسك ؟ فقال : اذهبوا انتم في طلب الأبل ودعوني. وتوجه الى الكثيب الذي كانت العجوز تأتي منه حتى علاه وهبط منه الى واد فاذا فيه كنيسة واذا رجل مضطجع معترض على بابها واذا رجل آخر جالس أبيض الرأس واللحية ، فلما رأى أميةقال : انك لمتبوع فمن أين يأتيك صاحبك ؟ قال : من اذني اليسرى . قال : فبأي الثياب يأمرك ؟ قال : بالسواد . قال : هذا خطيب من الجن ، كدت والله ان تكونه ـ يعني كدت ان تكون نبي العرب ـ ولم تفعل ، ان صاحب النبوة يأتيه صاحبه من قبل اذنه اليمنى ويأمره بلبس البياض ، فما حاجتك ؟ فحدثه حديث العجوز ، قال : صدقتَ هي امرأة يهودية من الجن هلك زوجها منذ اعوام وانها لاتزال تصنع ذلك بكم حتى تهلككم ان استطاعت . قال أمية : وما الحيلة ؟ قال : اجمعوا ظهركم فاذا جاءت ففعلت ماكانت تفعل فقولوا لها سبع [من فوق وسبع] من اسفل باسمك اللهم ، فلن تضركم . فرجع اليهم أمية وقد جمعوا الظهر فلما اقبلت قال لها ما أمره الشيخ به فلم تضرهم ، فلما رأت الابل لم تتحرك قالت : قد عرفت صاحبكم ليبيضن اعلاه وليسودن اسفله . فأصبح أمية وقد برص في عذاريه واسود اسفله . فلما قدموا مكة ذكروا لهم ذلك فكان أول ما كتب أهل مكة في كتبهم « باسمك اللهم »

وقال الزهري : دخل يوماً أمية بن أبي الصلت على أخته وهي تهيئ

أدما لها . فنام على سرير في ناحية البيت . قال : فانشق جانب من سقف البيت واذا بطائرين فوقع أحدهما على صدره ، ووقف الآخر مكانه . فشق الواقع صدره فاخرج قلبه فشقه . فقال الطائر الاعلى للطائر الذى على صدره . أوعى؟ قال : وعى . قال : أقبل ؟ قال : أبى . فرد الطائر قلبه في موضعه ثم نهض فاتبعهما أمية طرفه وقال : « لبيكما لبيكما ها أنا ذا لديكما . لابريء فأعتذر ، ولا ذو عشيرة فانتصر » فرجع الطائر فوقع على صدره فشقه ، وأخرج قلبه فشقه . فقال الطائر الاعلى : أوعى؟ فقال : وعى . قال : أقبل ؟ قال : أبى . فرد قلبه ثم نهض . فأتبعهما أمية طرفه وقال « لبيكما لبيكما ها أنا ذا لديكما . محفوف بالنعم . محفوظ من الريب » . قال : فرجع الطائر . فوقع على صدره فشقه . ثم أخرج قلبه فشقه . فقال له الاعلى : أوعى ؟ قال : وعى . قال : أفقبل ؟ قال : أبى . ونهض فاتبعهما أمية طرفه فقال:

لبيكما لبيكما ها أنا ذا لديكما

ان تغفر اللهم تغفر جما   وأي عبد لك لا ألما

ثم انطبق السقف وجلس أمية يمسح صدره . فقالت أخته : يا أخي ، أتجد شيئا ؟ قال : لا ولكني أجد حرا في صدري . ثم أنشد :

ليتني كنت قبل ماقد بدا لى   في قنان الجبال أرعى الوعولا

قال عكرمة : أُنشد النبي صلى الله عليه وسلم قول أمية :

الحمد لله ممسانا ومصبحنا   بالخير صبحنا ربي ومسانا
ألا نبي لنا منا فيخبرنا   ما بعد غايتنا من رأس محيانا
بينا يربّبنا آباؤنا هلكوا   وبينا نقتني الاولاد أفنانا
وقد علمنا لو أن العلم ينفعنا   أن سوف تلحق أخرانا بأولانا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ان كاد أمية ليسلم

وعتب أمية على ولد له ـ وكان عاقا له ـ فقال فيه :

غذوتك مولوداً وعلتك يافعاً تعل بما أجنى عليك وتنهل
اذا ليلة تأتيك بالشكو لم أبت لشكواك الا ساهراً أتململ
كأني أنا المطروق دونك بالذي طرقت به دوني فعيني تهمل
تخاف الردى نفسي عليك وانها لتعلم ان الموت وقت مؤجل
فلما بلغت السن والغاية التى اليها مدى ما كنت منك أؤمل
جعلت جزائي غلظة وفظاظة كأنك أنت المنعم المتفضل
وسميتنى باسم المفيد رأيه وفي رأيك التفنيد لو كنت تعقل
فليتك اذ لم ترع حق ابوتي فعلت كما الجار المجاور يفعل

قال أبو بكر الهذلى لعكرمة : مارأيت مابلغنا [1] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لامية « آمن شعره وكفر قلبه » فقال : هو حق وما الذي أنكرتم ؟ فقلت : أنكرنا قوله :

والشمس تطلع كل آخر ليلة حمراء تطلع لونها متورد
تأبي وما تبدو لنا في رسلها الا معذبة والا تجلد

فما شأن الشمس تجلد ؟ فقال : والذي نفسى بيده ماطلعت قط حتى يحثها سبعون الف ملك . يقولون لها اطلعي . فتقول : كيف أطلع على قوم يعبدونني من دون الله تعالى ؟ قال : فيأتيها شيطان حتى يستقبل الضياء يريد أن يصدها عن الطلوع فتطلع على قرنيه فيحرقه الله بحرها . وما غربت قط الا خرت لله ساجدة فيأتيها شيطان يريد أن يصدها عن السجود . فتغرب على قرنيه فتحرقه وذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : تطلع بين قرني شيطان وتغرب بين قرنى شيطان

---

(١) كذا في المختصر . وفى الاغانى « مارايت من يلغنا »

ولما مرض أمية مرضه الذي مات فيه جعل يقول : قد دنا أجلي وفي هذه المرضة منيتي . وأنا أعلم ان الحنيفية حق ولكن الشك في محمد

ولما دنت وفاته أغمي عليه ثم أفاق وهو يقول « لبيكما لبيكما ها أنا ذا لديكما لامال لى يفديني ، ولا عشيرة تنجيني » ثم أفاق . ثم أغمي عليه . حتى ظن من حضره انه قضى . ثم أفاق وهو يقول : لبيكما لبيكما . ها أنا ذا لديكما . لابرىء فاعتذر . ولا قوى فانتصر . وتحدث ساعة ثم أغمي عليه حتى أُيس من حياته . وأفاق وهو يقول :

لبيكما لبيكما ها أنا ذا لديكما

ان تغفر اللهم تغفر جما وأى عبد لك لا ألما

ثم أقبل على القوم فقال: قد جاءنى وقتي فكونوا في أهبتي . وحدثهم قليلا حتى أيس القوم من موته . وأنشأ يقول :

كل عيش وان تطاول دهرا منتهى أمره الى أن يزولا

ليتنى كنت قبل ما قد بدا لى في رؤوس الجبال ارعى الوعولا

فاجعل الموت نصب عينيك واحذر غولة الدهر ان للدهر غولا

ثم قضى نحبه ولم يؤمن بالنبى صلى الله عليه وسلم . وقيل في خبره انه لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بنيه وهرب بهم[1] الى أقصى اليمن.ثم عادالى الطائف . فبينا هو يشرب مع اخوان له في قصر غيلان بالطائف وقد أودع ابنيه[2] باليمن ورجع الى بلاده اذ سقط غراب على شرفة القصر فنعب نعبة فقال أميـة : بفيك الكثكث . وهو التراب . فقال له أصحابه : مايقول ؟ فقال : يقول : انك ان شربت الكاس الذى في يدك مت . ثم نعب نعبـة اخرى . فقال أمية نحو ذلك فقال له أصحابه: مايقول ؟ قال : زعم انه يقع على هذه المزبلة

(١) كذا في المختصر . وفى الاغاني « بنتيه وهرب بهما » (٢) فى الاغانى « ابنتيه »

أسفل القصر فيبتلع عظما فيشجى به فيموت . فوقع الغراب على المزبلة فاثار العظم وابتلعه فشجى به فمات . فانكسر أمية ووضع الكاس من يده وتغير لونه . فقال له أصحابه : ما أكثر ماسمعنا مثل هذا وكان باطلا . فألحوا عليه حتى شرب الكاس . فمال في شق واغمى عليه ثم أفاق فقال : لابرىء فاعتذر . ولا قوى فانتصر . ثم مات

ابو سعيد مولى فائد

هو أبو سعيد ابراهيم مولى فائد مولى عمرو بن عثمان بن عفان وهو يعرف في الشعراء بابن أبي سنة [1] مولى بني أمية وفي المغنين بابي سعيد مولى فائد . وكان شاعراً مجيداً ناسكا . ومغنياً فاضلا . مقبول الشهادة بالمدينة معدلا . وعمر الى خلافة الرشيد . ولقيه ابراهيم بن المهدي واسحق الموصلي وله مراث جياد في بني امية الذين قتلهم عبد الله وداود ابنا علي بن عبد الله بن عباس . قال اسحق : حججت مع الرشيد . فلما قربت من مكة استأذنت في التقدم فاذن لى فدخلت مكة فسألت عن أبي سعيد مولى فائد فقيل لى هو في المسجد الحرام . فأتيت المسجد فاذا هو قائم يصلي . فجلست قريباً منه . فلما فرغ قال لى : يافتى ألك حاجة ؟ قلت : نعم تغنيني . وقيل ان الذي سأله الغناء هو المهدي فقال له غنني :

لقد طفت سبعاً قلت لما قضيتها ألا ليت هذا لاعلى ولا ليا
يسائلني صحبي فما اعقل الذى يقولون من ذكر لليلى اعترانيا
اذاجئت باب الشعب شعب ابن عامر فاقرىء غزال الشعب منى سلاميا

(١) كذا فى الاغاني وفي المختصر « أبي اشبة »

وقل لغزال الشعب هل أنت نازل بشعبك أم هل يصبح القلب ثاويا
لقد زادني الحجاج شوقا اليكم وقد كنت قبل اليوم للحج قاليا
وما نظرت عيني الى وجه قادم من الحج الا بل دمعي ردائيا

فقال له : أو أغنيك ياأمير المؤمنين ماهو أحسن منه . فقال : أنت وذاك. فغناه :

ان هذا الطويل من آل حفص نشر المجد بعد ما كانا ماتا
وبناه على أساس وثيق وعماد قد أثبتت اثباتا
مثلما قد بنى له أولوه وكذا يشبه البناة البناتا

فقال له المهدى : أحسنت يا أبا سعيد فغنني :

لقد طفت سبعا قلت لما قضيتها ألا ليت هذا لاعلى ولا ليا

فقال : او أغنيك أحسن منه . قال : أنت وذاك . فغناه :

قدم الطويل فاشرقت واستبشرت أرض الحجاز وبان في الاشجار
ان الطويل من آل حفص فاعلموا ساد الحضور وساد في الاسفار

فقال له : أحسنت فغنني لقد طفت سبعاً . فقال : أو أغنيك أحسن منه فقال : افعل . فغناه :

أيها السائل الذي يخبط الارض دع الناس أجمعين وراكا
وأت هذا الطويل من آل حفص ان تخوفت عولة أو هلاكا

فقال له : أحسنت فغنني « لقد طفت سبعاً » فقد أحسنت فيما غنيت ولكن أحب ان تغنينا ما استدعيناه منك . قال : لا سبيل الى ذلك يا أمير المؤمنين ، لاني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامي وفى يده شيء لاأدري ماهو وقد رفعه ليضربنى وهو يقول : يا أبا سعيد لقد طفت سبعاً ماصنعت بامتى في هذا الصوت . قلت له : بابى وأمي اغفر لى فوالذي بعثك بالحق واصطفاك

بالنبوة لاغنيت هـذا الصوت أبداً . فرد يده عني وقال : عفا الله عنك اذاً . ثم انتبهت وما كنت لاعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً في منامي فارجع عنه في يقظتي . فبكى المهدي وقال : أحسنت يا أبا سعيد أحسن الله اليك لا تعد في غنائه . وحباه وكساه وامر برده الى الحجاز . فقال : لكن اسمعه من منة جارية البرامكة * اظن هـذه الحـكاية غلطا لان منة جارية البرامكة انما نشأت وعرفت في ايام الرشيد

وقيل انه قال له اشخص معي الى بغداد . فلم يفعل . فقال له : ما كنت لآخذك بما لا تحب ولو كان غيرك لاكرهته على ما احب . ولـكن دلني على من ينوب عنك فدله على ابن جامع وقال له : عليك بغلام بني سهم قد اخـذ عني وعن نظرائي . وهو كما تحب . فهذا كان سبب قدومه بغداد

الطويل من آل حفص المغنّى في الشعر هو عبد الله بن احمد بن عبدالحميد المخزومي ، كان موسراً يعطي الشعراء ويجزل العطاء . وسبب يساره انه تزوج ام سلمة المخزوميـة امرأة أبي العباس السفاح بعده فصار اليه منها مال عظيم . وكان يتسمح به ويتسع في العطاء . وكانت أم سلمة مائلة اليـه فاعطته مالا يدري ماهو . ثم انها اتهمته في جارية لها فاحتجبت عنه فلم تعد اليه حتى مات . وكان طويلا جميـل الوجه . فقال أبو سعيد هذين البيتين فيه . وفيه قال الدارمي :

أيها السائل الذى يخبط الارض

وفيه يقول الدارمي أيضا :

ان الطويل اذا حللت به   يوما كفاك مؤونة الثقل
فظللت في دعة الى كنف   رحب الفناء ومنزل سهل

حضر أبو سعيد مجلس محمد بن عمران الطلى (١) قاضى المدينة لابي جعفر وكان مقدما لابي سعيد ، فقال له ابن عمران : يا أبا سعيد انت القائل :

لقد طفت سبعا قلت لما قضيتها   ألا ليت هـذا لاعلى ولا ليا

قال : اي لعمر ابيك انى لادمجـه ادماجا من لؤلؤ . فرد محمد بن عمران شهادته فى ذلك المجلس . وقام ابو سعيد من مجلسه مغضباً وحلف ان لايشـهد عنده . فانكر اهل المدينة على ابن عمران رد شهادته وقالوا له : عرضت حقوقنا للتواء وأموالنا للتلف لانا كنا نشهد هذا الرجل لعلمنا بما كنت عليه والقضاة قبلك من الثقة به وتقديمه وتعديله . فنـدم ابن عمران على رد شهادته ووجه اليه يسأله حضور مجلسه والشهادة عنده ليقضي بشهادته فامتنع وذكر انه لايقدر على حضور مجلسه ليمين لزمته ان حضره حنث فكان ابن عمران بعد ذلك اذا ادعى عنده أحد بشهادة أبي سعيد صار الى منزله أو مكانه في المسجد حتى يسمع منه شهادته فيجيزها

وكان محمد بن عمران كثير اللحم ، عظيم البطن ، كبير العجز ، صغـير القدمين ، دقيق الساقين ، يشق عليه المشي . فكان كثيراً مايقول أتعبني (٢) هذا الصوت وأضر بي ضرراً طويلا

وكان المطلب بن حنطب قاضيا على مكة فاستُشهد أبو سعيد بشهادة .فقال: ألست الذي تقول :

لقد طفت سبعاً قلت لما قضيتها

لاقبلت لك شهادة أبداً . فقال أبو سعيد : نعم وأنا الذي أقول :

كأن وجوه الحنطبيين في الدجا   قناديل تسقيها السليط الهياكل

(١) كذا في المختصر وفي الاغانى « التيمى »
(٢) كذا فى الاغانى . وفي المختصر « ويمنى »

فقال الحنطبي : انك كنا علمنا ماعلمناك الا دبابا حول البيت في الظلم مدمنا للطواف به في الليل والنهار . وقبل شهادته

ولما حج الرشيد أحضر أبا سعيد وقال له : أنشدني قصيدك في بنى أمية :

تقول امامة لما رأت نشوزي عن المضجع الانفس
وقلة نومي على مضجعي لدى هجعة الاعين النعس

فغناه لحنا له في أبيات منها :

أفاض المدامع قتلى كُـدا وقتلى بكثوة لم ترمس

وكان الرشيد مغضبا فسكن غضبه وطرب . فقال : أنشدني القصيدة . فقال : يا أمير المؤمنين كان القوم موالىّ وأنعموا على فرثيتهم ولم أهج أحـدا . فتركه . وهذه قصيدة له رثى بها بنى أمية وكان مولاهم

حدث الحزنبل (١) قال : كنا عند ابن الاعرابي وحضر معنا أبو هفان . فانشدنا ابن الاعرابى عمن أنشده . فقال : قال ابن أبي شبّة (٢) العبلي :

أفاض المدامع قتلى كذا وقتلى بكبوة لم ترمس

فغمز أبو هفان رجلا وقال : قل له مامعنى كذا . قال : يريد كثرتهم . فلما قمنا قال لى أبو هفان : سمعت الى هذا المعجب الرقيع ؟ هو ابن أبى سنة [فقال ابن ابى شبّة] وصحف في بيت واحد موضعين فقال: قتلى كذا [وهو كدا . وقال] وقتلى [بكبوة وهو] بكثوة . وأغلظ من هذا انه يفسر تصحيفه بوجه وقاح . وهذا الشعر يقوله أبو عدى عبد الله بن عمرو العبلى فيمن قتله عبد الله ابن علي بنهر ابى فطرس . وفيمن قتل أبو العباس السفاح بعدهم من بنى أمية . ومن القصيدة:

---

(١) كذا في الاغاني . وفي المختصر « الحدبيل »

(٢) في المختصر « الاشبه » وفي الاغاني « سبة » واعتمدنا على ما في معجم البلدان لياقوت مادة (كثوة)

أفاض المدامع قتلى كدا وقتلى بكثوة لم ترمس
وقتلى بوجّ وباللابتين من يثرب خير ما أنفُس
وبالزابيين نفوس ثوت واخرى بنهر ابى فطرس
اولئك قومي أناخت بهم نوائب من زمن متعس
اذا ركبوا زينوا الموكبين وان جلسوا الزين في المجلس
هم اضرعوني لريب الزمان وهم ألصقوا الرغم بالمعطس

ولما استمرت الهزيمة بمروان أقام عبد الله بن علي بالرقة وأنفذ اخاه عبد الصمد في طلبه الى دمشق واتبعه جيشا عليهم أبو اسماعيل عامر الطويل من قواد خراسان . فلحقه وقد جاز مصر في قرية تدعى بوصير فقتله ووجه برأسه الى عبد الله بن علي فأنفذه عبد الله الى ابى العباس السفاح فلما وضع بين يديه خر ساجدا لله تعالى ثم رفع رأسه فقال : الحمد لله الذي اظهرنى عليك وأظفرني بك ، ولم يبق ثاري قبلك وقبل رهطك أعداء الدين . وتمثل بقول ذى الاصبع العدوانى :

لو يشربون دمي لم يرو شاربهم ولا دماؤهم للغيظ ترويني

نظر عبد الله بن علي الى فتى عليه أبهة الشرف وهو يقاتل مستقتلا فناداه : يافتى لك الامان ، ولو كنت مروان بن محمد . فقال : إلا أكنه فلست بدونه . قال : فلك الامان ولو كنت من كنت . فاطرق مليّا ثم قال :

اذل الحياة وكره الممات وكلا اراه طعاما وبيلا
فان لم يكن غير احداهما فسيرى الى الموت سيرا جميلا

ثم قاتل حتى قتل . فاذا هو ابن مسلمة بن عبد الملك

ابراهيم بن هرمة

هو ابراهيم بن على بن سلمة بن عامر بن هرمة بن الهذيل بن ربيع بن عامر بن صبيح بن عدى بن قيس بن الحرث بن فهر وفهر أصل قريش ، وقيس بن الحرث هو الخُلُج وكانوا في عدوان ثم انتقلوا عنه الى بني نصر ابن معاوية بن بكر بن هوازن . فلما استخلف عمر رضى الله عنه أتوه ليفرض لهم فانكر نسبهم . فلما استخلف عثمان رضى الله عنه أتوه فاثبتهم في بنى الحرث ابن فهر وجعل لهم معهم ديوانا وسموا الخلج لانهم نزلوا المدينة على خلج فسموا بذلك ولهم بالمدينة عدد

قال عبد الله[١] بن أبى عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر : زرت عبد الله بن حسن ببادية وزاره ابن هرمة فجاءه رجل من اسلم فقال ابن هرمة لعبد الله ابن حسن : أصلحك الله سل الاسلمي ان يأذن لى ان أخبرك خبرى وخبره . فقال له عبد الله بن حسن : ائذن له . فأذن له الاسلمي. فقال ابراهيم بن هرمة: خرجت أبغي ذودا لى فأوحشت وضفت هذا الاسلمي ، فذبح لى شاة ، وخبز لى خبزا وا كرمنى ، ثم غدوت من عنده فأقمت ما شاء الله ، ثم خرجت أيضا في بغاء ذود لى فأوحشت فقلت لو ضفت الاسلمى . فملت اليه فجاءني بلبن وتمر ثم خرجت من بعد ذلك فقلت : لو ضفت الاسلمي فاللبن والتمر خير من الطوى . فجاءني بلبن حامض . فقال الاسلمى : قد أجبته الى ماسأل فاسأله ان يأذن لى ان اخبرك لم فعلت ذلك . فقال ائذن له . فأذن . فقال الاسلمي : ضافني فسألته من هو . فقال : رجل من قريش فذبحت له الشاة التى ذكر ووالله لو كان لى غيرها لذبحته حين ذكر انه من قريش . ثم غدا من عندي

(١) كانت في المختصر « عبيد الله » وصححناه من الاغانى ٤ : ١٠٢ ومن الموشح للمرزبانى ص ١٤٤ الخ

وغدا على الحي . فقالوا من كان ضيفك البارحة ؟ فقلت رجل في قريش .
فقالوا ليس من قريش ولكنه دعي فيها . فاضافني الثانية على انه دعي في قريش
فجئته بلبن وتمر وقلت : دعي في قريش خير من غيره . ثم غدا من عندي وغدا
علي الحي . فقالوا : من كان ضيفك البارحة ؟ قلت : ذلك الرجل الذي زعمتم أنه
دعي في قريش . فقالوا : لا والله ماهو دعي في قريش ولكنه دعي أدعياء
قريش . فقريته الثالثة لبناحامضاً ووالله لو كان عندي شر منه لقريته اياه . قال :
فانخزل ابن هرمة وضحكنا منه

وكان ابن هرمة مشتهراً بالنبيذ مدمنا له . فاتى أبا عمرو بن راشد فاكرمه
وسقاه أياماً ثلاثا فدعا ابن هرمة بالنبيذ . فقال له غلام أبي عمرو : لم يبق
عندنا منه شيء . فنزع ابن هرمة رداءه عن ظهره وقال للغلام : اذهب الى ابن
حونك [1] نباذ بالمدينة فارهنه عنده وأتنا بنبيذ. ففعل وجاء ابن راشد فجعل
يشرب معه من ذلك النبيذ . ثم قال له : أين رداؤك يا أبا اسحق ؟ فقال :
ألم يك نصفه في بطنك ونصفه في القدح

ووفد ابن هرمة على عبد الله بن حسن وهو بالسيالة . فأنشده مديحاً له .
فقام عبد الله الى غنم له فرمى بساجة عليها فتفرقت فرقتين . قال : فاختر أيهما
شئت . قال : فاما ان تكون زادت بواحدة أو نقصت بواحدة عن الاخرى
وكانت ثلثمائة . وكتب له الى المدينة بدنانير . وقال له : يا ابن هرمة انقل
عيالك الينا يكونوا مع عيالنا . قال : افعل [ياابن رسول الله] . ثم قدم المدينة
وجهز عياله لينقلهم الى عبد الله بن حسن فبينما هو قد اكترى وجمع متاعه
وحمله والكري ينتظره ان يتحمل اذ أتاه صديق له فقال له : يا ابا اسحق
عندي نبيذ يسقط لحم الوجه. فقال: ويحك اما ترانا على مثل هذه الحال [أعليها]
يمكن الشراب ؟ فقال : انما هي ثلاثة لاتزد عليهن . فمضى معه وهم وقوف

(١) كذا في الاغاني . وكانت في المختصر « حوقل »

ينتظرونه. فلم يزل يشرب حتى مضى من الليل صدر صالح ثم أتى به وهو سكران فطرح فى شق المحمل وعدلته امرأته ومضى. فلما أسحروا رفع رأسه فقال : أين أنا ؟ فاقبلت عليه امرأته تلومه وتعذله وقالت : قد أفسد عليك النبيذ دينك ودنياك . فلو تعللت عنه بالالبان . فرفع رأسه اليها وقال :

لا تبتغي ابن البعير وعندنا ماء الزبيب وناطف المعصار

ومدح ابن هرمة ابا جعفر فوصله بعشرة آلاف درهم . فقال لا تقع منى هذه . قال : ويحك انها كثيرة . قال : ان أردت ان تهنيني فابح لى الشراب فاني مغرم به . فقال له : ويحك هذا حد من حدود الله عز وجل . قال : احتل لي يا أمير المؤمنين ؟ قال نعم : فكتب الى والى المدينة : من أتاك بابن هرمة سكران فاضربه مائة مقرعة ، واضرب ابن هرمة ثمانين . قال : فجعل الجلواز اذا مر بابن هرمة سكران يقول من يشترى الثمانين بمائة

حدث ابن ربيح راوية ابن هرمة . قال : أصاب ابن هرمة أزمة فقال لى في يوم حار: اذهب فكار لى حمارين الى ستة أميال و لم يسم الموضع فركب واحداً وركبت واحداً وسرنا الى قصور حسن بن زيد ببطحاء ابن أزهر فدخلنا مسجده فلما مالت الشمس خرج علينا مشتملا على قميصه فقال لمولى له : أذّن فاذن ولم يكلمنا كلمة واحدة ثم قال : أقم . فاقام فصلى بنا ثم أقبل على ابن هرمة . فقال : مرحبابك أبا اسحق حاجتك ؟ قال : نعم بابى أنت وأمي أبيات قلتها . وقدكان عبد الله وحسن وابراهيم بنو حسن وعدوه شيئًا فاخلفوه . قال هاتها . فانشد :

أما بنو هاشم حولى فقد قرعوا نبل الضباب التي جمعت في قرن
فما بيثرب منهم من اعاتبه الا عوائد أرجوهن من حسن
الله أعطاك فضلا من عطيته على هن وهن فيما مضى وهن

قال حاجتك ؟ قال لابن أبي مضرس [١] عليّ خمسون ومائة دينار. فقال لمولى له يقال له هيثم اركب هذه البغلةوائتني بابن أبي مضرس [١] وذكر حقه. قال : فما صلينا العصر حتى جاء به . فقال : مرحبابك يا ابن أبي مضرس [١] أمعك ذكر حقك على ابن هرمة ؟ قال نعم . قال : فامحه . فمحاه . ثم قال : ياهيثم بع ابن أبي مضرس [١] من تمر الخانقين بمائة وخمسين دينارا وزده في كل دينار ربع دينار وكل لابن هرمة بمائة وخمسين ديناراً وكل لابن ربيح بثلاثين ديناراً . ثم انصرفنا من عنده فلقينا محمد بن عبد الله بالسيالة وقد بلغه الشعر فغضب لابيه وعمومته . فقال : ياماص بظر أمه أنت القائل : على هن وهن ؟ قال لا . ولكني القائل :

لا والذي أنت منه نعمة سلفت نرجو عواقبها في آخر الزمن
لقد أتيتُ بأمر ما عمدت له ولا تعمده قولي ولا سنني
وكيف أمشي مع الاقوام معتدلا وقد رميت بريء العود بالابن
ماغيرت وجهه أم مهجنة اذا القتام يغشي أوجه الهجن

وأم الحسن أم ولد . ولما قال هذا الشعر في الحسن بن زيد قال عبد الله ابن حسن : والله ما أراد الفاسق غيري وغير أخوي الحسن وابراهيم

وكان عبد الله يجري على ابن هرمة رزقًا فقطعه عنه وغضب عليه فاتاه يعتذر فنحي وطرد ، وسأل رجالا أن يكلموه فيه فردهم وأيس من رضاه فاجتنبه وخافه . ثم مكث ماشاء الله . ثم مر عشية وعبد الله على زربية في ممر المنبر ولم تكن تبسط لاحد غيره في ذلك المكان . فلما رأى عبد الله تضاءل وتصاغر وأسرع المشي ، فكأن عبد الله رق له فأمر به فرد عليه . فقال : يافاسق ، ياشارب الخمر . على هن وهن تفضل الحسن عليّ وعلى اخويّ . فقال:

(١) كذا في الاغاني . وفي المختصر « ابن مضرس »

بابي أنت ورب الكعبة ورب هذا القبر ماعنيت الا فرعون وهامان وقارون أفتغضب لهم؟ فضحك وقال: والله ماأحسبك الا كاذباً. فقال: والله ما كذبتك. فامر بان ترد عليه جرايته

وذكر عامر بن صالح لابن هرمة قصيدة نحو أربعين بيتاً ليس فيها حرف معجم وذكر هذه الابيات منها. ولم توجد هذه القصيدة في شعر ابن هرمة. ولا كنت اظن أحدا تقدم رزينا العروضى الى هذا الباب وهي في رواية الاصمعي وابن السكيت اثنا عشر بيتاً وليس فيها حرف من حروف المعجم الا ما اصطلح عليه الكتاب من تصييرهم الالف مكان الياء مثل أعلى فانها في اللفظ بالالف ونحو هذا [والقصيدة]

أرسم سودة أمسي دارس الطلل ... معطلا رده الاحوال كالحلل
لما رأى أهلها سدوا مطالعها ... رام الصدود وعاد الود كالمهل
وعاد ودك داء لادواء له ... ولو دعاك طوال الدهر للرحل
ما وصل سودة الا وصل صارمة ... أحلها الدهر داراً مأ كل الوعل
وعاد أمواهها سدما وطار لها ... سهم دعا أهلها للصرم والعلل
صدوا وصد وساء المرء صدهم ... وحام للورد ردها حومة العلل
وحلأوه رداها ماؤه عسل ... ما مآءرده لعمر الله كالعسل
دعا الحمام حماما سد مسمعه ... لما دعاه رآه[1] طامح الامل
طموح سارحة حوم ملمعة ... وممرع السر سهل مأكد السهل
وحاولوا رد أمر لامرد له ... والصرم داء لاهل اللوعة الوصل
أحلك الله أعلى كل مكرمة ... والله أعطاك أعلى صالح العمل
سهل موارده سمح مواعده ... مسوّد لكرام سادة حمل

(١) كذا في المختصر . وفي الاغاني « ودهر »

كان المسور بن عبد الملك المخزومي يعيب شعر ابن هرمة . وكان المسور عالما بالشعر والنسب . فقال ابن هرمة فيه :

اياك لا الزمن لحييك من لجمي   نكلا ينكل قراضا من اللجم
يدق لحييك أو تنقاد متبعاً   مشي المقيد ذي القردان والحلم
اني اذا ما امرؤ خفت نعامته   الى واستحصدت منه قوى الوذم
عقدت في ملتقى أوداج لبته   طوق الحمامة لا يبلى على القدم
انى امرؤ لا أصوغ الحلى تعمله   كفاي لكن لساني صائغ الكلم
ان الاديم الذي أمسيت تقرضه   جهلا لذو نغل باد وذو حلم
ولا يئط بايدي الخالقين ولا   أيدى الخوالق الا جيد الادم

قال ابن هرمة : مارأيت أسخى ولا أكرم من رجلين ، ابراهيم بن عبد الله بن مطيع ، وابراهيم بن طلحة بن عمرو بن عبد الله [1] بن معمر . أما ابراهيم بن طلحة فاتيته فقال : أحسنوا ضيافة أبي اسحق . فاتيت بكل شيء من الطعام . فاردت أن أنشده . فقال : ليس هذا وقت شعر . ثم أخرج الى الغلام رقعة فقال : الق بها الوكيل . فاتيته بها فقال : ان شئت أعطيتك القيمة . فقلت : وما أمرلى به . قال : مائتا شاة برعيانها ، وأربعة أجمال وغلام جمال ، ومظلة وما تحتاج اليه ، وقوتك وقوت عيالك سنة . فقلت : اعطني القيمة فاعطاني مائتي دينار . وأما ابراهيم بن عبد الله فاتيته في منزله على بئر [ابن] الوليد بن عثمان فدخل منزله . ثم أخرج لى رزمة فيها ثياب وحلى وصرة دراهم وصرة دنانير ، ثم قال : والله ما أبقينا في منزلنا ثوبا الا ماتتوارى به امرأة ولا حلياً ولا دينارا ولا درهما

(١) كذا في الاغاني . وفي المختصر « عمر بن عبيد الله »

بينا محمد بن عبد العزيز الزهري هو وابن هرمة اذ مرت بهم ابل لمحمد ابن عمران تحمل علفا . فقال محمد بن عبد العزيز لابن هرمة : يا أبا اسحق ألا تستعلف محمد بن عمران ؟ وهو يريد أن يعرضه لمنعه فيهجوه . فارسل ابن هرمة رسولا حتى وقف على باب ابن عمران فابلغه رسالته . فرد عليه الجمال بما عليها . وقال : ان احتجت الى شيء زدناك . فاقبل ابن هرمة على محمد بن عبد العزيز وقال : اغسلها عني فانه ان علم اني استعلفته ولا دابة لي وقعت معه في سوءة . قال بم ذاك ؟ قال تعطيني حمارك . قال هو لك بسرجه ولجامه . فقال ابن هرمة : من حفر لأخيه حفيرة سوء وقع فيها

حدث ابن أبي زريق – وكان منقطعاً الى أبي العباس بن محمد ، وكان من أروى الناس – قال : كنت مع السري بن عبد الله باليمامة ، وكان يتشوق الى ابراهيم بن هرمة ويحب أن يفد اليه . فاقول : مايمنعك ان تكتب اليه ؟ فقال : أخاف أن يكلفني من المئونة مالا أطيق . فكنت أكتب الى ابن هرمة بذلك فيكره ان يفد اليه الا بكتاب منه . ثم غلب فشخص اليه فنزل عليّ ومعه راويته ابن ربيح . فقلت : مامنعك من القدوم على الامير وهو من الحرص على قدومك على ما كنت به اليك ؟ قال : الذي منعه من الكتاب الي . فدخلت على السري فاخبرته بمقدمه ، فسر بذلك ، وجلس للناس مجلسا عاما . ثم أذن لابن هرمة فدخل ومعه ابن ربيح راويته . وكان ابن هرمة قصيراً دميا وكان ابن ربيح طويلا جسيما نقي الثياب . فسلم على السري . ثم قال : اني قد قلت شعراً أثنيت فيه عليك . قال : انشد . قال : هذا ينشد . وجلس ، فأنشده ابن ربيح قصيدته التي هي :

عوجا على ربع ليلى أم محمود كيما نسائله من دون عبود

عن أم محمود اذ شط المزار بها لعل ذلك يشفي داء معمود
فعرجا بعد تطويل[1] وقد وقفت شمس النهار ولاذ الظل بالعود
من يعتمدك ابن عبد الله مجتديا لسيب عرفك يعمد خير معمود
يا ابن الاساة الشفاة المستغاث بهم المطعمين ذرى الكوم المقاحيد[2]
والسابقين الى الخيرات قومهم سبق الجياد الى غاياتها القود
أنت ابن مسلنطح البطحاء منبتكم بطحاء مكة لاروس القراديد[3]
لكم سقايتها قدما وندوتها قد حازها والد منكم لمولود

وأنشده أيضاً:

أفي طلل قفر تحمل أهله وقفت وماء العين ينهل هامله
تسائل عن ليلى سناها[4] وقد نأت بسلمى نوى شحط فكيف تسائله
فقل للسري الواصل البر بالندى مديحا اذا ما بث صدّق قائله
جواد على العلاّت يهتز للندى كما اهتز عضب أخلصته صياقله
نفى الظلم عن أهل اليمامة عدله فعاشوا وزاح الظلم عنهم وباطله
وناموا بامن بعد خوف وشدة بسيرة عدل ماتخاف غوائله
وقد علم المعروف أنك خدنه ويعلم هذا الجور[5] أنك قاتله
وأنت ترجى للذي أنت أهله وتنفع ذا القربى اليك وسائله

وأنشده أشياء أخر. فلما فرغ ابن ربيح قال السري لابن هرمة: مرحبا بك يا أبا اسحق. ماحاجتك؟ قال: جئتك عبداً مملوكا. قال: لا بل حرا كريما وابن عم. فما ذاك؟ قال: ماتركت لى مالا الا رهنته، ولا صديقا الا كلفته. فقال له السري: وما دينك؟ قال: سبعمائة دينار. قال: قد قضاها

(١) فى الاغانى «تغرير» (٢) ناقة مقحاد: عظيمة السنام. والجمع مقاحيد
(٣) واحده قردد وهو ما ارتفع وغلظ من الارض (٤) كذا بالاصل وفى الاغانى «سفاها»
(٥) فى الاغانى «الجوع»

الله عنك . قال : فاقام أياما . ثم قال له : قد اشتقت . فقال : قل شعراً تشوق فيه
فقال قصيدته التي يقول فيها :

ان الحمامة في نخل ابن هداج هاجت صبابة عانى القلب مهتاج
أما السرى فاني سوف أمدحه ما المادح الذاكر الاحسان كالهاجي
ذاك الذي هو بعد الله أنقذني فلست انساه انقاذى واخراجي
لاحبونك (١) مما أصطفى مدحا مصاحبات لعمار وحجاج
أسدى الصنيعة من بر ومن لطف الى قروع ابباب الملك ولاج
كم من يد لك فى الاقوام قد سلفت عند امرىء ذى غنى أو عند محتاج

فأمر له بسبعمائة دينار ، ومائة دينار يتجهز بها ، ومائة دينار يعرض بها أهله ، ومائة دينار ينفقها اذا قدم على أهله

قوله يعرض بها أهله أى يهدى لهم هدية ، والعراضة الهدية .

ولما قال ابن هرمة :

ومهما ألام على حبهم فاني أحب بني فاطمه
بنى بنت من جاء بالمحكما ت والدين والسنة القائمه

لقيه رجل بعد ذلك . فسأله : من قائل :

ومهما ألام على حبهم ؟

فقال : من عض بظر امه . فقال له ابنه : يا أبت ألست قائلها ؟ قال بلى. قال : فلم شتمت نفسك ؟ قال : أليس عض المرء بظر امه خيراً له من أن يأخذه ابن قحطبة ؟

جاء ابن هرمة الى رجل بسوق النبط ، معه زوجته وابنتان له كأنهما ظبيتان بمال فدفعه اليه ، وكان يشتري لهم طعاما وشرابا . فاقام ابن هرمة مع

(١) كذا فى الاغانى وكانت في الاصل « لان حبوتك »

ابنتيه حتى خف ذلك المال . وجاء قوم آخرون ومعهم مال . فاخبروا بمكان ابن هرمـة فاستثقلوه وكرهوا أن يعلم بهم . فامر الرجل ابنتيه فقالتا : يا أبا اسحق أما دريت ما الناس فيه ؟ قال : وما هم فيه ؟ قالتا : زلزل بالروضة . [فتغافلهما . ثم جاء أبوهما متفازعا . فقال : أي أبا اسحق ألا تفزع لما الناس فيه ؟ قال : وما هم فيه ؟ قال : زلزل بالروضة .] قال : قد جاءكم انسان ومعه مال وقد فرغ ماجئتكم به ، وثقلت عليكم ، فاردت ادخاله واخراجي . أيزلزل بروضة من رياض الجنة ويترك منزلك وأنت تجمع فيـه الرجال على زوجتك وابنتيك؟ والله لاعدت اليك . وخرج من عنده فاتى عبد الله بن حسن فقال : اني مدحتك فاسمع مني . فقال : لاحاجـة لي بذلك . أنا أعطيك ماتريد ولا أسمع . فقال : اذاً أسقط ويكسد شعري . فسمع وأمر له بمائة دينار فأخذها وعاد الى الرجل . وقال له : قد جئتك بما تنفقه كيف شئت . وأقام حتى نفقت

كان ابن هرمة يمدح أبا الحـكم بن المطلب بن عبد الله . وكان يكرمه . ثم ان أبا هرمة أرسل الى عبد العزيز بن المطلب كتابا يشكو اليه بعض حاله فبعث اليه بخمسة عشر دينارا . فمكث شهراً . ثم بعث اليه يطلب منه شيئا آخر بعد ذلك . فقال : أنا والله لا أقوى على ما كان يقوى عليه أبو الحـكم . فقال ابن هرمة فيه :

أبا لبخل تطلب ما قدمت ... عرانين جادت باموالها
فهيهات خالفت فعل الـكرا ... م خـلاف الجمال بابوالها

تزوج ابن هرمة امرأة . فقالت له : اعطني شيئاً . فقال : واللهمامعي سوى نعلي ، فدفعهما اليهـا ومضى معها فتوركها مرارا . فقالت له : أحفيتني . فقال : الذي أحفى صاحبه منا يعض بظر امه

قال ابن هرمة : كنت قد قلت بيتاً ثم انقطع بي الروي فيه ، وتعذر على

ما أشتهيه ، فابغضته وتركته وهو :

فانك واطراحك وصل سعدى لاخرى في مودّتها نكوب

ثم مرت بي جارية صفراء مليحة كنت أستحسن وجهها وأكلمها اذا مرت بي ، فرأيتها وقد ورم وجهها وتغيرت خلقتها بعد عما كنت أعرفها فسألتها عن خبرها . فقالت : كان في بني فلان عرس أردت حضوره فاستعار لى أهلي حلياً وثقبوا أذنى لالبسه ، فورم وجهي وأذناى كما ترى ، فردوه ولم أشهد العرس . قال ابن هرمة : فاطّرد لى الشعر . فقلت :

كثاقبة لحلى مستعار باذنيها فشانهما الثقوب
فادت حلي جارتها اليها وقد بقيت باذنيها ندوب

كان العباس بن الوليد بخيلا ، لايحب ان يعطى احدا شيئاً . فقال : مابال الشعراء تمدح أهل بيتى جميعا ولايمدحونني . فبلغ ابن هرمة وقد كان مدحه فلم يثبه ، فقال يعرض به ويمدح عبد الواحد بن سليمان من قصيدة :

ومعجب بمديح الشعر يمنعه من المديح ثواب الشعر والشفق

فاعطاه عبد الواحد ثلثمائة دينار ، وخلعة موشية من ثيابه ، وحمله على فرس ، وأعطاه ثلاثين بقجة ، ومائة شاة . وسأله عما يكفيه في كل سنة ويكفى عياله من البر والتمر . فاخبره . فأمر له بذلك أجمع . وقال له : لك عليّ مثل هذا في كل سنة ما دمت ودمت . واقتطعه الى نفسه وأنس به . وقال له : لست بحوجك الى غيري أبداً . وأخذ عليه أن لايمدح أحدا غيره . وكان واليا على المدينة . وكان لايدع بره وصلته والقيام بمئونته . فعزل وولى مكانه غيره من بني الحرث بن كعب . قال ابن هرمة : فدعتنى نفسى الى مدحه ، طمعا ان يهب لى مثل ما كان عبد الواحد يهب لى . فمدحته . فلم يصنع بى ماطلبت . ثم قدم عبد الواحد فاخبر أني مدحت الذى عزل به . فحجبني . ورمت الدخول

اليه فمنعت . فلم أدع بالمدينة وجها ولا رجلا له وجاهة من قريش الا سألته ان يشفع لى ، فيأبى ذلك ولا يفعله . فلما أعوزتني الحيل أتيت عبد الله بن حسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه . فقلت : يا ابن رسول الله ان هذا الرجل قد اكرمني وأخذ علي أن لا امدح أحدا سواه فاعطيته ذلك . ثم دعاني الشره الى ان مدحت الوالى بعده . وقصصت عليه قصتى ، وسألته أن يشفع لى . فركب معى . فاخبرنى الواقف على رأس عبد الواحد ان عبد الله لما دخل عليه قام عبد الواحد فعانقه وأجلسه الى جانبه . وقال : حاجتك أحاجة غدت بك ؟ قال : نعم . قال : كل حاجة لك مقضية الا ابن هرمة . قال : ان رأيت أن لاتستثنى في حاجتى فافعل . قال : قد فعلت . قال : فحاجتي ابن هرمة . قال : قد رضيت عنه وأعدته الى منزلته . قال : فتأذن له أن ينشدك ؟ قال : تغنيني من هذه . قال : لك ان تفعل . قال : فائتوا به . فدخلت عليه وأنشدته قولي :

وجدنا غالباً كانت جناحا وكان أبوك قادمة الجناح

فغضب عبد الله بن حسن حتى انقطع زره . ثم وثب مغضبا وأوجزت في الانشاد . ثم لحقته . فقلت : جزاك الله خيرا يا ابن رسول الله . فقال : لكن لاجزاك الله خيرا ياماص كذا من أمه تقول لابن مروان بحضرتى :

وكان أبوك قادمة الجناح

وأنا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ؟ فقلت : جعلني الله فداك . اني قلت قولا أجد غرته طلب الدنيا . ووالله ماقست بكم أحدا قط . أو لم تسمع قد قلت فيها :

وبعض القول يذهب فى الرياح

قال : فضحك عبدالله وقال : قاتلك الله ماأظرفك . وهذه القصيدة الحائية

التى مدح بها عبد الواحد من فاخر الشعر وجيده فمنها :

أعبد الواحد المحمود انى ... أغص حذار سخطك بالقراح
فان أك قد هفوت الى أمير ... فعن غير التطوح والسماح
ولكن سقطة كتبت علينا ... وبعض القول يذهب في الرياح
لعمرك انى وبني عدي ... ايهوى بى رشادي أوصلاحي
اذا لم ترض عنى أو تصلنى ... أفي حين أعالجه متاح
واني اذ حططت اليك رحلي ... ...[1] السراة لذو ارتياح
هششت لحاجةووعدت اخرى ... ولم تبخل بناجزة السماح
وجدنا غالبًا كانت جناحًا ... وكان أبوك قادمة الجناح

قال عبيد الله بن ابراهيم الجمحي : قلت لابن هرمة أتمدح عبد الواحد ابن سليمان بشعر مامدحت به أحداً غيره ثم تقول فيه :

أعبد الواحد المحمود اني ... أغص حذار سخطك بالقراح

فباى شيء استوجب هذا منك ؟ فقال له : أخبرك بالقصة لتعذرني . أصابتنى أزمة بالمدينة ، فاستنهضتنى ابنة عمي للخروج . فقلت لها : انه ليس عندى مايقل جناحى . فقالت : أنا أنهض بما امكنني . وكانت عندى ناب لى ، فنهضت عليها حتى دفعت الى دمشق، فآويت الى مسجد عبد الواحد في جوف الليل . فجلست فيه أنتظره الى ان نظرت فرع الفجر . فاذا الباب يتفلق عن رجل كانه البدر، فدنا فأذن فصلى ركعتين ، فتأملته فاذا هو عبد الواحد. فقمت فدنوت منه وسلمت عليه . فقال: أبا اسحق أهلا ومرحباً . فقلت : لبيك فداك أبي وأمي وحياك الله بالسلام وقربك من رضوانه . فقال : أما آن لك أن تزورنا فقدطال العهد واشتد الشوق ، ماوراءك؟ فقلت لاتسألني فان الدهر قد أخنى على ، فما وجدت مستغاثا سواك . فقال :

(١) فى الاصل « بمرلى »

لاترع ، فقد وردت على ماتحب ان شاء الله تعالى. فوالله اني لأخاطبه اذا بثلاثة فتية قد خرجوا فسلموا . فاستدنى الاكبر منهم ، فهمس اليه بشيء دوني ودون أخويه ، فمضى الى البيت . ثم رجع فجلس اليه فكلمه بشيء . ثم ولى فلم يلبث أن خرج ومعه عبد ضابط يحمل على عبا يحمل من الثياب (١) حتى صار بين يدى. ثم همس اليه ثانيا فعاد واذا به قد رجع ومعه مثل ذلك ، فضرب به بين يدي . فقال لي عبد الواحد : ادنُ أبا اسحق ، فاني أعلم انك لم تصر الىَّ حتى تفاقم صدعك . فخذ هذا وارجع الى عيالك ، فوالله ماسالمنا لك هذا الا من أشداق عيالنا . ودفع الي الف دينار . وقال : قم فارحل وأغث من وراءك . فقمت الى الباب فلما نظرت الى ناقتي صغت الى . فقال : ماأُظن هذه مبلغتك . ياغلام قدم له جملي فلانا . فوالله لكنت بالجمل أشد سرورا منى بكل مانلت. فلا تلومنّي ان أغص حذار سخط هذا بالقراح . والله ما أنشدته بيتا واحدا

دخل ابن هرمة على المنصور فقال : يا أمير المؤمنين . اني قد مدحتك مدحة لم يمدح أحد أحداً مثلها . قال : وما عساك أن تقول في بعد قول كعب الاسقري (٢) في المهلب :

براك الله حين براك بحراً　　وفجّر منك أنهارا غزارا

فقال : قد قلت فيك أحسن من هذا . فقال : هات . فانشده من قصيدة :

له لحظات عن حفا في سريره　　اذا كرها فيها عقاب ونائل

فأم الذي آمنت آمنة الردى　　وأم الذي خوفت بالثكل ثاكل

فأمر له بعشرة آلاف درهم . فقال له المهدي : يا أمير المؤمنين ، قد تكلف اليك في سيره نحوها . فقال له المنصور : يابني قد وهبت له ماهو أعظم منها وهبت له نفسه . أليس القائل :

(١) كذا الاصل وفي العبارة اضطراب (٢) كذا في الاصل

اذا قيل من خير من يرتجى لمعتر فهر ومحتاجها
ومن يعجل الخيل يوم الوغى بالجامها قبل اسراجها
أشارت نساء بنى غالب اليك به قبل ازواجها

ثم قال له: لو رأيت هذا حيث رأيته وهو ينشد عبد الواحد:

وجدنا غالبا كانت جناحا وكان أبوك قادمة الجناح

لاستكثرت له ما استقللت ولرأيت أن حياته بعد ذلك القول ربح كثير. ووالله ماهممت له مذ يومئذ بخير فذكرت قوله الا زال ماعرض بقلبي الى ضده حتى أهم بقتله. ثم أعفو عنه

وجه المنصور رسولا قاصدا الى ابن هرمة. ودفع اليه الف دينار وخلعة. ووصفه له: انك تراه جالساً في موضع كذا في المسجد، فانتسب له الى بنى أمية ومواليهم، وسله أن ينشدك قصيدته الحائية التى مدح بها عبد الواحد:

وجدنا غالباً كانت جناحا وكان أبوك قادمة الجناح

فان أنشدها فاخرجه من المسجد واضرب عنقه وجئني برأسه. وان أنشدك قصيدته اللامية التى مدحنى بها فادفع اليه الالف دينار والخلعة، وما أراه ينشدك غيرها ولا تعرّف بالحائية. فاتاه الرسول، فوجده كما قال المنصور فجلس اليه وانتسب له واستنشده قصيدته الحائية في عبد الواحد. فقال: ماقلت هذه القصيدة قط ولا أعرفها وانما يحكيها على من يعاديني. وان شئت أنشدتك أحسن منها. فقال: قد شئت فهات. فانشده قصيدته اللامية:

فأم الذي آمنت آمنة الردى وأم الذى خوفت بالثكل ثاكل

الى آخرها. ثم قال: هات ما أمر به أمير المؤمنين. قال: أي شيء هو ياهذا؟ فقال: دع عنك ذا، فوالله مابعث بك الا أمير المؤمنين، ومعك بره

وكسوة وأمرك أن تسألني عن القصيدة ، فان أنشدتك اياها ضربت عنقي وحملت رأسي اليه ، وان أنشدتك هذه دفعت الى ماحملك اياه . فضحك الرسول . وقال : صدقت لعمري . ودفع اليه الالف دينار والخلعة

ولابن هرمة :

وانك ان أطمعتني منك بالرضا   وأيأستني من بعد ذلك بالغضب
كممكنة من درّها كف حالب   ودافقة من بعد ذلك ماحلب

قال أبو نواس : شاعران شبها في بيتين ، ووضعا التشبيه في غير موضعه ، فلو أخذ بيت هذا ووضع مع بيت هذا ، وبيت هذا ووضع مع بيت هذا ، لصار مشبها به . وهما قول جرير للفرزدق :

وانك ان تهجو تميما وترتشي   بما بين قيس أو سحيق الغمائم
كهريق ماء بالفلاة وغره   سراب بدا في أغبر اللون قاتم

وقول ابن هرمة :

واني وتركي ندى الاكرمين   وقدحي بكفيَ زندا شحاحا
كتاركة بيضها بالعراء   وملبسة بيض اخرى جناحا

ولو قال ابن هرمة :

واني وتركي ندى الاكرمين   وقدحي بكفي زندا شحاحا
كهريق ماء بالفلاة وغره   سراب بدا في أغبر اللون قاتم

لكان أشبه لها . ولكن ابن هرمة قد تلافى ذلك فقال :

وانك ان اطمعتني منك بالرضا   وآيستني من بعد ذلك بالغضب
كممكنة من درها كف حالب   ودافقه من بعد ذلك ماحلب

حُبس ابن هرمة مع قوم يشربون . فذُكر الحكم بن المطلب فاطنب في مدحه . فقيل له : انك لتكثر ذكر رجل لو طرقته الساعة في شاة عنده يقال

لها غبراء تسأله اياها ، لردك عنها . فقال : هو يفعل هـذا ؟ فقالوا : أي والله وكانوا قد عرفوا أن الحكم بها معجب . وكان في داره سبعون شاة تحلب . فخرج وفي رأسه مافيه . فدق الباب . فخرج غلامه اليه . فقال : أعلم أبا مروان بمكاني . وكان لايحجب ابن هرمة عنه . فأعلمه به فخرج اليه متشحاً . فقال : أفي هذه الساعة ؟ قال : نعم جعلت فداك ولد لاخ لى في هـذه الساعة مولود فلم تدرّ عليه أمه . فقالوا : شاة حلوب . فلم يجدوها . فذكرت لى شاة عندك يقال لها غبراء فسألنى أن أسألكها . فقال : تجيء في هـذه الساعة ، ثم تنصرف بشاة واحدة . والله لا يبقى في الدار شاة الا انصرفت بها . وأمر بسوقهن معه. فخرج بهن الى القوم . ثم قال : ويلكم أي شيء صنعتم ؟ وقص عليهم القصة . وقال : فيهن والله مائمنه عشرة دنانير وأ كثر من عشرة

كان ابن الاعرابي يقول : ختم الشعراء بابن هرمة

وكان ابن هرمة مغرما بالنبيذ . فمر على جيرانه وهو منبتّ [1] سكرا ودخل منزله . فلما كان الغد دخل عليه جيرانه ، فعاتبوه على الحال التي رأوه عليها . فقال لهم : أنا في طلب مثلها منذ دهر ، أما سمعتم قولى :

أسأل الله سكرة قبـل موتي   وصياح الصبيان ياسكران

فنفضوا ثيابهم وخرجوا وقالوا : ليس يفلح هذا أبدا

قال الزبير بن بكار [2] أنشدني عمي لابن هرمة :

ما أظن الزمان يا أم عمرو   تاركا ان هلـكت من يبكيني

قال : فكان والله كذلك . لقد مات فأخبرني من رأى جنازته يحملها أربعة نفر حتى دفن بالبقيع

---

(١) في الاصل «منبت» وفي الاغاني «شديد السكر» (٢) كانت في الاصل « الزهري بكار »

قال البلاذرى : ولد ابن هرمة سنة تسعين . وأنشد أبا جعفر المنصور في سنة أربعين ومائة قصيدته التي يقول فيها :

ان الغوانى قد أعرضن مقلية   لما رمى هدف الخمسين ميلادى

وعمر بعد هـذا مدة طويلة

قال يحيى بن عروة بن أذينة : خرجت فى حاجة لي حتى أتيت السيالة . فوقفت على منزل ابراهيم بن هرمة فصحت : يا ابا اسحق . فأجابتنى ابنتـه وقالت : خرج آنفا . فقلت : هل من قرى فانى مقوٍ من الزاد . فقالت : لا والله . فقلت : أين قول ابيك :

لا أمتع العوذ بالفصال ولا   ابتاع الا قريبة الاجل[1]

قالت : « فذاك والله أفناها » . وكان ابن هرمة بخيـلا

اجتمع قوم من قريش فأتوا ابن هرمة وعبثوا به ، وتزودوا زادا كثيرا . ثم أتوه ، فخرج اليهـم وقال : حاجتكم ؟ فقالوا سمعنا بشعرك ، فدعانا اليك ما سمعنا منه وهو :

كم ناقة قد وجأت منحرها   بمستهل الشؤبوب أو جمـل

لا امتع العوذ بالفصال ولا   ابتاع الا قريبة الاجـل

فنظر اليهم طويلا وقال : ماعلى الارض عصابة أضعف عقولا منكم ، ولا أسخف . فقالوا له : ياعدو الله ، أتيناك زائرين ، وتسمعنا هـذا الـكلام ؟ فقال : أما سمعتم قول الله عز وجل في الشعراء « وانهم يقولون مالا يفعلون » أيخبركم الله تعالى أنى أقول مالا أفعل ، وتريدون منى ان أفعل ما أقول؟ فضحكوا منه وأخرجوا له مامعهم وأقاموا متنزهين وانصرفوا

(١) العوذ : الحديثات النتاج من الظباء والابل والخيل . و كانت في الاصل « لا أبتع العوذ الفصال » وصححناها من الاغانى

اسماعيل بن يسار (١) النسائي

هو مولى بني تيم بن مرّة تيم قريش، وكان منقطعا الى آل الزبير . فلما افضت الخلافة الى عبد الملك بن مروان وفد اليه مع عروة بن الزبير، ومدحه ومدح الخلفاء من ولده بعده، وعمر طويلا الى آخر سلطان بني أمية . ولم يدرك الدولة العباسية . وكان طيبًا مليحًا مندرا مليح الشعر . وكان كالمنقطع الى عروة بن الزبير . وانما سمي اسماعيلُ بن يسار النِسائيَّ . لان أباه كان يصنع طعام العرس ويبيعه فيشتري منه من أراد التعريس من المتجملين ومن لم يبلغ حاله اصطناع ذلك . وقيل سمي بذلك لانه كان يبيع النجد والفرش التي تتخذ للعرائس . فسمي يسار النسائي

ولما وفد مع عروة بن الزبير الى الشام يريد الوليد بن عبد الملك ركب معه في المحمل يعادله . فقال عروة ليلة من الليالي لبعض غلمانه : انظر كيف المحمل . قال : أراه معتدلا . فقال اسماعيل : الله أكبر . مااعتدل الحق والباطل قبل الليلة قط . فضحك عروة وكان يستخف اسماعيل ويستطيبه

وكان اسماعيل بن يسار ينزل في موضع يقال له جديلة، وكان له جلساء يتحدثون عنده . ففقدهم أياما . فسأل عنهم فقيل: هم عند رجل طيب الحديث يتحدثون اليه حلو ظريف قدم عليهم، اسمه محمد وكنيته أبو قيس . فجاء اسماعيل حتى وقف عليهم فسمع الرجلُ القوم يقولون : جاء صديقنا اسماعيل . فاقبل عليه . فقال: أنت اسماعيل ؟ فقال : نعم . فقال : رحم الله أبويك فانهما سمياك باسم صادق الوعد وأنت كاذب . فقال له اسماعيل: مااسمك ؟ قال محمد .

---

(١) كانت في المختصر « اسماعيل بن بشار النساء » في العنوان وفي الترجمة الآتية وصححناه من الاغاني

قال : أبو من ؟ قال : أبو قيس . فقال : لايرحم الله أبويك فانهما سمياك باسم نبي وكنياك بكنية قرد . فافحم الرجل وضحك القوم ، ولم يعد لمجالستهم وعادوا الى مجالسة اسماعيل

ولاسماعيل قصيدته التي يفخر بها بالعجم على العرب أولها :

ماعلى رسم منزل بالجناب لو أبان الغداة رجع جواب
رب خال متوّج لى وعم ماجد مجتدًى كريم النصاب
انما سمي الفوارس بالفر س مضاهاة رفعة الانساب
فاتركي الفخر ياامام علينا واتركي الجور وانطقي بالصواب
واسألى ان جهلت عنا وعنكم كيف كنا في سالف الاحقاب
اذ نربي بناتنا وتدسو ن سفاها بناتكم في التراب

وكانت كنية اسماعيل أبا فائد . وكان أخواه محمد وابراهيم شاعرين أيضاً . وهما من سبي فارس . وكان اسماعيل شعوبيا ، شديد التعصب للعجم له شعر كثير يفخر به بالاعاجم على العرب . وأنشد يوماً في مجلس فيه أشعب هذا البيت :

اذ نربي بناتنا وتدسو ن سفاها بناتكم في التراب

فقال له اشعب : صدقت يا أبا فائد أراد القوم بناتهم لغير ما أردتموهن . فقال له : وماذاك ؟ فقال : دفن القوم بناتهم خوفا من العار عليهن ، وزينتموهن لتنكحوهن : فضحك القوم حتى استعبروا . وخجل اسماعيل حتى لو قدر أن يسيخ في الارض لفعل

قال ابراهيم بن أبي عبد الله : ركب فلان من ولد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه . فأمر باسماعيل بن يسار النسائي حتى أتى به قباء فاستخرج الاحوص فقال له : أنشدني قولك :

ماضر جيراننا اذ انتجعوا لو انهم قبل بينهم ربعوا

فانشده القصيدة . فاعجب بها . ثم انصرف . فقال له اسماعيل : أما جئت الا لما أرى ؟ قال: لا . قال : فاسمع . وأنشده قصيدته التي هي :

ياهند ردي الوصل أن يتصرما وصلى امرءاً كلفا بحبك مغرما
لو تبذلين له دلالك مرة لم يبغ منك سوى دلالك محرما
منع الزيارة ان أهلك كلهم أبدوا لزورك غلظة وتجهما
ماضر أهلك لو تطوّف عاشق بفناء بيتك أو ألمّ فسلما

فقال : لو كنت سمعت هذه القصيدة أو علمت انك قلتها لما أتيته

سمع زبان السواق رجلا ينشد قول اسماعيل :

ماضر أهلك لو تطوف عاشق بفناء بيتك أو ألم فسلما

فقال : لاشيء والله الا الضجر وسوء الخلق وضيق الصدر . وجعل يبكي ويمسح عينيه

قال جعفر بن الحسن اللهبي : أنشدت زبان السواق قول اسماعيل بن يسار النسائي :

ان جملا وان تبينت منها نكبا عن مودتي وازورارا
شردت بادِ كارها النوم عنى وأُطير العزاء مني فطارا
ما على أهلها ولم تأت سوءا أن تحيا تحية أو تزارا
يوم أبدوا لي التجهم فيها وحموها لحاجة وضرارا

فقال زبان : لاشيء وابيهم الا اللحن وقلة المعرفة وضيق العطن . فصاح عليه أبو المعافى وقال : فعلى من ذاك ويلك؟ أعليك أو على أبيك أو أمك ؟ فقال له زبان : يا أبي المعافى انما أتيت من نفسك ، ولو كنت تفعل

هذا ما اختلفت أنت وأبوك (١) فوثب عليه أبو المعافى يرميه بالتراب ويقول له : ياسفيه ويحك تحسن الدياثة . وزبان يهرب منه

غنى الوليد بن يزيد فى شعر اسماعيل بن يسار النسائي :

حتى اذا الصبح بدا ضوءه وغابت الجوزاء والمرزم
خرجت والوطء خفي كما ينساب من مكمنه الارقم

فقال : من يقول هـذا ؟ قالوا : رجل من أهل الحجاز يقال له اسماعيل ابن يسار النسائي . فكتب في إشخاصه اليه . فلما دخل عليه استنشده القصيدة فانشده :

كلثم أنت الهمّ ياكلثم وأنتم الداء الذى أكتم
أكاتم الناس هوى شفني وبعض كتمان الهوى أحزم
لاتتركيني هكذا ميتا لا أمنح الود ولا أصرم
أوفي بما قلت ولا تندمي ان وفيّ القول لاينـدم
ايه بما جئت على رقبة بعدالكرى والناس قد هوموا
أخافتُ المشي حذار العدى والليـل داج حالك مظلم
ودون ما حاولت ان زرتكم أخوك والخال معا والحم
وليس الا الله لى صاحبا اليكم والصارم اللهـذم
حتي دخلت البيت فاستذرفت من شفق عيناك لى تسجم
ثم انجلى الحزن وروعاته وغيب الكاشح والمبرم
فبت فيما شئت من نعمة يمنحنيها نحرها والفم
حتى اذا الصبح بدا ضوءه وغابت الجوزاء والمرزم
خرجت والوطء خفي كما ينساب من مكمنه الارقم

(١) فى الاغاني « وابنك »

فطرب الوليد حتى نزل عن فرشه وسريره . وأمر المغني فغنى فيه وشرب أقداحا . وأمر لاسماعيل بجائزة سنية وسرحه الى المدينة

اصطحب شيخ وشبان في سفينة . فقال بعض الشبان للشيخ : ان معنا قينة ونحن نجلك ان تسمع غناءها . فقال : الله المستعان فشأنكم . فغنت :

حتى اذا الصبح بدا ضوءه   وغابت الجوزاء والمرزم
خرجت والوطء خفي كما   ينساب من مكمنه الارقم

فالقى الشيخ نفسه في الفرات وجعل يقول : أنا الارقم . فأدركوه وقد كاد أن يغرق . فقالوا : ماصنعت بنفسك؟ فقال : انى أعلم والله من معاني الشعر مالا تعلمون

دخل اسماعيل بن يسار النسائي على هشام بن عبد الملك في خلافته وهو بالرصافة جالس على بركة له في قصره . فاستنشده وهو يرى أن ينشده مديحاله فيه . فأنشده قوله يفخر بالعجم على العرب قصيدته التى يقول منها :

اني وجدك ماعودي بذى خور   عند الحفاظ ولا حوضى بمهدوم
أصلى كريم ومجدى لايقاس به   ولى لسان كحد السيف مسموم
أحمى به مجد أقوام ذوى حسب   من كل قرم بتاج الملك معموم
جحاجح سادة بلج مرازبة   جرد عتاق مساميح مطاعيم
من مثل كسرى وسابور الجنود معا   والهرمزان لفخر أو لتعظيم
أسد الكتائب يوم الروع ان زحفوا   وهم أذلوا ملوك الترك والروم
يمشون في حلق المازى سابغة   مشى الضراغمة الاسد اللهاميم
هناك ان تسألى تنبئ بان لنا   جرثومة قهرت غر الجراثيم

فغضب هشام . وقال له : ياعاض بظر أمه ، أعلى تفخر ، واياى تنشد

قصيدة تمدح بها نفسك وأعلاج قومك. غطوه في الماء[1]. فغط في البركة حتى كادت نفسه تخرج، وأمر باخراجه وهو بشرّ، فنفاه من وقته، وأخرج عن الرصافة منفيا الى الحجاز. وكان مبتلى بالعصبية للعجم والفخر بهم. فكان لايزال محروما مطروداً مضروباً

ولما مات محمد بن يسار أخو اسماعيل، دخل أخوه اسماعيل على هشام ابن عروة فجلس عنده وحدثه بمصيبته ووفاة أخيه. ثم أنشده مرثية:

عيل العزاء وخانني صبري ... لما نعا الناعي أبا بكر
ورايت ريب الدهر أفردني ... منه وأسلم للعدى ظهري
من طيب الاثواب مقتبل ... حلو الشمائل ماجد غمر
فمضى لوجهته وأدركه ... قد أتيح له من القدر
وأقمت مالي منه تذكرة ... الا الاسى وحرارة الصدر
وجوى يعاودني وقلّ له ... مني الجوى ومحاسن الذكر
لما هوت أيدي الرجال به ... في قعر ذات جوانب غبر
وعلمت أني لن ألاقيه ... في الناس حتى ملتقى الحشر
كادت لفرقته وما ظلمت ... نفسي تموت على شفا القبر
ولعمر من حُبس الهديّ له ... بالاخشبين صبيحة النحر
لو كان نيل الخلد يدركه ... بشر بطيب الخيم والنجر
لعبرتَ لاتخشى المنون ولا ... أودى بنفسك حادث الدهر
ولنعم مأوى المرملين اذا ... قحطوا وأخلف صيب القطر

وكان بحضرة هشام رجل من آل الزبير. فقال له: أحسنت وأسرفت في

(١) كانت في الاصل (بالماء) وصححناه من الاغاني

القول ، ولو قلت هذا في رجل من سادات قريش لكان كثيراً. فزجره هشام وقال : بئس لعمر الله ما واجهت به جليسك . فشكر له اسماعيل ذلك . فلما انصرف تناول هشام ذلك الرجل الزبيري . وقال : ما أردت الى رجل شاعر ملك قوله ، فصرف أحسنه الى أخيه ، فما زدت على ان اغريته بعرضك واعراضنا ، لولا اني تلافيته

دخل اسماعيل بن يسار على عبد الملك بن مروان لما أفضى اليه الامر بعد مقتل عبد الله بن الزبير . فسلم ثم وقف موقف المنشد . فقال له عبد الملك : الآن يا ابن يسار انما أنت رجل زبيري . فبأي لسان تنشد . فقال له : يا أمير المؤمنين أنا أصغر شأنا من ذلك . وقد صفحت عن أعظم جرماً وأكثر غناء لاعدائك مني . وانما أنا شاعر مضحك . فتبسم عبد الملك وأومأ اليه الوليد أن ينشد . فأنشد قصيدته التي أولها :

ألا يالقومي للرقاد المسهد

ومنها :

ملكت فزدت الناس ما لم يزدهم … امام من المعروف غير مصرد
وقلت فلم تنقض قضاء خليفة … ولكن بما قاسوا من العدل تقتدي
ولما وليت الملك ضاربت دونه … وأسندته لا تأتلي خير مسند
جعلت هشاما والوليد ذخيرة … ولييّن للعهد الوثيق المؤكد

فنظر اليهما عبد الملك متبسما ، والتفت الى سليمان فقال : أخرجك اسماعيل من هذا الامر . ونظر الى اسماعيل نظرة مغضب . فقال اسماعيل : يا أمير المؤمنين . انما وزن الشعر أخرجه من البيت الاول . وقد قلت بعده :

وأمضيت عزماً في سليمان راشدا … ومن يعتصم بالله مثلك يرشد

فأمر له بالفى درهم صلة وزاده في عطائه . وقال لولده : أعطوه . فاعطوه ثلاثة آلاف درهم

ابراهيم الموصلي

هو ابراهيم بن ميمون [أو] بن ماهان بن بهمن بن كسك [1]. وكان سبب نسبته الى ميمون أنه كتب الى صديق له فعنون كتابه : من ابرهيم بن ماهان . فقال له بعض فتيان الكوفة أما تستحي من هذا الاسم ؟ فقال : هو اسم أبي . قال : فغيره . فقال : كيف اغيره ؟ فأخذ الكتاب فمحا ماهان وكتب ميمون . فبقي ابراهيم بن ميمون

وقال ابراهيم : أصلنا من فارس وكنا بيتًا شريفا في العجم . وكان جدنا ميمون هرب من جور بعض عمال بنى أمية فنزل في الكوفة في بنى عبدالله ابن درام وكان بين ابراهيم وبين ولد نضلة بن نعيم رضاع وأم ابراهيم امرأة من بنات الدهاقين الذين هربوا من فارس لما هرب ابو ابراهيم فنزلوا جميعًا في الكوفة فتزوجها ماهان فى الكوفه فولدت له ابراهيم ومات في الطاعون الجارف وخلف ابراهيم طفلا فكفله الى خزيمة بن خازم . وكان سنه لما مات أبوه سنتين أو ثالثًا وخلف معه أخوين من غير أمه أكبر منه فاقام ابراهيم مع أمه وأخواله حتى ترعرع . وكان مع ولد خزيمة في الكتاب فلهذا السبب صار ولاؤه الى تميم

وسأله الرشيد فقال : ماالسبب بينك وبين بنى تميم ؟ فقص عليه قصته فقال : ربونا ياأمير المؤمنين فاحسنوا تربيتنا ونشأت بينهم وبيننا رضاع فتولونا بهذا السبب . فقال له الرشيد : ويحك فما اراك اذاً الا مولاي . قال فهذه قصتي والله ياأمير المؤمنين

---

(١) وفي الاغاني « نسك »

وكان مولد ابراهيم سنة خمس وعشرين ومائة ووفاته في سنة ثمان وثمانين ومائة وله ثلاث وستون سنة

وسبب قولهم الموصلى أنه لما اشتد وأدرك صحب الفتيان واشتهى الغناء وطلبه واشتد أخواله عليه فى ذلك وبلغوا منه ، فهرب الى الموصل فاقام بها سنة ، فلما رجع الى الكوفة قال له اخوانه من الفتيان : مرحباً بالفتى الموصلى . فغلبت عليه

وقيل كان سبب طلبه الغناء أنه لما خرج الى الموصل صحب جماعة من الصعاليك كانوا يصيبون في الطريق ويصيب معهم ويجمعون مايفيدونه فيقصفون ويشربون ويغنون ، فتعلم منهم شيئاً من الغناء . وكان أطيبهم صوتاً وأحذقهم . فلما أحس بذلك من نفسه اشتهى الغناء وطلبه وسافر الى المواضع البعيدة فيه والى الري وتزوج هناك امرأته دوشار وتفسيرها اسدان (١) بنت شاهك أم ابنه اسحق وسائر ولده

وكان قد أسلم الى الكتاب فكان لايتعلم شيئاً ولا يزال يضرب ويحبس فلا ينجع ذلك فيه ، فهرب الى الموصل

قال ابراهيم أول شيء كسبته بالغناء انى كنت بالرى انادم أهلها بالسوية لا ارزأهم شيئاً ، فمر بنا خادم أنفذه المنصور الى بعض عماله برسالة فسمعنى عند رجل من الرى فشغف بي وخلع عليّ دوّاج سمور له قيمة ، ومضى بالرسالة ورجع وقد وصله العامل بسبعة آلاف درهم وكسوة كثيرة فجاءني الى منزلى وأعطانى نصف الكسوة وألفى درهم فقلت لا أنفق هذه الدراهم الا على

---

(١) الا سد بالفارسية (شير) ولعل (شار) لغة أو لهجة في هذه اللفظة . و (دو) بمعنى اثنين

الصنعة التي أفادتنيها . ووصف لى رجل بالابلّة اسمه جوانويه فلما جئته لم أصادفه في منزله فانتظرته حتى جاء فلما رآني احتشمني وكان مجوسياً فاخبرته بصناعتي والحاجة التي قصدته لها ، فرحب بي وأفرد لى جناحاً في بيته ، ووكل بي جارية فقدمت لى ما احتاج اليه ، فلما كان العشاء عاد الى منزله ومعه جماعة من الفرس ممن يغني ، فنزلت اليه فجلسنا في مجلس قد هيء لنا فيه نبيذ ورياحين وفاكهة ، وأخذوا في شأنهم وضربوا فلم أجد في غناء أحد منهم فائدة . وبلغت النوبة اليّ فضربتُ وغنيت فقاموا جميعا اليّ وقبلوا رأسي وقالوا : سخرت بنا نحن الى تعليمك احوج منك الينا . فاقمت على تلك الحال أياماً حتى بلغ محمد بن سليمان ابن على ماجرى ، فوجه اليّ فاحضرني وأمرني بملازمته ، فقلت : أيها الأمير أني لست أتكسب بهذه الصناعة وإنما ألتذ بالغناء ولذلك تعلمته وأريد العود الى الكوفة . ولم أنتفع بذلك عنده وأخذني بملازمته . وسألني من أين أنا فاخبرته اني من الموصل ، فلزمتني وعُرفت بها . ولم ازل عنده اثيراً مكرما حتى قدم عليه خادم من خدام المهدي ، فلما رآني عنده قال له : أمير المؤمنين أحوج الى هذا منك . فدافعه عني . فلما قدم الرسول على المهدي سأله عما رأى في طريقه فأخبره بذلك حتى انتهى الى ذكرى فوصفني له ، فأمره المهدي بالرجوع وإشخاصي اليه . فجاء وأشخصني اليه وحظيت عنده وقدمني

وقيل انه صحب عيسى بن سليمان ، وأن المهدي أخذه منه . وقال : ماسمع المهدي قبلي الا فليح بن [أبي] العورا وسياطاً أحضرهما الربيع له

قال ابراهيم : وكان المهدي لايشرب النبيذ . فأراد مني ملازمته وترك الشرب . فابيت عليه وكنت أغيب عنه الايام . فاذا جئته جئت منتشيا .

فغاظه ذلك مني وضربني وحبسني . ثم دعاني يوما ، وعاتبني على شربي في منازل الناس والتبذل معهم . فقلت : يا أمير المؤمنين انما تعلمت هذه الصناعة للذتي ، وعشرة اخواني ، ولو أمكنني تركها لتركتها وجميع ما أنا فيه لله . فغضب غضبا شديداً وقال : لاتدخل على موسى وهارون . ووالله ان دخلت عليهما لافعلن وأصنعن . فقلت : نعم . ثم بلغه عني أني دخلت عليهما ، وشربت معهما . وكانا مستهترين بالشرب . فضربني ثلثمائة سوط . وقيدني وحبسني . قال : وذلك اني كنت معهما في نزهة لهما ، ومعهما أبان الخادم . فسعى بهما الى المهدي وبي وحدثه بما كنا فيه . فدعاني فسألني فانكرت . فأمر بي فجررت . وضربني ثلثمائة سوط وستين سوطا . فقلت : يا أمير المؤمنين ، ان جرمي ليس من من الاجرام التي يحل لك بها سفك دمي ؟ والله لو كان سر ابنيك تحت قدميّ مارفعتهما عنه ولو قطعتا ، ولو فعلتُ ذلك كنت في حال ابان العبد الساعي . فلما قلت له ذلك ضربني بالسيف فشجني وسقطت مغشيا علي ساعة . ثم فتحت عيني فوقعت على عين المهدي ، فرأيتها عين نادم . وقال لعبد الله بن مالك : خـذه اليك . فاخرجني عبد الله الى داره ، وأنا أرى الدنيا في عيني صفراء وحمراء وخضراء من حر السـياط : وأمره أن يتخذ لي شبيها بالقبر فيضعني فيه . فدعا عبد الله بكبش فذبح وسلخ وألبسني جلده ليسكن الضرب ودفعني الى خادم له يقال له أبو عثمان سـعيد التركي . فوضعني في ذلك القبر ووكل بي جارية يقال لها جشة[1] . فتأذيت بنتن كان في ذلك القبروبالبق[2] . فقلت لجشة[1] : أصلحي لي آجرَّة عليهـا فحم وكندر تذهب عني هذا البق .

(١) كذا في الاغاني وكانت في الاصل « حشة »

(٢) في الاغاني « فتأذيت بنزعيسى باذوبالبق في ذلك القبر » و (عيسى باذ) محلة كانت بشرقي بغداد منسوبة الى عيسى بن المهدي وكانت أقطاعاً له

فاتتني بذلك . فلما دخلت أظلم القبر وكادت نفسي تخرج . فلما استرحت اذا حيتان مقبلتان تحوى من شق القبر ، تدوران حولى بهفيف (١) شديد . فهممت ان آخذ واحدة بيدى اليمنى والاخرى باليسرى ، فاما علي واما لي. ثم كفيتهما فدخلتا الشق الذي خرجتا منه . فمكثت في ذلك القبر ماشاء الله . ثم اخرجت ووجهت الى أبي عثمان ، فسألته أن يبيعني جشة (٢) لا كافئها عما أولتني. ففعل. فزوجتها من صاحب لي (٣) . فمكثت عندنا حتى ماتت وبقيت بنت لها يقال لها جمعة . فزوجتها من مولى لنا في سنة أربع وثلاثين [وما ئتين] * ثم حلفني المهدي بالطلاق والعتاق وكل يمين لافسحة لي فيها اني لا أدخل على ابنيه موسى وهارون أبدا ولا أغنيهما .وخلى سبيلي. فلما ولى موسى الهادي الخلافة استترت ولم أظهر بسبب الأيمان . وكانت منازلنا تكبس كل ليلة ، وأهلنا يروعون بالطلب حتى أصابوني . فمضيت اليه . فلما عاينته . قلت : ياسيدى أم ولدى أعز الخلق علي . ثم غنيته :

يا ابن خير الملوك لاتتركني   غرضا للعدو يرمي حبالى
فلقد في هواك فارقت أهلي   ثم عرّضت مهجتي للزوال
ولقد عفت في هواك حياتي   وتغرّبت بين أهلى ومالى

قال اسحق ابنه : فموّله الهادى وخوّله . وحسبك انه أخذ منه مائة الف وخمسين الف درهم في يوم واحد . ولو عاش لبنينا حيطاننا بالذهب والفضة . ولم ير أكمل مروءة ولا أكرم من ابراهيم . وكان له طعام معد أبدا في كل وقت . كان له في كل يوم ثلاث شياه . واحدة مقطعة في القدور . وأخرى مسلوخة معلقة . واخرى حية . فاذا أتاه قوم ، طعموا المطبوخ وقطعت الشاة

(١) في الاغاني « بحفيف »   (٢) كذا في الاغاني وفي الاصل « حشة »
(٣) في الاغاني « حاجب لي »

المعلقة في القدور . وذبحت الحية وعلقت . وأتى باخرى فابقيت حية عوض المذبوحة . وكانت وظيفته لطعامه وطيبه . وما يتخذ له في كل شهر ثلاثين الف درهم ، سوى كسوته . ولقد اجتمع عنده مرة من الجوارى الودائع لاخوانه ثمانون جارية . مافيهن واحدة الا ويجرى عليها من الطعام والكسوة والطيب مثل ما يجرى لاخص جواريه. فاذا ردت الواحدة الى مولاها ، وصلها و كساها . ومات وما فى ملكه الا ثلاثة آلاف درهم [1] . وعليه من الدين سبع [مائة دينار قضيت منها]

وكان الرشيد اشترى من ابراهيم جارية بستة وثلاثين الف دينار . ثم أرسل الى الفضل بن الربيع : انا اشترينا هذه الجارية من ابراهيم ونحن نحسب أنها من غرضنا وليست كما ظننا وما قربتها وقد ثقل على الثمن وبينك وبينه ما بينكما . فاذهب اليه فسله أن يحطنا من ثمنها ستة آلاف دينار . فصار الفضل اليه . فخرج فتلقاه . فقال له : دعني من هذه الكرامة التى لامؤونة فيها . لست ممن يخدع . وقد جئتك في امر أصدقك عنه . وأخبره الخبر . فقال له ابراهيم: انما أراد أن يبلو قدرك عندى ! قال : هو ذاك . قال : فمالى في المساكين صدقة ان لم أضعفه . قد حططتك اثنى عشر الف دينار . فرجع الفضل اليه بالخبر . فقال : ويحك احمل الى هذا ماله ، فما رأيت سوقة أنبل منه نفساً . وعوتب في ذلك . وقيل ما كان لحطيطة هذا المال معنى . ولا هو قليل تتغافل عنه . فقال للائمه : يا أحمق ، أنا أعرف الناس به . والله لو أخذت المال كاملا ما أخذته الا وهو كاره . وحقد ذلك على وكنت أكون عنده صغير القدر . ولقد مننت عليه وعلى الفضل وعظم قدري . وانما اشتريت

---

(١) فى الاغانى دينار

الجارية باربعين الف درهم . وقد أخذت أربعة وعشرين الف دينار . فلما حمل المال اليه كاملا بلا حطيط رجع على لأمه وقال : كيف رأيت ، مَن البصير أنا أو أنت؟ فقال : أنت جعلت فداك

قال ابراهيم بن المهدى انصرفت ليلة من الشماسية . فمررت بدار ابراهيم الموصلى واذا هو في روشن له وقد صنع لحنا في هذا الشعر :

ألا رب ندمان علي دموعه تفيض على الخدين سحا سجومها

حليم اذا ماالكاس دارت وهزها رجال لديها قد تخف حلومها

ويلعب فيه بنغمة ويكررها ليستوى عليه . وجواريه يضربن عليه . فوقفت تحت الروشن حتى أخذته وانصرفت الى منزلى فما زلت أعيده حتى بلغت فيه الغاية القصوى . وأصبحت فغدوت الى الشماسية واجتمعنا عند الرشيد . فاندفع ابراهيم . فغناه أول كل شيء . فلما سمعه الرشيد طرب واستحسنه وشرب . وقال : لمن هذا يا ابراهيم ؟ قال : لى يامولاى . صنعته البارحة . فقلت : كذب يا أمير المؤمنين . هذا الصوت قديم وأنا أغنيه . فقال لي : غنه . فغنيته كما غناه ابراهيم . فبهت ابراهيم . وغضب الرشيد فقال : ياابن الفاجرة أتكذبني وتدعى ما ليس لك ! فظل ابراهيم باسوإ حال . فلما صليت العصر قلت للرشيد : وحياتك يا امير المؤمنين الصوت له وما كذب . ولكني مررت البارحة وهويردده على د ر ة له . فوقفت حتى دارلها ودار لى واستوي فأخذته . فدعا به فأمر له بخمسة آلاف دينار

قال إسحق لقى الفضل بن يحيي أبى وهو خارج من عند الفضل بن الربيع وكانا متجاورين بالشماسية . فقال له من أين يا أبا اسحق ، أمن عند الفضل بن الربيع ؟ قال نعم . غير معتذر من ذلك . فقال : خروج من عندالفضل بن الربيع

الى عند الفضل بن يحيى هذان والله أمران لايجتمعان لك . فقال : والله لئن لم يكن فيَّ مايتسع لكما حتى يكون الوفاء لكما جميعا واحدا مافيَّ خير ، والله لا أترك واحدا منكما لصاحبه ، فمن قبلني على هـذا قبلني ومن لم يقبلني فهو أعلم . فقال له الفضل بن يحيى: أنت عندى غير متهم والأمر كما قلت وقد قبلتك على ذلك

قال ابراهيم خرجت مع الرشيد الى الحيرة ، فساعة نزل بها تغدى ثم نام فاغتنمت قائلته وركبت أدور في الحيرة فنظرت الى بسـتان فقصدته فاذا على بابه شاب حسن الوجه فاستأذنته فى الدخول فأذن لى فدخلت فاذا جنة من الجنان فى أحسن تربة وأعزرها ماء . فقلت لمن هذا البستان ؟ فقال لبعض الاشاعثة . فقلت أيباع ؟ فقال : نعم وهو فى سوم . فقلت كم بلغ ؟ فقال أربعة عشر الف دينار . قلت وما يسمى ؟ قال شمارى . فقلت فيه :

جنان شمارى ليس مثلك منظر لذى رمد أعيا عليـه طبيب
ترابك كافور ونورك زهرة لها أرج بعد الهدوّ يطيب

وحضرنى فيه صنعة حسنة فلما جلس الرشيد غنّيته [إياه] أول ماغنيته فقال ويلك وأى شمارى ؟ فاخبرته القصة فامر لى باربعـة عشر الف دينار . فغمزنى جعفر بن يحيى وقال خذ توقيعه بها الىّ . وتشاغل الرشيد عنى فأعدت الصوت فقال ويلكم أعطوا هذا دنانيره . فوثبت فقلت ياسيدى توقع بها الى جعفر بن يحيى . فقال افعل . فوقع بها فلما حصل التوقيع عند جعفر أطلق لى المال وخمسة آلاف دينار من عنده . فلما حصل المال عندى كان أحب الى وأحسن في عينى من شمارى

قال اسحق بن ابراهيم قال ابن جامع يوما لابى : رأيت فى منامى كأنك وأنا راكبان في محمل فثقلت حتى كدت تلصق بالارض وعلا الشق الذي أنا فيه فلأ علونك فى الغناء . فقال ابراهيم : الرؤيا حق والتأويل باطل وانى واياك

كنا فى ميزان فرجحتُ بى وشالت كفتك وعلوتَ ولصقتُ بالارض فلا بقين بعدك ولتموتن قبلي . قال اسحق فكان كما قال أبى علا عليه ومات ابن جامع قبله وعاش أبى بعده

قال مخارق : أذن لنا أمير المؤمنين أن نقيم فى منازلنا ثلاثة أيام وأعلمنا أنه يشتغل فيها مع الحرم . وقيل اشتغل الرشيد يوما واصطبح مع الحرم وأصبحت السماء مغيمة تطش طشا خفيفا ، فقلت لأذهبن الى اسـتاذى ابراهيم فاعرف خبره ثم أعود وأمرت من عندى أن يسووا لنا مجالسا الى وقت رجوعى. فجئت الى ابراهيم الموصلى واذا الباب مفتوح والدهليز قد كنس والبواب قاعد فقلت ماخبر اسـتاذى فقال ادخل فدخلت واذا هو جالس فى رواق له و بين يديه قدور وأباريق تزهر والستارة منصوبة والجواري خلفها.وقدامه طست فيه رطلية وكوز وكاس فاخذت أترنم ببعض الاصوات وقلت له مابال الستارة لست أسمع من ورائها صوتا . فقال اقعد ويحك انى أصبحت على الذي ظننت فجاءني خبر ضيعة تجاورنى وطلبتها وتمنيتها زمانا فلم أملكها وقد أُعطى بها مائة الف درهم فقلت فما يمنعك منها فلقد أعطاك الله تعالى أضعاف هـذا المال بكثير . فقال صدقت ولـكن لست أطيب نفسا بان أخرج هذا المال فقلت فمن يعطيك الساعة مائة الف درهم فقال والله ما أطمع فى ذلك من الرشيد فكيف بمن دونه ثم قال اجلس فخذ هذا الصوت ثم نقر بقضيب على دواة وألقى عليَّ هذا الصوت فى شعر أبي نصير البصير [1] :

نام الخليون من همّ ومن حزن وبت من كثرة الاحزان لم أنم
ياطالب الجود والمعروف مجتهدا اعمد ليحيي حليف الجود والكرم

(١) فى الاغانى « الشعر لابى بصير »

فأخـذت الصوت وأحكمته . فقال لي امض الساعة للوزير يحيي بن خالد فانك تأتيه قبل أن يفتح الباب ولم يجلس بعد فاستأذن عليه قبل أن يصل اليه أحد فانه سينكر مجيئك ويقول من أين أقبلت في هـذا الوقت فحدثه بقصدك اياي وما ألقيت اليك من خبر الضيعة وأعلمه انى قد صنعت هـذا الصوت وأعجبنى ولم أر أحدا يستحقه الا جاريته فلانة واني ألقيته عليك لتلقيه عليها فيأمر بالستارة ويدعوها ويوضع لك كرسي ويقول لك اطرحـه عليها بحضرتى فافعل وائتني بما يكون . قال فجئت الى باب يحيي بن خالد فجرى الامر على كل ماقاله ابراهيم ثم قال أتقيم عنـدنا يا أبا المهنا أو تنصرف فقلت أنصرف فقال ياغلام احمل مع أبي المهنا عشرة آلاف درهم واحمل الى أبى اسحق مائة الف درهم ثمن الضيعة فأتيت الى منزلى ومضى الرسول بالمال الى ابراهيم ودخلت بيتى ونثرت على من عندي دراهم من تلك البدرة وأكلت وشربت وطربت وتوسدتها ونمت فلما أصبحت قلت لآتين استاذي فلأعرفن خبره فأتيته فوجدت الباب كهيئته بالامس ودخلت فوجدته كما كان بالامس فنزهت وطربت فلم يلق ذلك بقبول فقلت ما الخبر ألم يأتك المال بالامس فقال بلى فما خبرك أنت فعرفته بالمال الذى أخذته وقلت ماتنظر [1] من خلف الستارة فقال ارفع السجف فرفعته فاذا عشر بدر فقلت أي شيء بقي عليك فى أمر الضيعة فقال ويحك ماهو الا أن دخل المال منزلى حتى شححت به وصار مثلما حويت قديمـا فقلت سبحان الله فتصنع ماذا ؟ قال : أقم حتى ألقى عليك صـوتا آخر يفوق ذلك فجلست بين يديه فألقى على صوتا آخر فى شعر أبى نصير [2] أيضا :

ويفرح بالمولود من آل برمك بغاة الندى والسيف والرمح والنصل
وتنبسط الآمال فيه لفضله ولا سيما ان كان من ولد الفضل

---

(١) في الاغانى « ماتنتظر » (٢) في الاغانى « أبى بصير »

قال مخارق فسمعت مالم أسمع مثله قط وصغر فى عينى الاول فاحكمته فقال ابراهيم إمض الساعة الى الفضل بن يحيي فانك تجده لم يأذن لاحد بعد وهو يريد الخلوة مع جواريه اليوم فاستأذنْ عليه وحدثه بحديثنا أول أمس وأمس وما كان من أبيه الينا واليك وأعلمه انى صنعت هذا الصوت وهو عندى أرفع منزلة من الصوت الاول وأنى وجهت به قاصدا لجاريته فلانة . قال فسرت الى باب الفضل فجرى الامر على ماقاله فسألني عن الخبر فأعلمته بما وصل الى واليه من المال فقال أخزى الله ابراهيم ما أبخله على نفسه . ثم ضرب الستارة وقال ألقه. فلما ألقيته وغنته جاريته لم تتمه حتى أقبل يجر مطرفه ثم قعد على وسادة وقال أحسن والله استاذك وأحسنت أنت فأخذته الجارية وسر سرورا شديدا وقال أقم عندى اليوم فاعتذرت اليه فقال ياغلام احمل مع أبي المهنا عشرين الف درهم والى أبي اسحق مائتى الف درهم فانصرفت الى منزلى بالمال وفتحت بدرة ونثرت على جواريّ وشربت وسررت فلما أصبحت بكرت الى ابراهيم فوجدته على الحال التى كان عليها فدخلت أترنم وأصفق فقال أدن فقلت مابقى فقال اجلس وارفع سجف هذا الباب فرفعته فاذا عشرون بدرة مع تلك العشرة فقلت ماتنتظر فقال ويحك ماهو الا أن حصلت عندى [حتى] جرى عليَّ مجرى ماتقدم . فقلت ما أظن أحدا نال من هذه الدولة مانلت فلمَ تبخل على نفسك بشيء تمنيته دهرا وقد ملكك الله سبحانه أضعافه ؟ فقال اجلس خذ هذا الصوت . والقى علي صوتا انسانى به الاولين فى شعر مروان بن أبي حفصة :

الى جعفر سارت بنا كل حُرَّة (١) طواها سراها نحوه والتهجر
الى واسع للمجتدين فِناؤه تروح عطاياه عليهم وتبكر

(١) في المختصر « حسرة »

قال مخارق فما سمعت بمثله قط فاخذته ثم قال امض الى جعفر فافعل به كما فعلت بابيه وأخيه ففعلت ذلك وأخبرته بما كان منهما وعرضت عليه الصوت فسر به وضرب الستارة وأحضر جارية وأقعدت على كرسي ثم قال هات يامخارق فالقيت الصوت عليها حتى أخذته فقال أحسنت يامخارق وأحسن استاذك فهل لك في المقام عندنا اليوم فاعتذرت فقال ياغلام احمل مع أبي المهنا ثلاثين الف درهم والى الموصلى ثلثمائة الف درهم فصرت الى منزلى بالمال وأقمت ومن في منزلى مسرورين نشرب ونلهو ثم بكرت الى ابراهيم فتلقانى قائما ثم قال أحسنت يامخارق فقلت ما الخبر فقال اجلس فجلست وقال لمن خلف الستارة خذوا فيما أنتم فيه ثم رفع السجف فاذا المال فقلت ماخبر الضيعة فادخل يده تحت مسورة هو متكىء عليها فقال هذه كتب الضيعة سئل عن صاحبها فوجد ببغداد فاشتراها منه يحيى بن خالد وكتب الى : قد علمت انك لاتسخو نفسك تشترى هذه الضيعة من مال يحصل لك ولو حيزت لك الدنيا كلها وقد ابتعتها لك من مالى . ووجه الي بكتبها وهذا المال كما ترى . ثم بكى وقال يامخارق اذا عاشرت فعاشر مثل هؤلاء واذا تخنكرت فتخنكر بمثل هؤلاء . ستمائة الف درهم وضيعة بمائة الف درهم وستون الف درهم لك حصلت ذلك وأنا جالس فى مجلسى لم ابرح منه متى . ندرك مثل هؤلاء

أدركنا والله من يكذب هذه الافعال كلها ويقول هذا من مخاريق الناس ووضع الوراقين وان هذا لم يكن قط فلاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (١)

كان موسى الهادى شكس الاخلاق صعب المرام من توقاه وعرف أخلاقه أعطاه ما أمله ومن فتح فاه واتفق أن يفتحه بغير مايهواه أقصاه وأبعده . وكان

(١) الظاهر أن هذه الجملة من كلام ابن منظور

لايحتجب عن ندمائه ولا عن المغنين ويكثر جوائزهم وصلاتهم ويواترها . فغنى ابراهيم يوما بين يديه فقال له غن يا ابراهيم جنساً من الغناء الذّ وأطرب عليه ولك حكمك . فقال يا أمير المؤمنين ان لم يقابلني زحل ببرده رجوت أن أصيب . وكان يصغي الى النسيب والرقيق . فغنيته لابي صخر الهذلي :

وأني لتعروني لذكراك هزة كما انتفض العصفور بلله القطر

فضرب بيده الى جيب دراعته . فحطه ذراعا وقال : أحسنت والله . زدني . فغنيت :

فيا حبها زدني جوى كل ليلة ويا سلوة الايام موعدك الحشر

فضرب بيده الى جيب دراعته فحطه ذراعا آخر . وقال : زدني ويلك . والله أحسنت ووجب حكمك . فغنيته :

هجرتك حتى قيل ما يعرف اللقا وزرتك حتى قيل ليس له صبر

فرفع صوته . وقال : أحسنت والله هات ماتريد . فقلت : ياسيدي غنى (١) مروان بالمدينة فدارت عيناه في رأسه حتى صارتا كأنهما الجمرتان . وقال : يا ابن اللخناء أردت ان تشهرني بهذا المجلس ، فيقول الناس : أطربه فحكمه فحكم عليه فتجعلني سمرا وحديثا . يا ابراهيم الحراني ، خذ بيد هذا الجاهل وأدخله بيت المال الخاص . فان أخذ كل ما فيه ، فخله واياه . فدخلت فاخذت خمسين الف دينار

قال اسحق : كان رجل من آل نهيك ، قد تعاطى علم الغناء . فلما ظن أنه أحكمه سارني فيه وأبي حاضر . فقلت له : ان قبلت مني فلا تغنّ فلست فيه كما أرضى . فصاح ابي عليّ صيحة شديدة . ثم قال لي : وما يدريك ياصبي . ثم أقبل على الرجل وقال له : ياحبيبي أنت بضد ماقال . وان أنت لزمت

(١) في الاغاني عين

الصناعة برعت. فلما خلا بي قال لي: يا أحمق ماعليك ان يخزي[1] الله مثل هذا مائة الف. هؤلاء أغنياء ملوك وهم يعيروننا بالغناء. فدعهم يتهتكوا به ويعيروا ويفتضحوا ويحتاجوا الينا، فننتفع بهم، ويبين فضلنا عليهم. فلزمه النهيكي فاخذ عنه، فكان اذا غنى فاحسن قال له: بارك الله عليك. واذا أساء قال له: بارك الله فيك. وكثر ذلك حتى عرف النهيكي معناه. فغنى يوما، وأبي ساه عنه فسكت، ولم يقل له شيئا. فقال: جعلت فداك يا استاذ. هـذا الصوت من أصوات فيك أوعليك؟ فضحك أبي. ولم يكن علم أنه فطن لذلك. ثم قال: والله لاقبلن عليك حتى تصير كما تشتهي، فانك ظريف أديب. وعني به حتى حسن غناؤه وتقدم

قال اسحق غنى أبي يوما بحضرة الرشيد:

سلي هل قلاني من عشير صحبته وهل ذم رحلي في الرفاق رفيق

فطرب واستعاده. وأمر له بالف دينار. فلما كان بعـد سنين خطر لي أن أغنيه، وذكرت قصته. فغنيته اياه. فطرب وشرب. ثم قال: يا اسحق كاني في نفسك. وقد ذكرت حـديث أبيك، واني أعطيته الف دينار على هذا الصوت فطمعت في الجائزة. فقلت: والله ياسيدي ما أخطأتَ مافي نفسي. فقال: قد أخذ أبوك ثمنه مرة فلا تطمع. فعجبت من قوله. ثم قلت: ياسيدي أخذ ابي منك أكثر من مائتي الف دينار، ما رأيتك ذكرت منها غير هذا لضعف حظي. فقال: ويحك أكثر من مائتي الف دينار! فقلت: أي والله فوجم ساعة. ثم قال: أستغفر الله من ذلك. ويحك، فما خلف منها؟ فقلت: خلف علي خمسة آلاف دينار دينا قضيتها عنـه. فقال: ما أدري أينا أشد تفريطا وتضييعها؟ والله المستعان

(١) كذا في الاغاني، وفي المختصر «يجري»

قال أبوعثمان يحيي المالكي (١) : تشوق ابراهيم الى سرداب له ، كانت فيه بركة ماء ، يدخل من موضع اليه ، ويخرج الى بستان . فاشتهى أن يشرب يوماً فيه ويبيت فيه . فبينا هو نائم نصف الليل في السرداب ، واذا سنورتان قد نزلتا من درجة السرداب بيضاء وسوداء . فقالت احداهما : تراه نائماً ؟ فقالت البيضاء : نعم هو نائم . فاندفعت السوداء فغنت باحسن صوت :

عفا مرح (٢) الى لصق　　الى الهضبات من هكر
الى قاع النقير (٣) الى　　قرار حلال ذي حور (٤)

فمات ابراهيم فرحاً (٥) . وقال : ياليتهما أعادتاه . فاعادتاه مرارا حتى أخذه ثم تحرك . فغابت السنورتان . وسمع احداهما تقول للاخرى : والله لاطرحه على أحد الاجنّ . فطرحه على جارية له من غد فجنت

قال ابراهيم الموصلي : أتيت الفضل بن يحيي يوما . فقلت له : جعلت فداك . هب لى دراهم ؛ فان الخليفة حبس بره عنى . فقال : ويحك يا أبا اسحق ماعندي ما أرضاه لك . ثم قال : ههنا خصلة ، أتانا رسول صاحب اليمن فقضينا حوائجه فوجه بخمسين الف دينار نشتري بها مانحب . فما فعلتْ ضياء جاريتك؟ قلت : عندي . قال : فهو ذا ، أقول لهم يشترونها منك ، فلا تنقصها من خمسين الف دينار . فقبلت رأسه ثم انصرفت . فبكر عليّ رسول صاحب اليمن ومعه صديق لى وله . فقال : جاريتك فلانة . قلت : عندي . قال : اعرضها على . فأخرجتها . فقال : بكم ؟ قلت : بخمسين الف دينار ، ولا أنقص منها ديناراً واحداً . وقد أعطاني الفضل بن يحيى أمس هذه العطية . فقال : هل لك في

---

(١) في الاغاني « المكي » (٢) كذا في المختصر ، وفي الاغاني « مزح » ولم أجدهما في معجم البلدان لياقوت ولا برسم « مرج » (٣) في الاغاني « البقير » (٤) في الاغاني « حذر » (٥) كذا في الاغاني وفي المختصر « نزماً »

ثلاثين الف دينار مسلمة . وكان شراؤها على أربعمائة دينار . فلما وقع في أذني ذكر ثلاثين الف دينار دهشت. وأشار على صديقي الذي معه بالبيع. وخفت والله أن يحدث بالجارية حدث أو بي أو بالفضل بن يحيى. فسلمتها ، وأخذت المال.ثم بكرت على الفضل ، واذا هو جالس وحده . فلما نظر الى ضحك وقال : ياضيق العطن والحوصلة . حرمت نفسك عشرين الف دينار. فقلت له :جعلت فداك . دع ذا عنك . فوالله لقد داخلني شيء أعجز عن وصفه ، وخفت أن يحدث بي حادث ، أو بالجارية ، أو بالمشتري ، أو بك أعاذك الله من كل سوء . فبادرت بقبول الثلاثين الف دينار . فقال : لاضير . ياغلام جئني بجاريته . فجيء بها بعينها . فقال : خذ بيدها وانصرف مباركا لك فيها . فما أردنا الا منفعتك ولم نرد الجارية. فنهضت بها. فقال لي : مكانك. ان صاحب أرمينيا قد جاءنا فقضينا حوائجه ، ونفذنا كتبه . وقد ذكر انه جاء بثلاثين الف دينار ونشتري بها ماتحب . فاعرض عليه جاريتك هذه ، ولا تنقصها عن ثلاثين الف دينار . فانصرفتُ بالجارية ، وبكر عليَّ رسول أرمينيا ومعه صديق لي آخر. ففاوضني بالجارية. فقلت له : لست أنقصها عن ثلاثين الف دينار . فقال لي: معي عشرون الف دينار مسلمة ، خذها بارك الله لك فيها. فداخلني مثل الذي داخلني أول مرة وخفت مثل خوفي الاول . فتسلمها وأخذت المال. وبكرت على الفضل ابن يحيي . فلما رآني ضحك وضرب برجليه . ثم قال : ويحك حرمت نفسك عشرة آلاف دينار أخرى . فقلت : خفت والله كما خفت أولا . فقال لي : لاضير. ياغلام جاريته . فجيء بها وقال : خذها . ماأردناها ، ولا أردنا الا منفعتك . فلما ولت الجارية صحت بها ارجعي فرجعت . فقلت : أشهدك أنها حرة لوجه الله تعالى . وقد تزوجتها على عشرة آلاف دينار. فانها ا كسبتني

في يومين خمسين الف دينار . فما جزاؤها الا هـذا . فقال : وفقت لله تعالى

كان الرشيد قد وجد على منصور زلزل لشيء بلغه عنه ، فحبسه عشر سنين أو نحوها . فقام الرشيد يوما لحاجة . فجعل ابراهيم يغني صوتا صنعه في حبس زلزل وهو :

هل دهرنا بك راجع يازلزل   أيام يبغينا العدو المبطل
أيام أنت من المكاره آمن   والخير متسع علينا مقبل
يابؤس من فقد الامام وقربه   ما فاته من لذة لو يعقل
مازلت بعدك في الهموم مردداً   أبكي باربعه كأني مثكل

فدخل الرشيد ، وهو في ذلك فجلس . وقال : يا ابراهيم أي شيء كنت تقول ؟ فقال : خيرا ياسيدي . فقال : هاته . فتلكأ . فغضب الرشيد وقال : هاته فلا مكروه عليك . فردّ الغناء ، فقال له : أتحب أن تراه ؟ فقال : وهل ينشر أهل القبور ؟ فقال : هاتوا زلزل . فجاءوا به وقد ابيض رأسه ولحيته . فسر ابراهيم ، وأمره الرشيد فجلس ، وأمر ابراهيم فغنى ، وضرب عليه زلزل فزلزلا الدنيا . وشرب الرشيد على ذلك رطلا . وأمر باطلاق زلزل وأسنى جائزتهما وصرفه الى منزله

وزلزل أول من أحدث هـذه العيدان الشبابيط . وكانت قديما على عمل عيدان الفرس فجاءت عجباً من العجب . وكانت أخت زلزل تحت ابراهيم وولدت منه

قال ابراهيم : خرجت مع الرشيد الى الشام لما غزا. فدعاني يوما . فدخلت اليه الى مجلس لم أر أحسن منـه . مفروش بانواع الرخام . فاكل وأمرني فأكلت معه . وتوليت خدمته الى العصر . ثم دعا بالنبيذ فشرب وسقاني منه ثم خلع علي خلعة وشي من ثيابه. وأمر لي بالف دينار. ثم قال : انظر ياابراهيم

كم من يد أوليتك اياها اليوم ؟ نادمتني منفرداً ووا كلتني . وخلعت عليك ثيابي من بدني ووصلتك . وأجلستك في ايوان مسلمة بن عبد الملك تشرب معي . فقلت: ماذهب عني هذا من منتك . وان نعمتك عندي أكرم من أن تحصى. ثم قبلت رجليه والارض بين يديه

جلس الرشيد يوما فقال لجعفر : قد طال سماعنا هذه العصابة على اختلاط الامر فيها ، فهلم اقاسمك اياها وأخايرك . فاقتسما المغنين على أن جعلا بازاء كل رجل نظيره . فكان ابن جامع في حيز الرشيد . وابراهيم في حيز جعفر بن يحيى . وحضر الندماء لمحنة المغنين . وأمر الرشيد ابن جامع فغنى لقيس بن ذريح :

بكيت نعم بكيت وكل إلف اذا غابت قرينته بكاها
وما فارقت لبنى عن تقال ولكن شقوة بلغت مداها

فأحسن فيه كل الاحسان . وأطرب الرشيد غاية الاطراب . فلما قطعه قال الرشيد لابراهيم : هات يا ابراهيم هذا الصوت فغنه . فقال : لا والله ياأمير المؤمنين ما أعرفه . وأظهر الانكسار فيه . فقال الرشيد لجعفر : هذا واحد . ثم قال لاسماعيل بن جامع : غننا . فغنى للعباس بن الاحنف :

نزف البكاء دموع عينك فاستعر عينا لغيرك دمعها مدرار
من ذا يعيرك عينه تبكي بها أرأيت عينا للبكاء تعار

ففضل الصوتين الاولين وتقدمهما . فلما أتى على آخره قال الرشيد : يا ابراهيم هاته . فقال : ولا أعرف هذا . فقال له جعفر : أخزيتنا ، أخزاك الله . وأتم ابن جامع يومه والرشيد مسرور به . فأجازه جوائز كثيرة ، وخلع عليه خلعاً فاخرة . ولم يزل ابراهيم منخذلا منكسرا حتى انصرف . فمضى

الى منزله فلم يستقر حتى بعث الى محمد الزف[1]، وكان من المحسنين وأسرع من أخذ الصوت في أيامه . وكان الرشيد وجد عليه في بعض مايجده الملوك على أمثاله فألزمه بيته وتناساه . فقال ابراهيم للزف[1] : انى اخترتك لأمر لا يصلح له غيرك فانظر كيف يكون . قال : أبلغ [في ذ] لك محبتك . فادى اليه الخبر. وقال : أريد أن تمضي الساعة الى ابن جامع فتعلمه أنك صرت اليه مهنئا بما تهيأ له علي وتنقصني وتثلبني وتحتال في أن تسمع منه الاصوات وتأخذها ولك علي ما تحبه مني من عرض مع رضاء الخليفة عنك . فمضى واستأذن على ابن جامع فسلم عليه وقال : جئتك مهنئا بما بلغني من خبرك ، والحمد لله الذى أخزى ابن الجرمقانية على يدك ، وكشف الفضل فى محلك من صناعتك . فقال : وهل بلغك خبرنا ؟ فقلت : هو أشهر من أن يخفى على مثلى . ثم قال : سرنى أن أسمعه من فيك حتى أرويه عنك . قال : أقم عندى حتى أفعل . فقلت : السمع والطاعة . فدعا ابن جامع بالطعام فأكلا ودعا بالشراب وابتدأ يحدثه بالخبر حتى انتهى الى الاصوات فغناها ، ومحمد يصفق وينعر ويشرب . وابن جامع مجتهد فى شأنه حتى أخذها عنه وأحكمها . ثم قال : يا استاذ قد بلغت ما أحب فاذن لى فى الانصراف . فقال اذا شئت. فانصرف محمد من وجهه الى ابراهيم فقال له: ماوراءك ؟ فقال: كل ماتحب فادع لى بعود. فدعا به فضرب فغنى الاصوات فقال ابراهيم هي هي باعيانها ثم رددها حتى صحت له وانصرف الزف[1] الى منزله . وبكر ابراهيم الى الرشيد فلما دعا المغنين دخل فيهم فلما بصر به الرشيد قال له: أو قد دخلت؟ أما كان ينبغى لك أن تجلس فى بيتك شهرا بسبب مالقيت من ابن جامع؟ قال : ولم ذاك يا أمير المؤمنين جعلنى

(١) كذا فى الاغاني . وفى المختصر « الرف »

الله فداك وان أذنت لى أن أقول قلت .قال وما عسى أن تقول قال انه ليس لى ولا لغيرى أن نراك نشيطا فى شيء فنعارضك فيه ولا أن تكون متعصبا لاحد فنغالبك فيه والا فما في الارض صوت الا أعرفه . فقال له دع ذا قد اعترفت أمس بالجهالة بما سمعت من صاحبنا فان كنت قد أمسكت عنه بالأمس على معرفة فهاته اليوم فليس ههنا عصبية. فاندفع ومر على الاصوات كلها وابن جامع يسمع حتى أتى على آخرها. فاندفع ابن جامع يحلف بالايمان المحرجة أنه ماسمعها قط ولا هي الا من صنعته ولم تخرج الى أحد غيره . فقال له ويلك ما أحدثت بعدى فقال ما أحدثت حدثا . فقال يا ابراهيم بحياتى اصدقنى. قال وحياتك لاصدقنك: رميته بحجر، بعثت اليه محمد الزف[١] وضمنت له ضمانات منها رضاك عنه، فمضى واحتال عليه حتى أخذها منه ونقلها الى. وقد سقط الآن عني اللوم باقراره لأنه ليس علي أن أعرف ماصنعه هو، وهذا باب من الغيب، وانما يلزمني أن [لا] يعرف شيئا من غناء الاوائل وأجهله أنا ، والا فلو لزمني أن أروي صنعته للزمه أن يروي صنعتي ولزم كل واحد منا لسائر طبقته ونظرائه مثل ذلك فمن قصر عنه كان ناقصا. فقال له الرشيد صدقت يا ابراهيم وقمت بحجتك . ثم أقبل على ابن جامع فقال: أتيت، دهيت، أبطل عليك الموصلي مافعلته بالامس وانتصف منك . ثم دعا بالزف[١] فرضى عنه

قال الرشيد لابراهيم بن المهدي وابراهيم الموصلي وابن جامع وابن أبي الكنات : باكروني غدا، وليكن كل واحد منكم قد قال شعرا ان كان يقدر أن يقوله وغنى فيه لحنا ، وان لم يكن شاعرا غنى في شعر غيره . قال ابراهيم بن المهدي فقمت في السحر وجهدت على أن أقدر على شيء أصنعه

(١) كذا فى الاغانى وفي المختصر « بالرف »

فلم يتفق فلما خفت طلوع الفجر دعوت بغلماني وقلت لهم أريد أن أمضى الى موضع ولا يشعر بي أحد حتى أصير اليه . فقمت فركبت وقصدت دار ابراهيم الموصلى وقد كان حدثنى أنه اذا أراد الصنعة لم ينم حتى يدبر مايحتاج اليه . فلما قام لحاجته في السحر اعتمد على خشبة له في المستراح فلم يزل يقرع عليها حتى فرغ من الصوت وترشح في قلبه فجئت حتى وقفت تحت مستراحه فاذا هو يردد هذا الصوت :

اذا سكبت في الكأس قبل مزاجها ... سرى[1] لونها في جلدة الكاس مذهبا
وان مزجت راعت بلون تخاله ... اذا ضمنته الكاس في الكاس كوكبا

فما زلت واقفا أسمع الصوت منه حتى أخذته . ثم غدونا الى الرشيد فلما جلسنا للشرب خرج الىَّ الخادم فقال يقول لك أمير المؤمنين : يا ابن أمّ غنني فغنيت هذا الصوت وابراهيم الموصلى في الموت حتى فرغت منه فشرب وأمر لى بثلثمائه الف درهم فوثب الموصلي وحلف بالطلاق وبحياة الرشيد أن الشعر له قاله البارحة ، وغنى فيه ماسبقه اليه أحد . قال ابراهيم : فقلت ياسيدي فمن أين هو لى لولا كذبه وبهته . وابراهيم يضطرب ويصيح . فلما قضيت أربي من العبث به قلت للرشيد : الحق أحق أن يستعمل ويتبع . وصدقته . فقال الرشيد للموصلي : ان أخي قد أخذ المال ولا سبيل الى رده ، وقد أمرت لك بمائة الف درهم عوضا عما جرى عليك . فلو بدأت بالصوت لكان هذا حظك فأمر بها فحملت اليه

هب الرشيد ليلة من نومه فدعا بحمار كان يركبه في القصر أسود قصير قريب من الارض فركبه وخرج في دراعة وشي ، ملثما بعمامة وشي ، ملتحفا بازار وشى ، وبين يديه أربعمائة خادم مابين أبيض وأسود سوى الفراشين

(١) كذا في المختصر . وفي الاغانى « ترى »

وكان مسروز الفرغانى جريئا عليه لمكانه عنده . فلما خرج من باب القصر قال : أين تريد يا أمير المؤمنين في هذه الساعة ؟ قال أريد دار ابراهيم الموصلى . قال مسرور : ثم مضى ونحن بين يديه حتى انتهى الى دار ابراهيم . فخرج وتلقاه وقبّل حافر حماره وقال : يا أمير المؤمنين ، في مثل هذه الساعة تظهر ؟ قال : نعم : شوق طرق لك بي (١). ثم نزل فجلس في طرف الايوان ، وجلس ابراهيم . وقال ابراهيم ياسيدي آتيك بشيء تأكله ؟ قال : نعم ، شيء من ظبى (٢) . فأتى به ، فكانما كان أعده . فاصاب منه شيئاً ، ثم دعا بشراب حمل معه . فقال الموصلى : أغنيك أم تغنيك اماؤك ؟ قال : بل الجواري . فخرج الجواري من صدر الايوان . فقال ابراهيم : أيضربن كلهن أم واحدة واحدة ؟ فقال : بل يضربن اثنتين اثنتين . وتغني واحدة فواحدة . ففعلن ذلك حتى مر صدر الايوان وأحد جانبيه . والرشيد يسمع ولا ينشط لشيء من غنائهن ، حتى غنت صبية من حاشية الصفة :

يا موري الزند قد أعيت قوادحه ... اقبس اذا شئت من قلبى بمقباس
ما أقبح الناس فى عينى وأسمجهم ... اذا نظرت فلم أبصرك في الناس

قال : فطرب لغنائها ، واستعاد الصوت مراراً ، وشرب ارطالا . ثم سأل الجارية عن صانعه ؟ فامسكت. فاستنداها فتقاعست . فامر بها فاقيمت حتى وقفت بين يديه . فاخبرته بشيء أسرته اليه . فدعا بحماره فركبه . ثم التفت الى ابراهيم فقال : ماضرك ان لاتكون خليفة . فكادت نفس ابراهيم ان تخرج حتى دعا به وأدناه بعد ذلك . وكان الذي أخبرته به أن الصنعة في الصوت لاخته علية . وكانت لها ، وجهت بها الى ابراهيم يطارحها

قال ابراهيم الموصلى : بينا أنا بمكة أجول في سككها . اذا أنا بسوداء

(١) كذا في الاغاني . وكانت فى المختصر « شوق حارقني بك » (٢) وفى الاغانى « خاميز ظبي »

قائمة ساهية باكية . فانكرت حالها وأدمت النظر اليها فازدادت بكاء وقالت :

أعمرو علىَ مَ تجنبتني أخذت فؤادي فعذبتني
فلو كنت ياعمرو خبرتني(١) أخذت حذارى فما نلتنى

فقلت لها : ياهذه من عمرو ؟ فقالت زوجي . فقلت وما كان من حاله ؟ فقالت : طلبني وما زال يطلبنى ، حتى تزوجني ، فمكث معي قليلا . ثم مضى فلم أره . فقلت : صفيه لى . قالت : أحسن من رأيته سمرة ، وأحلاهم حلاوة ، وقدا . فركبت رواحلى مع غلماني وسرت الى جدة . فوقفت في موضع المرفأ أتبصر من يحمل من السفن . وأمرت من يصوّت : ياعمرو ، ياعمرو . فاذا أنا به خارجا من سفينة على عنقه ضبن(٢) . فعرفته بصفتها ونعتها اياه . فقلت :

أعمرو على مَ تجنبتنى أخذت فؤادي فعذبتنى

فقال : هيه . أرأيتها وسمعت منها ؟ فقلت : نعم . فاطرق يبكى . ثم اندفع يغنى به . واذا أصلح غناء سمعته ، وردده ، واذا هو أحسن الناس غناء . فقلت له : ألا ترجع اليها ؟ فقال : طلب المعاش يمنعنى . فقلت له : كم يكفيك في كل سنة ؟ فقال : ثلثمائة درهم . فاعطيته ثلاثة آلاف درهم . وقلت له : هذا لعشر سنين على أن تقيم معها فلا تطلب المعاش الا بحيث هى مقيمة معك ، ويكون ذلك فضلا . ورددته معى اليها

كان ابراهيم يألف خمارة بالرقة . يقال لها بسرة(٣) . تنزل الهنىء والمرىء . وكان لها بنت أحسن الناس وجها . فما قال فيها :

وزعمت انى ظالم فهجرتنى ورميت في قلبى بسهم نافذ
ونعم ظلمتك فاغفرى وتجاوزى هـذا مقام المستجير العائذ

(١) كذا فى الاغانى . و فى المختصر « جربتنى » (٢) كانت فى المختصر « صنم » وفى الاغانى « ضبن فيه طعام » والضبن الحمل (٣) كذا في المختصر وفي الاغانى (بشرة)

قال ابراهيم : بينا أنا عشـية في منزلي اذ أتاني خادم من خدم الرشيد فاستحثني على ركوبي اليه فجئته ركضاً ، فعدل بي عن مدخل الدار الى طريق لا أعرفها ، فانتهى بى الى دار حديثة البناء فدخلت صحنا واسعاً. وكان الرشيد يشتهي الصحون الواسـعة فاذاهو جالس على كرسي في وسط ذلك الصحن ليس عنده أحد الا خادم واحد يسقيه وهو في لبسة الصيف ، عليه غلالة رقيقة متوشح عليها بازارسندى[١] عريض العلم مضرج أحمر. فلما رآنى هش الى وسر. وقال : ياموصلى انى اشتهيت أن أجلس في هذا الصحن ، فلم يتفق لي الى اليوم وأحببت أن لا يكون معى ومعك أحـد . ثم صاح ياغلام . فجاءه مائة وصيف من الاروقة مستترين بحيث لا يراهم. فقال: مقطعة لابراهيم . و كان أول من قطع المصليات . فأتي بمقعد ، فالقى تجاهـه ، ودعا بعود . وقال : بحيـاتى أطربنى ماقدرت . قال : ففعلت جهدى ورجوت الجائزة السنية . فبينا أنا كذلك اذا بمسرور الـكبير قد جاء . فقام مقاما كان اذا قامه علم أنه يريد أن يساره بشيء . فاومأ اليه بالدنو ، فدنا منه. فالقى في أذنه كلمة خفيفة وتنحى . فاستشاط الرشيد غضبا ، واحمرت عيناه، وانتفخت اوداجه.و قال: حتام أصبر على آل أبي طالب والله لاقتلنهم ولأقتلن شيعتهم ولافعلن . فقلت : انا لله ليس عنده أحد يخرج غيظه عليـه ، غير انى أحسبه سيوقع بى . فاندفعت فغنيته :

نعم عونا على الهموم ثلاث ... مترعات من بعدهن ثلاث
بعدهـا اربع تتمة عشر ... لابطاء لـكنهن حثاث
فاذا ناولتـكهن جوار ... عطرات بيض الوجوه خناث
تم فيهـا لك السرور وماطيَّب عيشـا الا الخنات الاناث

فقال : ويحك ، اسقني ثلاثاً لأموت هما . فشرب ثلاثاً متتابعة. ثم قال :

---

(٢) كذا فى المختصر . وفى الاغانى (رشيدي)

أعد . فغنيت . فلما قلت ثلاث من بعدهن ثلاث قال : هات ويلك ثلاثاً فشرب ثلاثاً أخرى. ثم قال : غنّ ، فغنيته. فقال : حث عليّ أربعاً تتمة العشر. ففعلت. فوالله ما استوفاها حتى سكر ونهض ليدخل. فقال : قم ياموصلي فانصرف وأقسمت عليك يامسرور بحياتي وبحقي لما سبقته الى منزله بمائة الف درهم لا استأمر فيها. فخرجت وقد أمن خوفي، وأدركت مارجوت، ووافيت منزلي ، وقد سبقني بمائة الف درهم

قال ابراهيم : قال لي الرشيد يوماً : يا ابراهيم . بكر عليّ غداً حتى نصطبح. فقلت : يا أمير المؤمنين . أنا والصبح كفرسي رهان . فبكرت واذا به خال وبين يديه جارية حلوة المنظر ، دمثة الشمائل ، كأنها خوط بان ، وفي يدها عود. فقال لها : غني . فغنت لابي نواس :

توهمه قلبي فاصبح خده ... وفيه مكان الوهم من نظرى اثر
ومر بفكري خاطراً فجرحته ... ولم أر جسماً قط يجرحه الفكر
وصافحه كفي فآلم كفه ... فمن غمز كفي في أنامله عقر

قال ابراهيم : فذهبت والله بعقلي حتى كدت أفتضح . فقلت : من هذه ياأمير المؤمنين ؟ فقال هذه التي يقول فيها [الشاعر] :

لها قلبي الغداة وقلبها لي ... فنحن كذلك في جسدين روح

ثم قال لها : غني. فغنت في شعر أبي الشيص :

تقول غداة البين احدى نسائهم ... لي الكبد الحرّى فسر ولك الصبر
وقد خنقتها عبرة فدموعها ... على خدها بيض وفي نحرها صفر

فشرب وسقاها . وقال : غن يا ابراهيم . فغنيت حسباني قلبي غير متحفظ

من شيء

تشرّب قلبي حبها ومشى به ... تمشي حميا الكاس في جسم شارب
ودب هواها في عظامي فشفها ... كما دب في الملسوع سم العقارب

قال : ففطن لتعريضي وكانت جهالة مني . فأمرني بالانصراف ، ولم يدعُني شهراً ، ولا حضرت مجلسه . فلما كان بعد شهر دس اليّ خادما معه رقعة مكتوب فيها :

قد تخوفت ان اموت من الوجد ولم يدر من هويت بما بي
يا كتابي فاقر السلام على من ... لا يسمي وقل له يا كتابي
ان كفا اليك قد كتبتني ... في شقاء مواصل بعذاب

فأتاني الخادم بالرقعة . فقلت له : ماهذا ؟ فقال : رقعة فلانة الجارية التي غنتك بين يدي أمير المؤمنين . فأحسست بالقصة . فشتمت الخادم ، ووثبت اليه ، فضربته ضربا شفيت به نفسي وغيظي ، وركبت الى الرشيد من فوري فاخبرته وأعطيته الرقعة . فضحك حتى كاد أن يستلقي . وقال : على عمد فعلت ذلك بك لامتحنك ، فأعرف مذهبك وطريقتك . ثم دعا بالخادم فخرج . فلما رآني قال : قطع الله يديك ورجليك ، ويلك قتلتني . فقلت : القتل كان بعض حقك لما وردت به عليّ . ولكن رحمتك فابقيت عليك ، وأخبرت أمير المؤمنين ليأتي في عقوبتك بما تستحقه . فأمر لي الرشيد بصلة سنية ، والله يعلم أني مافعلته عفافا ولكن خوفا

قال : حبسني الرشيد بالرقة ، وغضب عليّ وجلس للشراب يوما في مجلس قد زينه وحسنه . فقال لعيسى بن جعفر : هل بمجلسنا عيب ؟ قال : نعم . غيبة ابراهيم الموصلي عنه . فأمر باحضاري . فاحضرت في قيودي ، ففكت عني بين يديه . وأمرهم فناولوني عودا . ثم قال : غن . فغنيت في شعر النميري :

تضوع مسكا بطن نعمان ان مشت ... به زينب في نسوة عطرات

مررن بسفح رائحات عشية يلبين للرحمن معتمرات
ولما رأت ركب النميري أعرضت وكن من أن يلقينه حذرات

فاستعاده وطرب، وشرب. وقال: هنأتني وسأهنئك الصلة. قد وهبت لك الهنيء والمريء. فانصرفت. فلما أصبحت عوضت عنهما مائتي الف درهم

سأل الرشيد ابراهيم: كيف تصنع اذا أردت ان تصوغ الالحان؟ فقال: يا أمير المؤمنين أخرج الهم من فكري، وأمثل الطرب بين عيني، فتسرع الى مسالك الالحان التي أريد فأسلكها بدليل الايقاع فأرجع مصيباً ظافراً بما أريد. فقال: يحق لك أن تصيب وتظفر، وان حسن وصفك لمشاكل لحسن صنعتك وغنائك

حكى ابراهيم قال: كنت استأذنت الرشيد أن يهب لي يوماً من الجمعة لا يبعث اليّ فيه بوجه ولا سبب لاخلو فيه بجواري واخواني، فأذن لي في يوم السبت وقال لي: هو يوم أستثقله فاله فيه بما شئت. فلما كان يوم السبت قعدت في منزلي وتقدمت باصلاح طعامي وشرابي، وأمرت بغلق أبوابي، وأمرت بوابي أن لا يأذن لاحد على البتة. فبينا أنا في مجلسي والحرم قد حفوا بي، وجواري يترددون بين يدي اذا أنا بشيخ ذي هيبة وجمال، وعليه خفان قصيران وقميصان ناعمان، وعلى رأسه قلنسوة لاطية وبيده عكازة مقمعة بفضة وروائح الطيب تفوح منه حتى ملأت البيت والدار فداخلني لدخوله مع ماتقدمت به من غلق الباب غيظ ماداخلني قط مثله وهممت بطرد بوابي ومن يحجبني. فسلم على أحسن سلام فرددت عليه وأمرته بالجلوس. ثم مرّ في احاديث الناس وأيام العرب واشعارهم حتى سلاني ما كان بي من الغضب وظننت ان غلماني تحروا مسرتي بادخال مثله عليّ لادبه وظرفه. فقلت له: هل لك في الطعام؟ فقال لاحاجة لي فيه.

فقلت له :هل لك في الشراب ؟ قال: ذاك اليك . فشربت رطلا وسقيته مثله. فقال : يا ابا اسحق . هل لك ان تغنى شيئا فنسمع من صنعتك ماقد نفقت به عند الملوك والخاص والعام ؟ فغاظنى قوله . ثم سهلت الامر على نفسي فاخذت العود وجسسته .ثم ضربت وغنيت . فقال : أحسنت يا ابراهيم . فازداد غيظي وقلت : مارضى بما فعله من دخوله عليّ بغير اذنى ، واقتراحه ان أغنيه حتى سمانى ولم يكنني . ولم يجمل مخاطبتى ثم قال : هل لك أن تزيدني . فتذممت وأخذت العود فقال : أجدت يا أبا اسحق . فاتمم هذا رك حتى نكافئك و نغنيك . فتحفظت وقمت بما غنيته اياه قياما تاما ماتحفظت مثله ، وما قمت بغناء كما قمت به بين يدى خليفة قط ولا غيره لقوله سا كافئك . فطرب وقال : أحسنت ياسيدى ويا وثق عددي [1] . ثم قال: أتأذن لى في الغناء ؟ فقلت : شأنك . واستضعفت عقله في ان يغني بحضرتى بعد ماسمع منى . فأخذ العود فجسه . فوالله لقد خلت أنه ينطق بلسان عربى لحسن ماسمعته من صوت جسه . ثم غنى :

ولى كبد مقروحة من يبيعني ... بها كبدا ليست بذات قروح

أباها عليّ الناس لايشترونها ... ومن يشتري ذا علة بصحيح

أئن من الشوق الذي في جوانحى ... أنين غصيص بالشراب جريح

قال ابراهيم : فخيل لي ان الحيطان والابواب وكل ما في البيت يجيبه ويغني معه من حسن غنائه ، حتى خلت أن أعضائي وثيابى تجاوبه . وبقيت مبهوتا لا أستطيع الكلام ، ولا الجواب ، ولا الحركة مما خالط قلبى . ثم غنى :

ألا ياحمامات اللوى عدن عودة ... فاني الى أصواتكن حزين [2]

---

(١) كذا فى المختصر وفيه تحريف . وليست هذه الكلمة فى الاغانى

(٢) كذا فى الاغاني . وفي المختصر «حنين»

فعدن فلما عدن كدن يمتنني وكدت باسرار لهن أبين
دعون بترداد الهديل[١] كأنما شربن سلافا أو بهن جنون
فلم تر عيني مثلهن حمائماً بكين ولم تدمع لهن عيون

فكاد عقلي أن يذهب طرباً وارتياحاً لما سمعته . ثم غنى ليزيد بن الطثرية[٢] :

ألا ياصبا نجد متى هجت من نجد فقد زادني مسراك وجداً على وجد
أإن هتفت ورقاء في رونق الضحى على غصن غضّ النبات من الرند
بكيتَ كما يبكي الوليد صبابة وذبت من الحزن المبرّح والجهد
وقد زعموا أن المحبَّ إذا دنا يملّ وأن النأي يشفي من الوجد
بكلٍّ تداوينا فلم يشف ما بنا على أن قرب الدار خير من البعد
على أن قرب الدار ليس بنافع إذا كان من تهواه ليس بذي ود

ثم قال : يا ابراهيم هذا الغناء الماخوري ، فخذه وانحُ نحوه في غنائك ، وعلمه جواريك . فقلت : أعده علي . فقال : ليس يحتاج ، قد أخذته وفرغتَ منه . ثم غاب من بين عيني . فارتعت وقلت للجواري : أي شيء سمعتن عندي ؟ فقلن : سمعنا أطيب غناء سُمع قط . فجرّدتُ السيف وقمت وعدوت الى أبواب الحرم فوجدتها مغلقة ، فخرجت الى باب الدار فوجدته مغلقاً ، فسألت البواب عن الشيخ فقال : أي شيخ ؟! والله ما دخل اليوم عليك أحد . فرجعت لأتأمل أمري ، فاذا هو قد هتف بي من جانب البيت : لا بأس عليك يا إبراهيم أنا إبليس ، وإنما كنت نديمك اليوم . فركبت الى الرشيد وقلت :

(١) كذا بالمختصر . وفي الاغاني « الهدير »

(٢) في المختصر « الطرمة » . وفي الاغاني « الطبرية » . وصححناه من نسخة العلامة أحمد تيمور باشا

لأطرفنه أبداً بطرفة مثل هذه . فدخلت اليه وحدّثته الحديث . فقال : ويحك تأمل هذه الاصوات هل أخذتها ? فأخذت العود ، فامتحنتها ، فاذا هي راسخة في قلبي كأنها لم تزل . فطرب الرشيد عليها وجلس يشرب ، ولم يكن عزم على الشرب . وأمر لي بصلة وقال : الشيخ كان أعلم بما قال لك من أنك أخذتها وفرغت منها . فليته أمتعنا بنفسه يوماً واحداً كما أمتعك

قال ابراهيم : قال لي جعفر بن يحيى – وقد علم أن الرشيد أذن لي والمغنين في الانصراف يومئذ – : صر إليّ حتى أهب لك شيئاً حسناً . فصرت اليه فقال لي « أيما احبُّ اليك : أهب لك الشيء الحسن الذي وعدتك به ، أو أرشدك الى شيء تكسب فيه ألف ألف درهم ? » قال قلت : بل يرشدني الوزير الى هذا الوجه ، فانه يقوم مقام إعطائي هـذا المـال . قال : ان أمير المؤمنين يحفظ شعر ذي الرمة حفظ الصبي ، ويعجبه ويؤثره ، واذا سمع فيه غناء أطربه أكثر مما يطربه غيره ممن لا يحفظ شعره . فاذا غنيته وأطربته وأمر لك بجائزة قم على رجليك وقبل الأرض بين يديه وقل : إن لي حاجة غير الجائزه أريد أن أسألها أمير المؤمنين وهي حاجة تقوم عندي مقام كل فائدة ولا تضرُّه ولا ترزأه . فانه سيقول لك : أي شيء حاجتك ? فقل له اقطاع تقطعني إياه سهل عليك لا قيمة له ولا منفعة لأحد فيه . فاذا أجابك اليه فقل له : تقطعني شعر ذي الرمة أغني فيه ما أختاره وتحظر على المغنين جميعاً أن يداخلوني فيـه ، فاني أحب شعره وأستحسنه ولا احب أن ينغصه عليّ أحد منهم . وتوثق منه في ذلك . فقبلت القول منه وما انصرفت مع ذلك الا بالجائزة . وتوخيت وقتاً للـكلام في هذا المعنى حتى وجدته ، فقمت وسألت كما قال لي ، فرأيت السرور في وجهه وقال : ما سألتَ شططاً ، وقد اقطعتك . فقلت : يا أمير المؤمنين أتأذن لي في التوثق ? فقال : توثق كيف شئت . فقلت : بالله وبرسوله وتربة أمير المؤمنين

المهدي إلاّ جعلني على ثقة من ذلك بأن تحلف لي بذلك لا تعطي أحداً من المغنين جائزة على شيء يغنيه من شعر ذي الرمة . فان ذلك توثقي . فحلف مجتهداً بالقسم إن غنى أحد منهم من شعر ذي الرمة لا أثابه ولا أكبره ولا سمع غناءه . فشكرت فعله وقبلت الأرض بين يديه ، وانصرفت فغنيت مائة صوت وزيادة عليها في شعر ذي الرمة ، فكان اذا سمع صوتاً منها طرب وزاد طربه ووصلني وأجزل ، ولم ينتفع أحد منهم غيري ، فأخذت بها منه الف ألف درهم وألف ألف درهم

قال إبراهيم : كان الرشيد يهوى ماردة ، ويجد بها وجداً شديداً . فغضبت عليه وغضب عليها وتمادى الهجر بينهما . فأمر جعفر بن يحيى العباسَ ابن الأحنف فقال :

راجع أحبتك الذين هجرتهم ... إن المتيم قلما يتجنب
ان التجنب ان تطاول منكما ... دبّ السلو وعز منك المطلب

وأمر ابراهيم الموصلي فغنى به الرشيد . فلما سمعه بادر الى ماردة فترضاها فسألت عن السبب فعرفته ، فأمرت لكل واحد من العباس وابراهيم بعشرة آلاف درهم ، وسألت الرشيد أن يكافئهما فأمر لهما بأربعين ألف ألف درهم

اجتمع الموصلي وزلزل بين يدي أمير المؤمنين ، فضرب زلزل وغنى ابراهيم :

صحا قلبي وراغ اليك عقلي ... وأقصر باطلي ونسيت جهلي
رأيت الغانيات وكن حزناً ... اليَّ صرمنني وقطعن حبلي

فطرب الرشيد طرباً شديداً حتى قام قائماً على قدميه وصاح : يا آدم ، لو رأيت من بحضرتي اليوم من ولدك لسرّك ذلك . ثم جلس وقال : أستغفر الله

لعب ابراهيم يوماً مع الرشيد بالنرد في الخلعة التي كانت على الرشيد والخلعة التي عليه هو ، فقمره الرشيد ، فقام ابراهيم فنزع ثيابه وجلس . ثم لعبا

فقمر ابراهيمُ الرشيدَ فقال ابراهيم : حكم النرد الوفاء ، وقد قمرتَ ووفيتُ ، فالبس ما كان عليَّ . فقال له الرشيد : ويلك ، وأنا ألبس ثيابك ؟ فقال : أي والله ان أنصفت ، وان لم تنصف قدرت . قال : ويلك أو أفتدي منك ؟ قال : وما الفداء ؟ قال : قل . قال : قل أنت يا أمير المؤمنين فانك أولى بالقول . قال : أعطيك كلَّ ما عليَّ . قال مر به يا أمير المؤمنين وأنا أستخير الله بعد ذلك . فدعا بغير ما كان عليه فلبسه ونزع ما كان عليه فدفعه الى ابراهيم

قال ابراهيم الموصلي : قال الرشيد يوماً « إني قد جعلت غداً للحرم وليلة غد للرجال ، وأنا مقتصر من المغنين عليك فلا تشتغل غداً بشيء ولا تشرب نبيذاً وكن بحضرتي في وقت العشاء الآخرة » . فقلت : السمع والطاعة يا أمير المؤمنين . فقال : وحق أبي إن تأخرت أو اعتللت بشيء ولم تأت لأضربن عنقك ، أفهمت ؟ قلت : نعم . فخرجت . فما جاءني أحد من اخواني إلا احتجبت عنه ، ولا قرأت رقعة لأحد . حتى اذا صليت المغرب ركبت قاصداً اليه ، فلما قربت من داره مررت بفناء قصر ، واذا زنبيل كبير معلق مستوثق منه بحبال وأربع عُرا قد دلي من ذلك القصر وجارية قائمة تنتظر انساناً قد وعد ليجلس فيه . فنازعتني نفسي اليه ، فقلت : هذا خطأ ، لعله يجري سبب يعوقني عن الخليفة فيكون الهلاك . فلم أزل أنازع نفسي وتنازعني حتى غلبتني فنزلت فجلست فيه ، ومدَّ الزنبيل حتى صار في أعلى القصر ، ثم خرجت فنزلت فاذا جوار كأنهن المهى جلوساً ، فضحكن وقلن : قد جاء والله . فلما رأينني من قريب تبادرن الى الحجاب وقلن : ياعدوَّ الله ما الذي أدخلك علينا ، فقلت ؟ يا عدوَّات الله مَن الذي أردتن ادخاله ، ولم صار أولى مني بهذا ؟ ولم يزل ذلك دأبنا وهن يضحكن وأضحك معهن . فقالت إحداهن : أما من أردناه فقد فات ، وماهذا إلا ظريف ، فهلموا نعاشره عشرة جميلة . فأخرج لي طعام ، فدعيت الى أكله ،

فلم يكن فيَّ فضل ، إلا أني كرهت أن أنسب الى سوء العشرة ، فأصبت منه إصابة معذر . ثم جيء بالنبيذ فشربنا ، وأخرجن ثلاث جوار لهن فغنين غناء مليحاً ، فغنت إحداهن صوتاً لمعبد ، فقالت إحداهن من وراء الستر : أحسن ابراهيم وهذا له . فقلت : كذبتِ ، ليس هذا له ، هذا لمعبد . فقالت : يافاسق وما يدريك الغناء وماهو ؟ ثم غنت الاخرى صوتاً للغريض . فقالت تلك : أحسن ابراهيم هذا أيضاً له . فقلت : كذبتِ ، هذا للغريض . فقالت : اللهم اخزه ، ويلك ، ومايدريك ما الغناء ؟ ثم غنت الجارية صوتاً لي . فقالت تلك : أحسن ابن سريج ، هذا له . فقلت : كذبتِ ، هذا والله لابراهيم ، وأنتن تنسبن غناء الناس اليه وغناءه الى غيره . فقالت : ويلك وما يدريك ؟ فقلت : أنا ابراهيم . فتباشرن جميعاً بذلك وظهرن كلهن وقلن : كتمت نفسك عنا ، وقد سررتنا ، فقلت : أنا الآن أستودعكن الله تعالى . فقلن : وما السبب ؟ فأخبرتهن بقصتي مع الرشيد . فضحكن وقلن : الآن طاب حبسك . وعلينا وعلينا إن خرجت أسبوعا ، فقلت : هو والله القتل . فقلن : إلى لعنة الله . فأقمت عندهن أسبوعاً لاأزول . فلما كان بعد أسبوع ودّعنني وقلن : ان سلمك الله فأنت بعد ثالثة عندنا . فأجلسنني في الزنبيل وسُرّحت . فمضيت من وجهي الى دار الرشيد ، فاذا النداء قد أشيع في طلبي ببغداد وأن من أحضرني فقد سُوّغ ملكي وقد أقطع مالي . فاستأذنت ، فتبادر الخدم حتى أدخلوني على الرشيد . فلما رآني شتمني وقال : السيفَ والنطع ! إيه يا ابراهيم ، تهاونتَ بأمري ، وتشاغلتَ بالعوام عما أمرتك به ، وجلست مع أشباهك من النساء حتى أفسدتَ عليَّ لذتي . فقلت : ياأمير المؤمنين انا بين يديك ، وما أمرتَ به غير فائت ، ولي حديث عجيب ماسُمع بمثله قطّ وهو الذي قطعني عنك ضرورةً لا اختيارا فاسمعه ، فان كان عذراً فاقبله ، وإلاَّ فأنت أعلم . قال : هاته فليس

عنجيك . فحدثته . فأطرق ساعة ثم قال : ان هذا لعجب ، أفتحضرني معك في هذا الموضع ؟ فقلت : نعم ، وأجلسك معهن ، وان شئت فعلى موعد . قال : بل على موعد . فقلت : افعلُ . قال : أنظرُ . قلت ذلك حاصل لك متى شئت . فعدل عن رأيه فيَّ وأجلسني وشرب وطرب . فلما أصبحنا أمرني بالانصراف وأن أجيئه من عندهن . فمضيت اليهن في وقت الموعد فلما وافيت الموضع اذا الزنبيل معلق ، فجلست فيه ومدَّه الجواري وصعدت . فلما رأينني تباشرن وحمدن الله تعالى على سلامتي وأقمت ليلتي . فلما أردت الانصراف قلت لهن : ان لي أخاً هو عدل نفسي ، وقد أحب معاشرتكن ووعدته بذلك . فقلن : ان كنت ترضاه فمرحبا به . فوعدتهن لليلة غد . فأتيت الرشيد فأخبرته . فلما كان الوقت خرج معي متخفياً حتى أتينا الموضع فصعدت وصعد بعدي ونزلنا جميعاً ، وقد كان الله وفقني أن قلت لهن : اذا جاء صديقي فاستترن عني وعنه ولا يسمع لكن نطقاً وليكن ما تخترنه من الغناء أو تقلنه من قول مراسلة ، فلا تتعدين ذلك ، وأقمن على أتم ستر . وحضر وشربنا شرباً كثيراً وقد كان أمرني أن لا أخاطبه بأمير المؤمنين . فلما أخذ مني السكر قلت سهواً : يا أمير المؤمنين . فتواثبن من وراء الستارة حتى غابت حركاتهن عنا . فقال : يا ابراهيم لقد أفلتَّ من أمر عظيم ، لو برزتْ لك واحدة منهن لضربت عنقك ، قم بنا . فقمنا ، واذا هن جوار له كان قد غضب عليهن فحبسهن في ذلك القصر . ثم وجه من الغد بخدم لهن فردَّهن الى قصره ، ووهب لي مائة الف درهم ، وكانت الهدايا والألطاف تأتيني بعد ذلك منهن

قال ابراهيم : كنت قد أخذت بالمدينة من مجنون هذا الصوت :

هما فتاتان لما يعرفا خلقي ... وبالشباب على شيبي يدلان
كل الفعال الذي يفعلنه حسن ... يصبي فؤادي ويبدي سر أشجاني

فغنيته الرشيد ، فطرب وأعطاني الف دينار كانت بين يديه . وكان ابن جامع حاضراً فقال : اسمع ياأمير المؤمنين غناء العقلاء ودع عنك غناء المجانين . وكان أشد الناس حسدا . ثم غنى :

ولقد قالت لا تراب لها كالمهى يلعبن في حجرتها
خذن عني الظل لايتبعني وغدت سعياً إلى قبتها

فطرب وشرب ثم أمر له بألف وخمسمائة دينار . ثم تبعه محمد بن حمزة وجه القرعة فغنى :

يمشون فيها بكل سابغة أحكم فيها القتير والحلق[١]
يعرف انصافهم اذا شهدوا وصبرهم حين تشخص الحدق

فاستحسنه وشرب عليه وأمر له بخمسمائة دينار . ثم غنى علوية :

يجحدن دَيْني بالنهار وأقتضي دَيْني اذا وقذ النعاس الرقدا
وأرى الغواني لايواصلن امرءاً فقد الشباب وقد يصلن الامردا

فقال له الرشيد ياعاضَّ كذا وكذا ، تغني في ذم الشيب ومدح المرد وستارتي منصوبة وقد شبت ، فكأنك انما تعرض بي . ثم دعا بمسرور وأمره أن يضربه ثلاثين درة وأن يخرجه عن مجلسه ، ففعل ، وما انتفعنا به بقية يومنا ولا انتفع بنفسه ، وجفا علوية شهرا ، ثم سألناه فيه فأذن له

ولما اشتد بابراهيم القولنج ولزمه ركب اليه الرشيد وعاده ، فدخل اليه وهو في الايوان جالس فقال :

كيف أنت يا إبراهيم ؟ فقال : أنا والله ياسيدي كما قال الشاعر :

سقيم ملَّ منه أقربوه وأسلمه المداوي والحميمُ

---

(١) في المختصر (القتين) وصححناه من الاغاني . والقتير رؤوس مسامير الدروع

فقال الرشيد : انا لله . وخرج فما بعد حتى سمع نعيه * ومات معه في اليوم الذي مات فيه الكسائي النحوي ، والعباس بن الاحنف الشاعر ، وهشيمة الخمارة فرفع ذلك الى الرشيد . فأمر المأمون أن يصلي عليهم ، فخرج فصفوا بين يديه ، فقال : من هذا الاول ؟ فقالوا : ابراهيم الموصلي . قال : أخروه وقدموا العباس ابن الأحنف . فقدم فصلى عليهم . فلما فرغ دنا منه هاشم بن عبد الله بن مالك الخزاعي وقال له : يا سيدي، كيف آثرت العباس بالتقدمة على من حضر ؟ قال لقوله :

وسعى بها ناس وقالوا انها لهي التي تشقى بها وتكابد
فجحدتهم ليكون غيرك ظنهم اني ليعجبني المحب الجاحد

ثم قال : أتحفظها ؟ قلت : نعم . قال : أنشدني باقيها . فأنشدته :

لما رأيت الليل سد طريقه عني وعذبني الظلام الراكد
والنجم في كبد السماء كأنه أعمى تحير ماالديه قائد
ناديت من طرد الرقاد بنومه عما أعالج وهو خلو هاجد
ياذا الذي صدع الفؤاد بصده أنت البلاء طريفه والتالد
ألقيت بين جفون عيني حرقة فالى متى أنا ساهر يا راقد

فقال المأمون : أليس هذا الذي قال كذا حقيق بالتقدمة ؟ قلت : بلى والله ياسيدي

قال القاسم الموصلي : دخلت على ابراهيم بن المهدي عقب موت ابراهيم الموصلي وهو يشرب وجواريه تغنى ، فذكرنا ابراهيم الموصلي وحذقه وتقدمه وأطنبنا في ذلك وابراهيم مطرق. فلما طال كلامنا اندفع ابراهيم يغني في شعر ابن سيابة يرثي ابراهيم

تولى الموصلي فقد تولت　　بشاشات المزاهر والقيان
وأى بشاشة بقيت فتبقى　　حياة الموصلي على الزمان
ستبكيه المزاهر والملاهي　　وتسعدهن عاتقة الدنان
وتبكيه الغواية اذ تولى　　ولا تبكيه تالية القران

قال : فأبكى من حضر ، وقلت في نفسي « أتراه هو اذا مات من يبكيه : المحراب أو المصحف ؟ » وكان كالشامت بموته

قال اسحق : دخلت على الرشيد عقيب وفاة أبي بشهرين ، فلما جلست ورأيت مجلسه الذى كان يجلس فيه دمعت عيناي فكفكفتهما وتصبرت فلمحني الرشيد فاستعبر ، وكان رقيقاً ، فوثبت قائماً ثم قلت :

في بقاء الخليفة الميمون　　خلفٌ من مصيبة المحزون
لا يضير المصاب رَزء اذا ما　　كان ذا مفزع الى هارون

فقال : كذاك والله هو ، ولن تفقد من أبيك الا شخصه . وأمر باضافة رزقه الى رزقي . فقلت : بل يأمر به أمير المؤمنين لولده ، ففي خدمتي إياه ما يكفيني . فقال : اجعلوا رزق ابراهيم لولده وأضعفوا رزق اسحاق

اسحاق بن ابراهيم الموصلي

كنيته (أبو محمد). ونسبه قد تقدم في ترجمة أبيه. وكان الرشيد مولعاً به فيكنيه (أبا صفوان) وهي كنية أوقعها عليه أبو اسحاق ابراهيم بن مصعب مزحاً

ومنزلته من الأدب، وموضعه من العلم، وتقدّمه في الشعر، أشهر من أن يدل عليه بوصف. وأما الغناء فأصغر علومه، ولم يكن له في أدواته كفؤ ولا نظير. لحقَ من مضى، وسبق من بقي

وكان أكره الناس للغناء، وأشدهم بغضاً له لئلاَّ يسمى به. قال المأمون: لولا ما سبق لاسحاق على الناس وشهرته عندهم من الغناء لوليته القضاء بحضرتي فانه أولى به وأعفُّ وأصدق وأكثر ديناً وأمانة من هؤلاء القضاة. هذا مع تحصيل المأمون وعقله ومعرفته

وروى الحديث، ولقي أهله مثل خالد بن أنس وسفيان بن عيينة وغيرهما من شيوخ العراق

وأمه امرأة من أهل الري يقال لها (شاهك). وقيل (دوشار) التي كانت تغني بالدف، فهويها ابراهيم فتزوجها. وهذا خطأ فان هذه لم تلد من ابراهيم الا بنتاً، واسحاق وسائر ولد ابراهيم من شاهك. قال اسحاق: أقمت دهراً أغلس كل يوم الى هشيم فأسمع منه، ثم أصير الى الكسائي أو الفراء فأقرأ عليه جزءاً من القرآن، ثم آتي منصور زلزل فيضاربني طريقتين أو ثلاثة، ثم آتي عاتكة بنت شهدة فآخذ منها صوتاً أو صوتين، ثم آتي الاصمعي وأبا عبيدة فاناشدهما وأحادثهما وأستفيد منهما، ثم أصير الى أبي فأعلمه بما صنعت وأخذت وأتغدى معه وأروح معه عشاء الى أمير المؤمنين

وقف ابو عبد الله بن الاعرابي على المدائني فقال له : الى أين يا أبا عبد الله ؟ فقال : أمضي الى رجل هو كما قال الشاعر أبو تمام :

نرمي باشباحنا الى ملك   نأخذ من ماله ومن أدبه

قال : ومن ذلك ؟ قال : اسحاق بن ابراهيم

وكان اسحاق بن ابراهيم يُجري على ابن الاعرابي في كل سنة ثلاثمائة دينار وأهدى له ابن الاعرابي شيئاً من كتب النوادر

قال اسحاق الموصلي : جئت يوماً الى أبي معاوية الضرير ومعي مائة حديث فوجدت حاجبه يومئذ رجلا ضريراً ، فقال لي : ان أبا معاوية قد ولاني حجبته لينفعني . فقلت له معي مائة حديث وقد جعلت لك مائة درهم اذا قرأتها . فدخل فاستأذن لي فدخلت على أبي معاوية ، فلما عرفني دعاه فقال له : أخطأت ، انما جعلت لك ذلك على الضعفاء من أصحاب الحديث ، فأما أبو محمد وأمثاله فلا . ثم أقبل علي يرغبني في الاحسان اليه ويذكر ضعفه وعنايته به ، فقلت له : احتكم في أمره ، فقال . مائة دينار . فأمرت الغلام باحضارها وقرأت عليه ما أردت وانصرفت

قال اسحاق بن ابراهيم : رأيت في منامي جريراً جالساً ينشد وأنا أسمع فلما فرغ أخذ لبة من شعر فألقاها في فيَّ فابتلعتها . فأول ذلك بعض من ذكرته له أنه ورّثني الشعر . قال زيد بن محمد المهلبي : وكذلك كان ، لقد مات اسحاق وهو أشعر أهل زمانه

قال اسحاق : ودخلت على المأمون يوما وعقيد يغنيه مرتجلا وغيره يضرب عليه فقال : يا اسحاق كيف تسمع مغنينا هذا ؟ فقلت : هل سأل أمير المؤمنين غيري عن هذا ؟ فقال : نعم ، سألت عمي ابراهيم فقرّظه واستحسنه . فقلت : يا أمير المؤمنين أدام الله سرورك وأطاب عيشك ، ان الناس قد أكثروا في

أمري حتى نسبتني فرقة الى التزيد في علمي . قال : فلا يمنعك ذلك من قول الحق اذا لزمك . فقلت لعقيد : اردد الصوت الذي غنيته . فرده وتحفظ فيه وضرب عليه ضاربه . فقلت لابراهيم بن المهدي : كيف رأيته ؟ فقال ما رأيت شيئاً أنكره مما سمعته . فأقبلت على عقيد فقلت له لما استوفاه : في أي طريقة غنيت ؟ فقال : في الرّمل . فقلت للضارب : في أي طريقة ضربت ؟ فقال : في الهزج الثقيل . فقلت : يا أمير المؤمنين ما عسى أن أقول في صوت يغنيه مغنيه رملا ، ويضرب ضاربه هزجاً ثقيلا ، وليس هو صحيحاً في ايقاعه الذي ضرب عليه . قال : وتفهمه ابراهيم بن المهدي فقال : صدق يا أمير المؤمنين ، والامر فيه بين . فعجب المأمون من ذلك كيف خفي على كل من حضر

تناظر المغنون يوما عند الواثق ، فذكروا الضّراب وحذقهم ، فقدّم اسحاق زنوب [١] على ملاحظ ، وللاحظ اذ ذاك الرئاسة على جميعهم . فقال الواثق : هذا حيف وتعد . فقال إسحاق : ياأمير المؤمنين اجمع بينهما وامتحنهما ويكون الأمر واضحاً . فأمر بهما فأحضرا ، فقال له اسحاق : ان للضراب أصواتا معروفة ، أفامتحنهما بشيء منها ؟ قال : أجل . فسمى له ثلاثة أصوات يقرر منها صوتا ، فضربا عليه فتقدم زنوب [١] وقصر ملاحظ . فتعجب الواثق من كشفه عما ادعاه في مجلس واحد . فقال ملاحظ : فما باله ياأمير المؤمنين بخيل على الناس ولا يضرب هو ؟ فقال : ياأمير المؤمنين انه لم يكن أحد في زماني أضرب مني ، إلا أنكم أعفيتموني منه . وعلى أن معي بقية لا يتعلق بها أحد من هذه الطبقة . ثم قال : يا ملاحظ شوّش عودك وهاته . ففعل ذلك . فقال اسحاق : يا أمير المؤمنين ، هو ذا يخلط الاوتار خلط متعنت . ثم أخذ العود فجسه ساعة حتى عرف مواقعه ، ثم قال : يا مخارق : غن أي صوت شئت . فغنى مخارق ، وضرب عليه اسحاق في ذلك العود الفاسد المشوش ، فلم يخرج عن لحنه في موضع واحد ، حتى استوفاه عن

(١) كذا في المختصر . وفي الاغاني (زلزلا)

نقرة واحدة ، ويدء تصعد وتنحدر على الدساتين . فقال الواثق : لا والله ما رأيت ولا سمعت مثلك ، اطرح هـذا على الجواري . فقال : هيهات يا أمير المؤمنين ، هـذا شيء لا تفي به الجوارى ولا يصلح لهن ، انه بلغني أن الفلهيذ ضرب يوما بين يدي كسرى ابرويز فأحسن،فحسده رجل من حذاق أهل صناعته فترقبه حتى قام لبعض شـأنه ، ثم خالفه الى عوده فشوش بعض أوتاره ، فرجع فضرب وهو لا يدري ـ والملوك لا تصلح في مجالسهم آلة ـ فلم يزل يضرب بذلك العود حتى فرغ . ثم قام على رجـله وأخبر الملك بالقصة ، فامتحن العود فعرف مافيه فقال له : زهٍ زهٍ ، وزهان زه ، ووصله بالصلة التي كان يصل بها من يخاطبه بهذه المخـاطبة . فلما سمعت هذه الرواية حدثت نفسي به ورضتها عليه وقلت : لا ينبغي أن يكون الفلهيذ أقوى على هـذا مني ، فما زلت استنبطه بضع عشرة سنة حتى لم يبق في الأوتار موضع على طبقة من الطبقات إلا وأنا أعرف موضعها ونغمتها كيف هي ، والمواضع التي يخرج النغم كلها منه : من أعاليها الى أسافلها وكل شيء منها يجانس غيره ، كما اعرف ذلك في الدساتين . وهذا شيء لا تدريه الجواري . فقال له الواثق صدقت ولئن متّ لتموتن هذه هذه الصناعة معك . وأمر له بثلاثين الف درهم

قال اسحاق : دعاني المأمون يوما وعنده ابراهيم بن المهدي ، وفي مجلسه عشرون جارية قد أجلس عشراً عن يمينه وعشراً عن يساره . فلما دخلت سمعت من الناحية اليسرى خطأ فأنكرته ، فقال المأمون : أسـمعت خطأ ؟ فقلت : نعم يا امير المؤمنين . فقال لابراهيم بن المهدى : هل تسمع خطأ ؟ قال : لا . فأعاد عليّ السؤال ، فقلت : بلى يا أمير المؤمنين ، وانه في الجانب الايسر فأعاد ابراهيم سمعه الى الناحية اليسرى ثم قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، مافي هـذه الناحية خطأ . فقلت : يا أمير المؤمنين مر الجـواري اللأتي على اليمين

[يمسكن] فأمرهن فأمسكن . ثم قلت لابراهيم : هل تسمع خطأ ؟ فتسمع ثم قال ما ههنا خطأ . فقلت : ياأمير المؤمنين يمسكن وتضرب الثامنة . فأمسكن وضربت الثامنة ، فعرف ابراهيم الخطأ فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، ههنا خطأ . فقال المأمون عند ذلك لابراهيم بن المهدي : لا تُمارِ اسحاق بعدها ، فان رجلا عرف الخطأ بين ثمانين وتراً وعشرين حلقا لجدير أن لا تماريه . قال : صدقت ياأمير المؤمنين . وكان في الاوتار كلها مثنى فاسد التسوية ، فطرب المأمون وقال : لله درك ياأبا محمد ! فكناني يومئذ

كان الواثق يقول : ماغناني اسحاق قط الا ظننت أنه قد زيد لي في ملكي ، وإن إسحاق لنعمة من نعم الملوك التي لم يحظ أحد بمثلها ، ولو أن العمر والشباب والنشاط مما يشترى لاشتريتهن له بشطر ملكي

سأل اسحاق الموصلي المأمونَ أن يكون دخوله مع أهل العلم والأدب والرواة لامع المغنين ، فاذا أراد الغناء غناه . فأجابه الى ذلك . ثم سأله بعد مدة طويلة أن يأذن له في الدخول مع الفقهاء ، فأذن له . فدخل يوماً مع يحيى بن أكثم متماسكين ، وعلوية ومخارق في حجرة لهما جلوس ينتظران جلوس المأمون ، فرأياهما وقد دخلا حتى جلسا بين يدي المأمون ، فكاد علوية أن يجن ، وقال : يا قوم سمعتم بأعجب من هذا ؟ يدخل قاضي القضاة ويده في يد مغن ، حتى يجلسا بين يدي الخليفة . ثم مضت مدة فسأل اسحاق المأمون في لبس السواد يوم الجمعة والصلاة معه في المقصورة . فضحك المأمون وقال : ولا كل هذا يا اسحاق ، وقد اشتريت منك هذه المسألة بمائة الف درهم . وأمر له بها

وكان المغنّون يحضرون مجلس الواثق وعيدانهم معهم ، الا اسحاق فانه كان يحضر بلا عود للشرب والمجالسة . فاذا أمره الخليفة أن يغني أحضر له عود ، واذا فرغ شيل من بين يديه الى أن يطلبه .

وكان الواثق يكنيه ـ رفعا له عن ان يدعوه باسمه ـ وكان اذا غنى وفرغ الواثق من شرب قدحه قطع الغناء ولم يعد منه حرفا ، الا أن يكون في بعض بيت فيتمه . ثم يقطع و يضع العود من يده

قال اسحاق : كنت عند الرشيد يوماً وعنده ندماؤه وخاصته ، وفيهم ابراهيم بن المهدي . فقال الرشيد غنِّ :

أعاذل قد نهيت فما انتهيتُ وقد طال العتاب فما ارعويتُ
أعاذل ما كبرت وفيَّ ملهىً ولو أدركت غايتك انثنيت
شربت مدامة وسقيت أخرى وراح المنتشون وما انتشيت

فغنيته . فأقبل عليَّ ابراهيم بن المهدي فقال لي : ما أصبت يا إسحاق ولا احسنت . فقلت له : ليس هذا مما تعرفه ولا تحسنه ، وإن شئت فغنه فان لم أجدك أنك تخطيء فيه منذ ابتدائك الى انتهائك فدمي حلال . ثم أقبلت على الرشيد فقلت : يا أمير المؤمنين هذه صناعتي وصناعة أبي ، وهي التى قربتنا منك وأوطأتنا بساطك ، فاذا نازعنا أحد بلا علم لم نجد بداً من الايضاح والذب . فقال : لالوم عليك ، وقام الرشيد ليبول فأقبل ابراهيم بن المهدي عليَّ وقال لي : ويلك يا إسحاق ، اتجتريء عليَّ وتقول ما قلت يا ابن الزانية ! فداخلني مالم أملك نفسي معه فقلت له : أنت تشتمني ولا أقدر على إجابتك ، وأنت ابن الخليفة وأخو الخليفة ، ولولا ذاك لقلت لك يا ابن الزانية كما قلت ، أو تراني لا أحسن أن أقول لك ياابن الزانية ، ولكن قولك لي ذلك ينصرف الى خالك ولولا ذلك لذكرت صناعته ومذهبه . قال وكان بيطاراً . ثم سكتُّ وعلمت أن ابراهيم سيشكوني الى الرشيد ، وسوف يسأل من حضر عما جرى فيخبرونه ، فتلافيت ذلك بأن قلت : أنت تظن أن الخلافة لك فلا تزال تهددني بذلك وتعاديني كما تعادي سائر أولياء وغلمان أخيك حسداً له ولولده على

الأمر ، وأنت تضعف عنه وعنهم ، وتستخف بأوليائهم تشفياً ، وأرجو أن لايخرجها الله تعالى عن الرشيد ولا عن ولده وأن يقتلك دونها ، فان صارت اليك ـ والعياذ بالله تعالى ـ فحرام عليَّ العيش حينئذ والموت أطيب من الحياة معك ، فاصنع حينئذ مابدا لك . فلما خرج الرشيد وثب ابراهيم فجلس بين يديه فقال : يا أمير المؤمنين شتمني وذكر امي واستخف بي . فغضب الرشيد وقال لي : ويلك ماتقول ؟ قلت : لاأعلم ، فسل من حضر . فأقبل على مسرور وحسين[1] فسألهما عن القصة ، فجعلا يخبرانه ووجهه يتربد الى أن انتهيا الى ذكر الخلافة فسرّي عنه ورجع لونه وقال : لاذنب له ، شتمته فعرّفك أنه لايقدر على جوابك ، ارجع الى موضعك وامسك عن هذا

فلما انقضى المجلس وانصرف الناس أمر بأن لا أبرح ، وخرج كل من حضر حتى لم يبق غيرى ، فساء ظنى وأوهمتنى نفسي . فأقبل عليَّ وقال : يا اسحاق أتراني ما أفهم قولك ومرادك ، وقد زنيته ثلاث مرات؟ أتراني لا أعرف وقعاتك وأقدامك وأين ذهبت ؟ ويلك لا تعد . حدثني عنك لو ضربك ابراهيم أ كنتُ اضربه وهو أخي ؟ يا جاهل أتراه لو أمر غلمانه فقتلوك أ كنتُ أقتله بك ؟ فقلت : والله يا امير المؤمنين قتلتنى بهذا الكلام ، وان بلغه ليقتلنني وما اشك في انه بلغه الآن . فصاح بمسرور وقال : عليَّ بابراهيم . فأحضر . فقال لي : قم فانصرف . فقلت لجماعة من الخدم ـ وكلهم كان لي محباً والىَّ مائلا ولي مطيعا ـ : اخبروني بما يجري فأخبروني من غدٍ انه لما دخل عليه وبخه وجهله وقال له : أتستخف بخادمي وصنيعتي وابن خادمي وصنيعتي وصنيعة أبي في مجلسي ، وتقدم علي وتستخف بمجلسي وحضرتي ؟ هاه هاه ! وتقدم على هذا وأمثاله ! وأنت مالك وللغناء ، وما يدريك ما هو ، ومن أخذك به[2]

(١) كذا فى الاغاني . وفى المختصر « حسن »

(٢) كذا فى المختصر . وفى الاغاني ومن أخذ لحنه

وطارحك إياه ، حتى تتوهم أنك تبلغ فيه مبلغ اسحاق الذي غذي به وعلمه ، وهو من صناعته . ثم تظن أنك تخطئه فيما لا تدريه ، ويدعوك الى اقامة الحجة عليه فلا تثبت لذلك ، وتعتصم بشتمه . هذا مما يدل على السقوط وضعف العقل وسوء الأدب من دخولك فيما لا يشبهك وغلبة لذتك على مروءتك وشرفك ثم اظهارك إياه ولم تحكمه وادعاؤك ما لا تعلمه حتى ينسبك الى افراط الجهل . ألا تعلم أن هذا سوء أدب وقلة معرفة وعدم مبالاة بالخطأ والرد القبيح والتكذيب . ثم قال : والله العظيم وحق رسوله ـ وإلا فأنا بريء [1] من المهدي ـ ان أصابه أحد بمكروه أو سقط عليه حجر من السماء أو وقع من دابته أو سقطت عليه سقيفة أو باب فجأة لأقتلنك به ، والله والله ، وأنت أعلم . قم الآن فاخرج ولا تعرض له . فخرج وقد كاد أن يموت . فلما كان بعد ذلك دخلت عليه وابراهيم عنده ، فجعل ينظر اليّ مرة واليه مرة ويضحك ، ثم قال له : اني لأعلم محبتك لاسحاق ، وميلك اليه والى الأخذ عنه ، وان هذا لا يجيئك من جهته كما تريد الا بعد أن يرضى ، والرضا لا يكون بمكروه ولكن أحسن اليه وأكرمه واعرف حقه وصله ، فاذا فعلت ذلك وخالف ما تهواه عاقبته بيد مستطيلة ولسان منطلق ثم قال لي : قم الآن الى مولاك وابن مولاك فقبل رأسه ، فقمت اليه وقام اليّ واصطلحنا .

قال اسحق لما أراد الفضل بن يحيى الخروج الى خراسان ودعته وأنشدته :

فراقك مثل فراق الحياة وفقدك مثل افتقاد الديَمْ
عليك السلام فكم من وفا أفارق منك وكم من كرم

فضمني اليه وأمر لى بألف دينار وقال لي : يا أبا محمد لو حليت هذين

(١) كذا في المختصر . وفي الاغاني « نفي »

البيتين بصنعة وأودعتهما من يصلح للغناء معنا لاهديت لى بذلك أنساً وأذكرتني بنفسك . ففعلت ذلك وطرحته على بعض المغنين فأمر لى بألف دينار اخرى . وكان كتابه لا يزال يرد علي ومعه ألف دينار وألفا دينار يصلني بذلك كلما غنى بهذا الصوت

حدث أحمد بن يحي المكي قال دعاني الفضل بن الربيع ودعا علوية ومخارقا ، فلما اجتمعنا عنده كتب الى اسحاق يسأله أن يصير اليه ويعلمه الحال في اجتماعنا عنده ، فكتب اليه : لا تنتظروني بالأكل فقد أكلت ، وأنا أصير اليكم بعد ساعة . فأكلنا وجلسنا نشرب حتى قرب الظهر ، ثم وافى اسحاق ، وجاء غلامه بقطرميز نبيذ فوضعه ناحية وأمر صاحب الشراب أن يسقيه منه . وكان علوية يغني الفضل بن الربيع في لحن لسياط اقترحه عليه يعجبه ، وهو :

فان تعجبي أو تبصري الدهر طمني بأحداثه طم المقصص بالجلمْ
فقد أترك الأضياف تندىٰ رحالهم وأكرمهم بالمحض والتامك السنم

فقال له اسحاق : أخطأت في هذا الاداء ، وأنا اصلح لك هذا الصوت . فجن علوية واغتاظ وقامت قيامته . فأقبل اسحاق عليه وقال : ياحبيبي ما أردت الوضع منك بما قلته لك ، وإنما أردت تهذيبك وتقويمك ، لأنك منسوب الخطأ والصواب الي والى أبي ، فان كرهتَ ذلك تركتك وقلت لك : اجملتَ وأحسنت . فقال له علوية والله ما أردتَ هذا وما أردت إلا ما لا تتركه أبداً من سوء عشرتك ، أخبرْنى عنك حين تجيء هذا الوقت لما دعاك الأمير وعرفك أنه نشط الاصطباح ، ما حملك على الترفع عليه في مباكرته وخدمته ؟ ثم تجيئه ومعك قطرميز نبيذ ترفعا عن شرابه كما ترفعت عن طعامه ومجالسته الا كما تشتهي وحين تنشط ، كما تفعل الاكفاء ، بل تزيد على فعل الأكفاء . ثم تعمد الى صوت قد اشتهاه واقترحه وسمعه كل من حضر فما عابه أحد منهم

فتعيبه ليتم تنفيصك إياه لذته . أما والله لو كان الفضل بن يحيى أو أخوه جعفر ـ لا والله بل بعض أتباعهم ـ دعاك إلى ما دعاك اليه الأمير لما رددت ولا تأخرت ولا اعتذرت . قال : وامسك الفضل عن الجواب إعجاباً بما خاطب به علوية اسحاق ، فقال له اسحاق : أما ما ذكرت من تأخري عنه الى الوقت الذي حضرت فيه فهو يعلم أني لا أتأخر عنه الا لعائق قاطع فان وثق بذلك مني وإلا ذكرته له سراً من حيث لا يكون لك ولا لغيرك فيه مدخل . وأما ترفعي عنه فكيف اترفع عنه وانا أنتسب الى صنائعه ، وأستمنحه ، وأعيش في فضله مذ كنت أنا وأبي . وهذا التصرف (١) لا ابالي به منك . وأما حمل النبيذ معي فان لي في النبيذ شرطاً من طعمه وريحه إن لم اجده لم اقدر على الشرب وينغص علي يومي ، وانما حملته معي ليتم نشاطي فينتفع بي . واما طعني على ما اختاره فاني لم أطعن على اختياره وان الذي اختاره لمن مختار الأصوات وأطيب الغناء ، وإنما أردت تقويمك ، ولستَ والله تراني متتبعاً لك بعد هذا اليوم تقويماً ، ولا متتبعاً شيئاً من خطأك ، وأنا أغني له أعزه الله تعالى هذا الصوت فيعلم وتعلم ويعلم الحاضرون أنك قد أخطأت وقصرت . وأما البرامكة فأمرهم أشهر من ان أجحده ، واني لحقيق فيه بالمعذرة ، وأحرى أن أشكرهم على صنيعهم ، وذلك أقل ما يستحقونه . ثم أقبل على الفضل وقد غاظه مدحه لهم فقال له : اسمع مني شيئاً أخبرك به مما فعلوه معي ، وليس بكثير من صنائعهم عندي وعند أبي قبلي ، فان وجدت لي في ذلك عذراً وإلا فلمْ . كنتُ في ابتداء أمري نازلا مع أبي في داره وكان لا يزال يجري بين غلماني وغلمانه وجواريَّ وجواريه الخصومة ـ كما تجري بين هذه الطبقات ـ فيشتكون غلماني اليه فأبين الضجر والتنكر في وجهه . فاستأجرت داراً بقربه انتقلت اليها أنا وغلماني

(١) كذا في المختصر . وفي الاغاني « تضريب »

وجواريَّ . وكانت داراً واسعة ، فلم أرض ما معي من الآلة لها ، ولا لمن يدخل عليَّ من إخواني أن يروا مثله عندي . ففكرت كيف أصنع في ذلك ، وزاد فكري ، حتى خطر بقلبي قبيح الأحدوثة من نزول مثلي في دار بأجرة ، واني لا آمن في وقت أن يستأذن عليَّ صاحب داري ، وعندي من أحتشمه ولا يعلم حالي ، فيقول لي غلامي : صاحب دارك على الباب ، أو يوجه في وقت فيطلب الاجرة وعندي من أحتشمه . فضاق بذاك صدري ضيقاً شديداً حتى جاوز الحد ، فامرت غلامي أن يسرج لي حماري لأمضي الى الصحراء أتفرج فيها مما داخلني . فأسرجه فركبت برداء ونعل ، وسرت وأنا مفكر ، فأفضى بي السير الى باب يحيى بن خالد ، فوثب غلمانه وقالوا : أين هذا الطريق ؟ فقلت : الى الوزير . فدخلوا واستأذنوا لي ، وخرج الحاجب . فدخلت وبقيت خجلا ، وقد وقعت في أمرين قبيحين : ان دخلت برداء ونعل : فان أعلمته أني قصدته في تلك الحال كان سوء أدب ، وان قلت له أني كنت مجتازاً ولم أقصدك وجعلتك طريقا كان قبيحاً . ثم عزمت على صدقه . فدخلت . فلما رآني تبسم وقال : ما هذا الزيُّ يا أبا محمد ؟ احتسبنا لك بالبر والقصد والتفقد ، ثم علمنا أنك جعلتنا طريقاً ! فقلت : لا والله أيها الوزير ، ولكني أصدقك . قال : هات . فأخبرته بالقصة من أولها الى آخرها : فقال هذا شغل قلبك ؟ قلت : أي والله . قال : لا تشغل قلبك بهذا . يا غلام ردوا حماره وهاتوا له خلعة . فجاءوني بخلعة تامة من ثيابه فلبستها . ودعا بالطعام فأكلت ، ووضع النبيذ فشربت وغنيته ، ودعا في وسط ذلك بدواة فكتب أربع رقاع ظننت بعضها توقيعاً بجائزة لي ، واذا هو قد دعا ببعض وكلائه فدفع اليه الرقاع وسارَّه بشيء ، فزاد طمعي في الجائزة ومضى الرجل ، وجلسنا نشرب وأنا أنتظر فلا أرى شيئاً الى العتمة . ثم اتكأ يحيى فنام ، وقمت من عنده وأنا مفكر خائب ، فخرجت ، وقدم لي غلامي حماري

فلما تجاوزت الدار قال لي غلامي : الى أين نمضي ؟ قلت : الى البيت . قال والله بيعت دارك وا ُشهد على صاحبها وابتيع الدرب كله ووُزن ثمنه والمشتري جالس على بابك ينتظرك ليعرفك ، وأظنه ابتاع ذلك كله للسلطان ، لاني رأيت الأمر في عجلته واستحثاثه أمراً سلطانياً . فوقعت في ذلك فيما لم يكن في حسابي ، وجئت وأنا لاأدرى ما أعمل ، فـلما نزلت على باب داري إذا أنا بالوكيل الذي سارّه الوزير يحيى قـد قام الي فقال : ادخل أيدك الله تعالى حتى أدخل اليك في أمر احتاج فيه الى مخاطبتك . فطابت نفسي بذلك ، فدخلت ، فأقرأني كتاباً وتوقيع يحيى : يطلق لابي محمد اسحاق مائة الف درهم يبتاع له بها داره وجميع ما يجاورها ويلاصقها . والتوقيع الثاني لابنه الفضل : قد أمرت لابي محمد اسحاق بمائة الف درهم يبتاع بها داره ، فأطلق له مثلها لينفقها على اصلاح الدار كما يريد وبنائها كما يشتهي . والتوقيع الثالث الى جعفر : قد امرت لابي محمد اسحاق بمائة الف درهم يبتاع له بها منزلاً يسكنه وأمر له أخوك بمائة الف درهم ينفقها على مرمتها وبنائها على ما يريده ، فاطلق له أنت مائة الف درهم يبتاع بها فرشاً لمنزله . والتوقيع الرابع الى محمد : قد أمرت وأخواك لابي محمد اسحاق بثلاثمائة الف درهم لمنزل يبتاع له ونفقة ينفقها لاصلاحه وثمن فرش يفرش فيها ، فأمر له أنت بمائة الف درهم يصرفها في سائر نفقاته . وقال لى الوكيل : قد حملت المال وابتعت كل شيء جاورك بتسعين الف درهم ، وهذه كتب الابتياعات باسمى والاقرار لك ، وهذا المال بورك لك فيه فاقبضه . فقبضتُ وأصبحتُ أحسن الناس حالا وأحسن حالا من أبي في منزلى وفرشي وآلتي ، ولا والله ماهذا من أكبر شيء (١) فعلوه معي ، أفألام على شكرهم ؟ فبكى الفضل وكل من حضر . وقالوا : والله لاتلام على شكر هؤلاء . ثم قال الفضل : بحياتي غنّ الصوت ولا تبخل على أبي الحسن

(١) في المختصر « ماهذا من الرشى » وفي الاغاني « ما هذا بأكبر شيء »

علوية بأن تقوّمه له . قال : أفعل . ففناه وتبين علوية أنه كما قال ، فقام وقبل رأسه وقال : انت استاذنا وابن استاذنا وأولى بتقويمنا من كل احد ، فزاده اسحاق عدة مرار حتى استوى لعلوية :

يرتاح للدجن قلبي وهو مقتسم   من الهموم ارتياحَ الأرض للمطر
إني جعلتُ ليوم الدجن نحلته   ألاّ يزول ولي في اللهو من وطر

اسحاق :

قل لمن صدَّ عاتبا   ونأى عنك جانبا
قد بلغتَ الذي أرد   تَ وإن كنت لاعبا

وله :

هل الى نظرة اليكِ سبيلُ   يُرْوَ منها الصدى ويُشفى الغليلُ
ان ما قلَّ منكِ يكثر عندي   وكثيرٌ ممن تحب القليل

قال الاصمعي : دخلت يوماً أنا واسحاق بن ابراهيم على الرشيد فرأيته لقس النفس [1] فانشده اسحاق :

وآمرة بالبخل قلت لها اقصري   فذلك شيء ما اليه سبيل
أرى الناس خلانَ الكرام ولا أرى   بخيلا له حتى الممات خليل
واني رأيت البخل يزري بأهله   فأكرمتُ نفسي أن يقال بخيل
فعالي فعالى المكثرين تجملا   ومالي كما قد تعلمين قليل
وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى   ورأى أمير المؤمنين جميل

فقال الرشيد : لاتخف ان شاء الله تعالى . ثم قال : لله در أبيات تأتينا بها

(١) كذا فى المختصر وعليها اشارة الشك فى صحتها وفى معاجم اللغة : لقست نفسه الى الشيء : لازمته اليه ، ولقست من الشيء : غثت وخبثت . ولقس بأمر : فطن به . والذي في الاغاني « فرأيناه لقيس النفس »

ما أشد أصولها ، وأحسن فصولها ، وأقل فضولها . وأمر له بخمسين ألف درهم . فقال له اسحاق : وصفك يا أمير المؤمنين لشعري أحسن منه ، فعلام آخذ الجائزة ؟ فضحك الرشيد وقال : اجعلوها لهذا مائة الف درهم . قال الأصمعي : فعلمت يومئذ أن إسحاق أحذق بصيد الدراهم مني

قال اسحاق كنت عند الفضل بن الربيع يوماً فدخل عليه ابن ابنه عبد الله ابن العباس بن الفضل وهو طفل وكان يرقُّ عليه لان أباه مات في حياته ، فأجلسه في حجره وضمه اليه ودمعت عيناه ، فانشأتُ أقول :

مد لك اللهُ الحياةَ مدّا حتى ترى ابنَ ابنك هذا جدّا
مؤزّراً بمجده مردّى ثم يفدّى مثلما تفدّى
أشبه منك سنة وجدا وشيمة مرضية ومجدا
كأنه أنت اذا تبدّى شمائلا محمودة وقدّا

فتبسم الفضل وقال : أمتعني الله بك يا أبا محمد ، فقد عوضت عن الحزن سروراً ، وتسليتُ بقولك ، وكذلك يكون ان شاء الله تعالى . وأمر لي بثلاثين ألف درهم

حكي عن جحظة أو عن الزبير بن دحمان قال : مررت يوماً على اسحاق بن ابرهيم مسلّما ، فحبسني وحبس نفسه ، وكان الفضل بن الربيع قد أمرني بالمصير اليه فقال اسحاق:

أقم يا أبا العباس ويحك نطرب ونلهو مع اللاهين يوماً ونضرب
اذا ما رأيت اليوم قد بان خيره فخذه بشكر واترك الفضل يغضب

فأقمنا يومنا وسررنا . ثم صار الى الفضل بن الربيع فسأله عن سبب تأخره عنه فحدّثه الحديث مع اسحاق وأنشده الشعر ، فغضب على اسحاق وحوّل وجهه عنه وأمر عونا حاجبهُ ان لا يستأذن له عليه ولا يدخله اليه ولا يوصل له

رقعة ، فعمل اسحاق :

حرام عليّ الراح ما دمت غضبانا ... وما لم يعد عنى رضاك كما كانا
فأحسنْ فاني قد أسأت ولم تزل ... تعوّدني عند الاساءة احسانا

وأنشدهما إياه فرضى عنه وعاد الى ماكان عليه له

وعمل اسحاق في عون الحاجب :

عون يا عون ليس مثلك عون ... أنت لي عدة اذا كان كون
لك عندي والله ان رضي الفض ... ل غلام يرضيك أو برذون

قال : فأتى عون الى الفضل بالشعرين جميعا ، فقرأهما وضحك وقال : ويلك انما عرض بك بقوله « غلام يرضيك » بالسوء . فقال عون قد وعدني بما سمعت فان شئت ان لا تحرمنيه فافعل . فأمره باحضاره عنده ، فحضر ورضي عنه ووفى لعون

قال اسحاق : كان أبي يوماً عند اسحاق بن ابراهيم بن مصعب ، فلما جلس للشرب جعل الغلمان يسقون من حضر وجاء غلام قبيح الوجه الى ابى بقدح فلم يأخذه منه ، ورآه اسحاق بن ابراهيم بن مصعب فقال له : لم لا تشرب ؟ فكتب اليه في زجاجة :

أصبح نديمك أقداحاً يسلسلها ... من الشمول وأتبعها باقداح
من كف ريم مليح الدلّ ريقته ... بعد الهجوع كمسك أو كتفاح
لا أشرب الراح إلا من يدَيْ رشأ ... تقبيلُ راحته أشهى من الراح

فضحك ثم قال : صدقت والله ، ثم استدعى بوصيفة كأنها صورة تامة الحسن لطيفة الخصر في زي غلام عليها أقبية ممنطقة ، فقال لها : تولي سقي أبي محمد . فما زالت تسقيه حتى سكر ثم أمر بتوجيهها اليه وجميع مالها ، فحملت اليه

وكان لاسحاق غلام اسمه زياد مولد من مولدي الكوفة فصيحاً ظريفاً ،

وكان قد جعله ساقيا ، وكان أصفر رقيق اللون حلو الوجه لا يراجعه أحد ولا يستطيع أن يقول له زدني ولا نقصني . وكان لطيف السقي لبقا ، وكان فيه يقول اسحاق :

خليليَّ هبَّا نصطبح بسواد ونرو قلوبا هامهن صواد
وقولا لساقينا زياداً يرقها فقد هدَّ بعض القوم سقي زياد

قال أحمد بن الهيثم : كنت يوماً جالساً بسُرَّمَن رأى عند اخوان لي ، وكان طريق اسحاق - في مضيه الى دار الخليفة ورجوعه - علينا . فجاءني الغلام يوماً وعندي أصدقائي فقال : اسحاق بن ابراهيم الموصلي بالباب . فقلت : يدخل ، أو في الأرض أحد يستأذن عليه لاسحاق ؟ فذهب الغلام يأذن له وبادرت الى تلقيه ، فدخل وجلس منبسطاً آنسا . فعرضنا عليه ما عندنا ، فأجاب الى الشراب فأحضرناه نبيذاً مشمسا ، فشرب منه . ثم قال : أتحبون أن أغنيكم ؟ قلنا : أي والله أطال الله بقاءك ، انا لنحب ذلك . قال : فلم لا تسألوني ؟ قلنا : هبناك . قال : فلا تفعلوا . ثم دعا بعود فأحضرناه . فاندفع فغنى ، فشربنا وطربنا . فلما فرغ قال : احسنتُ أم لا ؟ فقلنا : بلى والله جعلنا فداك ، لقد أحسنت . قال فما منعكم أن تقولوا لي أحسنتُ ؟ قلنا : الهيبة والاجلال لك . قال : فلا تفعلوا هذا فيما تستأنفون ، فان المغني يحبُّ أن يقال له أحسنت . ثم غنى :

خليليَّ هبا نصطبح بسواد ونرو قلوبا هامهن صواد

البيتين . فقلنا له : يا أبا محمد فمن هو زياد ؟ قال : غلامي الواقف على الباب ، ادعه ياغلام . فدخل فاذا هو غلام خلاسي قيمته عشرون ديناراً أو نحوها . فأمسكنا فقال : أتسألوني عنه فأعرفكم اياه وأدخله اليكم ويخرج كما دخل وقد سمعتم شعري فيه وغنائي ؟ أشهدكم أنه حر لوجه الله تعالى وقد زوجته أختي فلانة فاعينوه على أمره قال فلم يخرج حتى أوصلنا اليه عشرين ألف درهم من أموالنا

اصطبح محمد الأمين ذات يوم وأمر بالتوجيه الى اسحاق ، فوجه اليه عدّة رسل كلهم لا يصادفه ، حتى جاء أحدهم به فجاء منتشياً ومحمد مغضب ، فقال له : أين كنت ويلك ؟ قال : أصبحت يا أمير المؤمنين نشيطاً فبكرت الى بعض المتنزّهات فاستطبت الموضع فأقمت فيه ، وسقاني زياد ، فذكرت أبياتاً للاخطل وهو يسقيني فدَاركَ فيها لحن حسن فصنعته ، وقد جئتك به . فتبسم وقال : هاته ، فما تزال تأتي بما يرضى عنك عند السخط . فغناه :

اذا مازياد علّني ثم علّني ثلاث زجاجات لهن هديرُ
خرجتُ أجر الذيلَ حتى كأنني عليك أميرَ المؤمنين أمير

فقال : بل على أبيك ، قبح الله فعلك ، فما زال احسانك في غنائك يمحو اساءتك في فعلك . وأمر له بألف دينار . وأصل قول الاخطل : اذا ما نديمي علني

قال اسحاق بن ابراهيم بعث اليّ طلحة بن طاهر وقد انصرف من وقعة الشُراة وقد أصابته ضربة في وجهه ، فمضيت اليه ، فاذا هو جالس قد عصب ضربته ، وتقلنس بقلنسوة مكية . فقلت له : سبحان الله أيها الأمير ، ما حملك على لبس هذا ؟ قال : التبرم بغيره . ثم قال : غنى لبعض الاعراب :

انى لأكني باجبالٍ عن اجبلها وباسم أوديةٍ عن اسم واديها
عمداً ليحسبها الواشون غانية أخرى وتحسب أنى لا أباليها
ولا يغير ودّي أن أهاجرها ولا فراق نوى في الدار أنويها
وللقلوص ولي منها اذا بعدت لواعج الشوق تضنيني وأنضيها

فغنيته إياه ، فقال : أحسنت والله . أعد . فأعدت عليه وهو يشرب حتى

وصل العتمة(١) وأنا أغنيه ، فأقبل على خادم له فقال له : كم عندك ؟ فقال : مقدار سبعين ألف درهم . فقال : تحمل معه . فلما خرجت من عنده تبعني الغلمان يسألونني ، فوزعت المال بينهم ، فرفع الخبر اليه فأغضبه ولم يوجه اليّ ثلاثا ، فقلت :

علمني جودُك السماح فما ابقيتُ شيئًا لدي من صلتك
لم أبق شيئًا إلا سمحتُ به كأن لي قدرة كمقدرتك
تتلفُ في اليوم بالهبات وفي الساعة ما تجتنيه في سَنتك
فلست أدري من أين تنفق لو لا أن ربي يجزي على هبتك

فلما كان في اليوم الرابع بعث اليّ فصرت اليه ، فسلمت عليه ، فرفع بصره إليّ وقال : اسقوه رطلا . فشربت . فقال : وآخر . فشربت ثلاثة ارطال . ثم قال : غنني :

إني لأ كني بأجبال عن أجبلها وباسم أودية عن اسم واديها

فغنيته . فقال : ادن . فدنوت . فأمرني باعادة الصوت الذي صنعته فيه ، وهو

علَّمني جودُك السماحَ فما أبقيت شيئًا لديَّ من صلتك

فلما فهم وتمعنه قال لخادم له : أحضر لي فلانًا . فأحضره . فقال : كم قبلك من مال الضياع ؟ فقال : ثمانمائة ألف درهم . قال : أحضرها الساعة . فجيء بثمانين بدرة فقال للخادم : جئني بثمانين غلامًا مملوكا . فأحضروا . فقال : احملوا المال . ثم قال لي : ياأبا محمد خذ المال والمماليك حتى لا تحتاج الى أحد تعطيه شيئا

قال محمد بن عمران الجرجاني وقد ذكر عنده اسحاق : ما يذكرون من اسحاق شيئًا يقاربون به وصفه ، كان والله اسحاق غرّة في زمانه ، وواحداً في عصره علمًا وفهما وأدبا ووقاراً وجودة رأى وصحة مودّة ، وكان يُخرس الناطق

(٢) كذا في المختصر . وفي الاغاني « حتى صلى العتمه »

اذا نطق ويحيّر السامع اذا تحدّث ، لا يمل جليسه مجلسه ، ولا تمج الآذان حديثه ، ولا تنبو النفس عن مطاولته . ان حدثك ألهاك ، وان ناظرك افادك ، وان غناك اطربك . وما كنت ترى خصلة من الأدب ولا جنساً من العلم تقدّم أحد فيه على مساجلته ولا مباراته

قال اسحاق لاعبت الفضل بن الربيع فوقع بيننا خلاف فحلف وحلفت . فغضب عليّ وهجرني فأتيت عونًا و كان يحجبه فخاطبته في ذلك فكلمني بما كرهت فقلت له أيدخل بيني وبين الأمير أحد فرضيته واصطلحنا وقال الفضل لي : اصلح قلب عون ، وكان عون يرمى بالابنة فقلت فيه :

وراكب أمر ضاق ذرعًا بذكره   وناس لداء منه متسع الخرق

ثم علمت أنه لا يتم لي أمر الا بعد أن يرضى ، فكتبت اليه :

عون ياعون ليس مثلك عون   أنت لي عدة اذا كان كون

لك عندي والله ان رضي الفضـــل غلام يرضيك أو برذون

فدخل الفضل فترضاه لي فرضي ، ثم قال له : ويلك انه والله انما هجاك ياعون وأنت ترى انه مدحك ، الا ترى الى قوله : غلام يرضيك ، هذا تعريض بك . فقال : فكيف اصنع به مع محله عند الأمير ؟

قال اسحاق : استدناني الامين يوماً وهو مستلق على فراش ، حتى صارت ركبتي على الفراش . ثم قال : يا إسحاق أشكو اليك أصحابي ، فعلت بفلان كذا ففعل كذا وفعلت بفلان كذا ففعل كذا حتى عدد جماعة من خواصه . فقلت له : أنت يا سيدي تتفضل عليَّ وتحسن رأيك في . ظننت أني ممن يشاور في مثل هذا الحديث ، تجاوزت في حدي ومقداري وهذا رأي يجل ولا يبلغه قدري . فقال : ولم؟ انت عندي، عالم عاقل ناصح . فقلت : هذه المنزلة عند سيدي علمتني أن لا اقول الا ما اعرف ولا اطلب الا ما أنال . فضحك وقال : بلغني أنك عملت في هذه الأيام لحنًا في شعر الراعي فلم أسمعه منك. فقلت:

ياسيدي ما سمعه أحد الا جواري ولا حضرت عنـدك منذ صنعته . فقال : غنه فقلت : الهيبة والصحو عنعاني أن اؤديه كما اريد فلو آنس أمير المؤمنين عبده بشيء يطربه ويقوي طبعه كان اجود . قال : صدقت ، ثم امر بالغداء فتغدينا وامر بالستائر فمدت وغنى مَن وراءها وشربنا اقداحاً . فقال : يااسحاق ما جاء أوان الصوت ؟ فقلت : بلى يا سيدي . وغنيت في شعر الراعي :

ألم تسأل بعارمة الديارا عن الحي المفارق أين سارا

بلى سألتها فأبت جوابا وكيف تسائل الدمن القفارا

فاستحسنه وطرب عليه. وقال : يا إسحاق لا طلب بعد البغية ووجود المنية ، وماأشرب بقية يومي الا على هذا الصوت ، ووصلني وخلع عليَّ من ثيابه

كان الواثق اذا صنع غناء في شعر قال لاسحاق: هذا وقع الينا البارحة فاسمعه. فكان ربما أصلح فيه الشيء بعد الشيء .فكاده مخارق عنده وقال: انما يستجيد صنعتك اذا حضر ليقاربك ويستخرج ما عندك ، فاذا فارق حضرتك قال في صنعتك غير ما تسمع . قال الواثق فانا احب أن اقف على ذلك . فقال مخارق : فأنا أغنيه :

أيا منشر الموتى اقدني من التي بها نهلت نفسي سقاماً وعلتِ

لقد بخلت حتى لو أنى سألتها قذى العين من سافي التراب لضنت

قال : إسحاق لا يعلم ان ذلك لك ولا سمعه من احد . قال : افعل . فلما دخل اسحاق غناه مخارق وتعمد لأن يفسده بجهده ، وفعل ذلك في مواضع خفية لم يعرفها الواثق في قسمته ، فلماغناه قال الواثق لاسحاق : كيف ترى هذا الصوت؟ قال: فاسد غير مرضي. فأمر به فسحب في المجلس حتى اخرج عنه وأمر بنفيه الى بغداد . ثم جرى ذكره يوماً فقالت له فريدة : يا امير المؤمنين انما كاده مخارق فأفسد الصوت من حيث أوهمك أنه زاد فيه بحذقه نغماً وجودة ، واسحاق يأخذ

نفسه بقول الحق في كل شيء ساءه وسره ، ويفهم من غامض علل الصنعة ما لا يفهمه غيره ، فليحضره امير المؤمنين ويحلفه بمغلظ الايمان ان يصدقه عما يسمع واغنيه انا حتى يقف على حقيقة الصوت ، فان كان فاسداً فصدق عنه لم يكن عليه عتب ووافقناه عليه حتى يستوي ، وليس يجوز ان نتركه فاسداً ان كان فيه فساد وان كان صحيحاً قال ما فيه . فأمر بحمله فحمل وأظهر له الرضاء عنه ولزمه اياماً. ثم حلفه ان يصدقه عما يمر في مجلسه فحلف له . ثم غنى الواثق اصواتاً يسأله عنها اجمع ، فيخبره فيها بما عنده . ثم غنته فريدة هذا الصوت وسأله الواثق عنه فرضيه واستجاده وقال : ليس على هذا سمعته المرة الاولى ، وأبان عن المواضع الفاسدة ، واخبر بافساد مخارق لها . فسكن غضبه ، ووصل اسحاق وتنكر لمخارق مدة

قيل : كان اسحاق بعد المأمون لا يغني الا لخليفة أو ولي عهد أو رجل من الطاهرية مثل اسحاق بن ابراهيم وطبقته . فاجتمعا عند الواثق وهو ولي عهد المعتصم . فاشتهى الواثق ان يضرب بين مخارق وعلوية واسحاق ، ففعل حتى تهاتروا . ثم قال لاسحاق : كيف هما عندك ؟ فقال : أما مخارق فمناد [1] طيب الصوت . واما علوية فهو خير حماري العبادي وهو على كل حال شييء . يريد تصغير شيء . فوثب علوية مغضبا . ثم قال للواثق : جواريه حرائر ونساؤه طوالق لئن لم تحلفه بحياتك وحق أبيك أن يصدق عما اسأله عنه لا توبن عن الغناء ما عشت . فقال له الواثق : لا تعربد ياعلي نحن نفعل ما سألت . ثم حلف اسحاق أن يصدق فحلف له . فقال له : من أحسن الناس اليوم صنعة بعدك . فقال أنت : قال فمن أضرب الناس بعد ثقيف . فقال : أنت . قال فمن أطيب الناس صوتاً بعد مخارق؟ قال : أنت . قال علوية لاسحاق هذا قولك فيّ وأنت تعلم أني مصلي كل سابق فاضل

(١) كذا في المختصر . وفي الاغاني «فياد»

واني ثالث ثلاثة أنت احدهم لم يكن في الدنيا مثلهم ولا يكون. فما أنت وغناؤك الذي لا يسمع انخفاضا ؟ فغضب اسحاق ، واتهر الواثق علوية. ثم أخذ اسحاق عوداً فنقل مثناه الى البم وزيره الى موضع المثلث والمثلث مكان المثنى وضرب وقال : أتعرف شيئاً ؟ فغنى مخارق عليه :

تقطع من ظلاّمة الوصل أجمع أخيراً على ان لم يكن يتقطع

وضرب عليه اسحاق فلم يبن في الاوتار خلاف، ولا فقد من الايقاع شيء ولا بان فيه اختلال. فعظم عجب الواثق من فعله وقام اسحاق ورقص طرباً وكان أحسن رقصاً من كبيش وعبد السلام وكانا من أرقص الناس. فقال الواثق لا يكمل أحد في صناعته مثل كمال اسحاق

قال عبد الله بن عبد الله بن طاهر حدثتني شهوار (١) الصناجة التي كان اسحاق اهداها الى الواثق أن محمد الأمين لما غناه اسحاق لحنه في شعره :

يا أيها القائم الأمين فدت نفسك نفسي بالمال والولد

بسطت للناس اذ وليتهم يداً من الجود فوق كل يد

أمر له بألف ألف درهم فرأيتها قد دخلت دارنا محملة مائة فراش

حدث اسحاق قال عشقت جارية فقلت فيها :

هل الى أن تنام عيني سبيل ان عهدي بالنوم عهد طويل

غاب عني من لا أسمي فعيني كل يوم وجداً عليه تسيل

قال ثم ملكتها فكنت مشغوفاً بها حتى كبرت واعتلت عيني فذكرت هذا الصوت وأيامه المتقدمة فما زلت أبكي وأذكر دهري الذي كنت فيه

وكان السبب في علة عينيه وضعف بصره ان ابراهيم بن اخي سلمة (٢)

---

(١) كذا في المختصر . وفي الاغاني « شهوات »
(٢) كذا في المختصر . وفي الاغاني « ابن ابي سلمة

الوصيف نازع اسحاق في شيء من الغناء فرد عليه اسحاق فشتمه ابراهيم فرد عليه وأسرف في الرد فقال ابراهيم : أترد علي وأنا مولى أمير المؤمنين ؟ فقال له اسحاق : أسكت فأنك من موالي العيدين : فقال له الرشيد يا إسحاق وإيش تكون موالي العيدين؟ قال : يا أمير المؤمنين تشترى الخلفاء في العيد للعتق غلمانا يكون فيهم الحائك والحجام والسائس ، فهو أحد هؤلاء الذين ذكرت . فخرج ابراهيم فوقف له على طريقه فلما جاز عليه منصرفا ضرب رأسه بمقرعة فيها معول فكان ذلك سبب ضعف بصره. وبلغ الرشيد الخبر فأمر أن يحجب عنه ابراهيم وحلف ان لايدخل عليه فدس الى الرشيد من غناه بشعر أبي العتاهية :

من لعبد أذله مولاه ماله شافع اليه سواه
يشتكي مابه اليه ويخشا ه ويرجوه مثلما يخشاه

فلما غني الرشيد بهذه الأبيات سأل عن صانع لحنها فعرفه فحلف ان لا يرضى عنه حتى يرضى عنه اسحاق فقام وقال : ياسيدي قد رضيت رضاء صحيحاً وقبل الأرض بين يديه شكراً لما كان من قوله فرضي عنه وأحضره وأمره ان يترضى اسحاق ففعل

وكان اسحاق اذا غنى هذا الصوت أخذ بلحيته وبكى :

اذا المرء قاسى الدهر وابيض رأسه وثلم تثليم الاناء جوانبه
فللموت خير من حياة كريهة تباعده طوراً وطوراً تقاربه

قال اسحاق : دخل اعرابي من بنى سليم سر من رأى وكان يكنى ابا القنافذ فحضر باب المعتصم مع الشعراء فأذن له . فلما مثل بين يديه انشده من أبيات :

مراض العيون خماص البطو ن طوال المتون قصار الخطا
عتاق النحور دقاق الثغو ر لطاف الخصور خدال الشوى
عطابيل من كل رقراقة تلوث الازار بدعص النقا

اذا هن منيننا نائلا   ابى البخل منهن ذاك المنى
الى النفر البيض أهل البطاح   وأهل السماح طلبنا الندى
لهم سطوات اذا هيجوا   وحلم اذا الجهل حلّ الحبا
يبين لك الخير في أوجه   لهم كالمصابيح تجلو الدجى
سعى الناس كي يدركوا فضلهم   فقصر عن سعيهم من سعى
سعى للخلافة فاقتادها   وبرز بالسبق لما جرى

قال : فاستحسنها المعتصم ، وأمرني فغنيت بها ، وأمر للاعرابي بعشرين ألف درهم

قال اسحاق : قدمت على الواثق في بعض قدماتي ، فقال لي : أما اشتقت الينا ؟ قلت : بلى والله يا أمير المؤمنين . وأنشدته :

أشكو الى الله بُعدي عن خليفته   وما أعالج من سقم ومن كبر
لا أستطيع رحيلاً ان هممت به   اليه يوماً ولا أقوى على السفر
أنوي اليه رحيلا ثم يمنعني   ما أحدث الدهر والايام في بصري

قال اسحاق : أقام المأمون بعد قدومه بغداد عشرين شهراً لم يسمع حرفا من الاغانى ، ثم كان أول من تغنى بحضرته أبو عيسى بن الرشيد ، ثم واظب على السماع مستتراً متشبهاً في أول أمره بالرشيد ، فاقام على ذلك أربع حجج ، ثم ظهر للندماء والمغنين . وكان حين أحب السماع سأل عنى ، فخرجت بحضرته . وقال الطاعن عليّ : ما يقول أمير المؤمنين في رجل يتيه على الخلافة ، وما أبقى من التيه شيئاً حتى استعمله ؟ فامسك المأمون عن ذكري ، وجفاني من كان يصلني لسوء رأيه فيّ . فاضر ذلك بي ، حتى جاءني علوية يوماً فقال لي : أتأذن لي فى ذكرك ؟ فانا قد دعينا اليوم . فقلتُ : لا ولكن غنه بهذا الشعر ، فانه سيبعثه على أن يسألك : لمن هذا ؟ فاذا سألك انفتح لك ما تريد ، وكان الجواب

أسهل عليك من الابتداء . فقال : هات . فألقيت عليه لحني في شعري :

يا سَرحَةَ الماء قد سُدَّت موارده   أما إليكِ طريقٌ غيرُ مسدودِ

لحائمٍ حامَ حتى لا حَرَاكَ به   محلأٌ عن طريق الماء مطرود

ومضى علوية ، فلما استقر به المجلس غناه ، فما عدا المأمون أن يسمع الغناء حتى قال : ويحك ياعلوية ، لمن هذا الشعر ؟ قلت : ياسيدي لعبد من عبيدك جفوتَهُ واطَّرحته بغير جرم . فقال : إسحاق تعني ؟ فقلت : نعم . فقال يحضر الساعة . فجاءني رسوله ، فحضرت فلما دخلت قال : أدن . فدنوت . ورفع يديه مادّهما الي ، فاكببتُ عليه ، فاحتضنني بيديه ، وأظهر من بري مالو أظهره صديق مؤانس لصديق لسرَّه

وكان اسحاق يأخذ عن الأصمعي ويذكر عنه الروايات ، ثم فسد ما بينهما ، فهجاه اسحاق وثلبه ، وذكر عند الرشيد أنه قليل الشكر بخيل ساقط النفس ، لا تزكو الصنيعة عنده ، وشكر له أبا عبيدة معمر بن المثنى بالثقة والصدق والسماحة واشتماله على جميع علوم العرب . وفعل مثل ذلك عند الفضل بن الربيع ، ولم يزل بهما حتى وضع منزلة الاصمعي عندهما . ثم أنفذا الى أبي عبيدة مالا جليلا واستقدماه ، فكان اسحاق سبب ذلك

قال اسحاق : جاء عطاء الله الملطي بجماعة من أهل البصرة قريباً أبا الأصمعي - وكان نذلا من الرجال - فوجده ملقى في كساء نائماً في الشمس ، فوكزه برجله ، وقال : ويلك ياقريب ، قم . فقام فقال له : هل لقيت أحداً من أهل العلم قط ، أو من أهل اللغة ، أو من الفقهاء ، أو من العرب ؟ فقال : لا والله . فقال : ولا سمعت شيئاً ترويه لنا أو تنشدنا إياه أو نكتبه عنك ؟ قال : لا والله . فقال لمن حضر : هذا أبو الاصمعي ، فاشهدوا عليه وعلى ماسمعتم منه ، لا يقول لكم ولده غدا : حدثني والدي أنشدني والدي . وتركه فضيحة وانصرف

كان لاسحاق غلام يستقي الماء لأهل داره على بغلين دائما يقال له فتح ، فرآه يوما حرجا ، فقال له اسحاق : أي شيء خبرك ؟ قال : خبري أن ليس في الدار أشقى منك ومني . قال : وكيف ذلك ؟ قال أنت تطعمهم الخبز وأنا أسقيهم الماء . فاستظرف ذلك منه وضحك وقال له : فما تشتهي ؟ قال تعتقني وتهب لي البغلين أستقي عليهما . قال : قد فعلت

قال اسحاق : نهاني الرشيد أن أغني أحدا غيره ، ثم استوهبني جعفر بن يحيي وسأله أن يأذن لي في أن أغنيه ، ففعل . واتفقنا يوما عند جعفر — وعنده أخوه الفضل ، والرشيد يومئذ عقيب علة قد عوفي منها وليس يشرب — فقال لي الفضل : انصرف الي الليلة حتى أهب لك مائة ألف درهم . فقلت له : ان الرشيد نهاني أن أغني إلا له ولأخيك ، وليس يخفى عنه خبري ، وأنا متهم بالميل اليكم ، ولست أتعرض له ولا اعرضك . فلما نكبهم الرشيد قال : إيه يا اسحاق ، تركتني بالرقة وجلست ببغداد تغني الفضل بن يحيي . فحلفت بحياته أنني ما جالسته قط الا على الحديث والمذاكرة ، وأنهما سمعني قط الا عند أخيه . وحلّفته بتربة المهدي أن يسأل عن هذا في دارهم من نسائهم . فسأل عنه فحدّث بمثل ماذكرته ، وعرف خبر المائة ألف درهم التي بذلها لي ورددتها . فلما دخلت اليه ضحك الي ثم قال : سألت عن أمرك فعرفته مثلما عرّفتني ، وقد أمرت لك بمائة ألف درهم عوضاً عما بذله لك الفضل

قال اسحاق : انشدت الفضل بن يحيي قول نصيب مولى المهدي فيهم :

عند الملوك منافع ومضرّة وأرى البرامك لاتضر وتنفع
ان كان شرٌّ كان غيرهم له أو كان خير فهو منهم أجمع
ان العروق اذا استثير بها الثرى اشر النبات بها وطاب المزرع
فاذا جهلتَ من أمرىء أعراقه وقديمه فانظر الى مايصنع

فقال كأنا والله لم نسمع بهذا الشعر قط ، وقد كنا وصلناه بثلاثين ألف

درهم ، وأنا أجد ذلك له ، وأجد لك الصلة الساعة لحفظك الابيات . وأمر لي بثلاثين ألف درهم

عتب المأمون على اسحاق في شيء ، فكتب اليه رقعة وأوصلها اليه من يده ، فيها :

لاشيء أعظم من جرمي سوى أملي لحسن عفوك عن جرمي وعن زللي
وان يكن ذا وذا في القدر قد عظما فأنت أعظم من جرمي ومن أملي

فضحك ثم قال : يا إسحاق عذرك أعلى قدراً من جرمك ، ولا جال بفكري ولا خطر به بعد انقضائه

قال إسحاق : دخلت يوماً على المعتصم وعنده اسحاق بن ابراهيم بن مصعب فاستدناني في المجلس فدنوت ، ثم استدناني فتوقفت ، خوفاً من أن أكون موازيا لاسحاق بن ابراهيم في المجلس . ففطن المعتصم لذلك فقال : ان اسحاق كريم وانك لم تستنزل ما عند الكريم بمثل الكرامة . ثم تحدثنا فافضت بنا المذاكرة الى قول أبي خراش الهذلي :

حمدت الهي بعد عروة اذ نجا خراش وبعض الشر أهون من بعض

فأنشدها المعتصم الى آخرها وأنشد فيها :

ولم أدر من ألقى عليه رداءه على أنه قد سُل من ماجد محض

والرواية : قد بزّ عن ماجد ، فغلطت وأسأت الأدب وقلت : ياأمير المؤمنين هذه رواية المكتب وما أخذت عن المعلم ، والصحيح قد بزّ فقال لي : صدقت . وغمزني بعينه يحذرني من اسحاق . ففطنت لغلطي فأمسكت ، وعلمت أنه أشفق عليّ من اسحاق من بادرة تبدر منه ، لانه كان لايحتمل هذا الخطأ على الخلفاء من أحد حتى يعظم عقوبته ويطيل حبسه كائناً من كان ، فنبهني رحمه الله تعالى على ذلك حتى أمسكت

قال اسحاق قال الفضل بن يحيى لأبي : مالي لا أرى اسحاق ؟ عرفني خبره قال : خير . ورأى في كلامه شيئاً شككه فقال : أعليل هو ؟ قال : لا ولكنه جاء مرات فحجبه نافذ الخادم فلحقته جفوة . فقال له : ان حجبه بعدها فلينه ... ه فجاءني أبي وقال : القه فقد سألني عنك . وأخبرني بالصورة . فجئت فحجبت أيضاً . فخرج الفضل ليركب ، فدفعت اليه رقعة فيها :

جعلت فداك من كل سوء الى حسن رأيك أشكو أناسا
يحولون بيني وبين الكلا م فما ان أسلم الا اختلاسا
وأنفذت رأيك في نافذ فما زاده ذاك الا شماسا

فلما قرأها ضحك حتى غلب ، ثم قال : أو قد فعلتها يا فاسق ؟ فقلت لا والله ياسيدي ، وانما مزحت . فخجل نافذ خجلاً شديداً ولم يعد بعد ذلك الى إساءتي

قال اسحاق : ذكر المعتصم يوماً بعض أصحابه ـ وقد غاب عنه ـ فقال : تعالوا نقول مايصنع في هذا الوقت . فقال قوم : يلعب بالنرد . وقال قوم : يغني . فبلغت النوبة اليّ فقال قل يا أسحاق . قلت : اذاً أقول فاصيب قل : تعلم الغيب ؟ قلت : لا ولكني أعلم ما يصنع وأقدر على معرفته قال : فان لم تصب ؟ قلت : فان أصبت ؟ قول : لك حكمك ، وان لم تصب ؟ قلت : لك دمي . قال : وجب ، قل . قلت : يتنفس . قال : فان كان ميتاً ؟ قلت : تحفظ الساعة التي تكلمت فيها ، فان كان مات فيها أو قبلها فقد قمرتني . قال : قد أنصفت . قلت : فالحكم ؟ قال : احتكم ما شئت . قلت : ما حكمي إلا رضاك يا أمير المؤمنين قال : فان رضاي لك ، وقد أمرت لك بمائة ألف درهم ، أترى مزيداً ؟ فقلت : ما أولاك يا أمير المؤمنين ! قال فانها مائتا ألف درهم ، أترى مزيداً ! فقلت : ما أحوجني يا أمير المؤمنين الى ذلك ! قال : فانها ثلاثمائة ألف درهم ، أترى مزيداً ؟ قلت :

ما أولاك يا أمير المؤمنين ! قال : يا صفيق الوجه ماتريد على هذا ؟

قال اسحاق : عمل محمد المخلوع سفينة فأعجب بها ، وركب فيها يريد الانبار فلما أمعن وأنا مقبل على بعض أبواب السفينة صاحوا : إسحاق ، إسحاق ! فوثبت ، فدنوت منه . فقال لي كيف ترى سفينتي ؟ فقلت : حسنة يا أمير المؤمنين عمرها الله ببقائك . فقام يريد الخلاء وقال لي : قل فيها أبياتاً . فقلت . وخرج فقمت بالأبيات اليه ، فاستحسنها جداً ، وقال لي : أحسنت يااسحاق ، وحياتك لأهبن لك عشرة آلاف دينار . فقلت : متى يا أمير المؤمنين ، اذا وسع الله عليك وفتح لك ؟ فضحك ودعا بها على المكان

قال إسحاق : لم أر قط مثل جعفر بن يحيى كانت له فتوّة وظَرف وأدب وحسن غناء وضرب بالطبل ، وكان يأخذ باجزل حظ من كل فن من الأدب والفتوة . فحضرت باب أمير المؤمنين يوماً فقيل لي : انه نائم . فقال لي : قف مكانك . ومضى الى دار أمير المؤمنين ، فخرج اليه الحاجب فأعلمه أنه نائم . فرجع وقال : قد نام أمير المؤمنين ، فصر بنا الى المنزل حتى نخلو جميعاً بقية يومنا ، وتغنى وأغنيك ، ونأخذ في شأننا من وقتنا هذا . قلت : نعم . فصرنا الى منزله ، فطرحنا ثيابنا وطعمنا ، وأمر باخراج الجواري وقال : ابرزن ، فليس عندنا من نحتشمه . فلما وضع الشراب دعا بقميص حرير فلبسه ، ثم دعا بخلوق فتخلق به ، ودعا الي بمثل ذلك ، وجعل يغنيني وأغنيه . ثم دعا بالحاجب ، وتقدم اليه بان لايأذن لأحد من الناس كلهم ، وان جاء رسول أمير المؤمنين فليعلمه أني مشغول . وتقدم الى جميع الحجاب والخدم بمثل ذلك . ثم قال : ان جاء عبدالملك فأذنوا له ـ يعني رجلا كان يأنس به ويمازحه ويحضر خلواته . ثم أخذنا في شأننا ، فوالله انا على حال سارّة عجيبة إذ رفع الستر وإذا عبد الملك بن صالح الهاشمي قد أقبل ، وقد غلط الحاجب فلم يفرّق بينه وبين عبد الملك الذي عناه جعفر بن

يحيى . وكان عبد الملك بن صالح رجلا من جلالة القدر والتقشف والامتناع من منادمة الخلفاء على أمر عظيم، وكان الرشيد قد اجتهد به أن يشرب معه فلم يفعل، رفعاً لنفسه . فلما رأيناه مقبلا أقبل كل منا ينظر الى صاحبه، وكاد جعفر أن ينشق غيظاً . وفهم الرجل حالنا فأقبل نحونا حتى اذا صار الى الرواق الذي نحن فيه نزع قلنسوته فرمى بها مع طيلسانه جانباً ، ثم قال : أطعمونا شيئاً. فدعا له جعفر بالطعام وهو منتفخ غيظاً وغضبا ، فطعم . ثم دعا برطل فشربه ثم أقبل على المجلس الذي نحن فيه [فاخذ بعضادتي الباب ثم قال : أشركونا فيما أنتم فيه . فقال له جعفر : أدخل . ثم دعا بقميص حرير وخلوق فلبس وتخلق ، ثم دعا برطل ورطل حتى شرب عدة أرطال . ثم اندفع يغنينا فكان والله أحسننا جميعاً غناء [(1)]

فلما طابت نفس جعفر وسُري عنه ما كان به التفت اليه وقال له : ارفع حوائجك. فقال : ليس هذا موضع حوائج . قال : لتفعلن . وألح عليه حتى قال له : أمير المؤمنين عليّ واجد فأحب أن تترضاه . قال: فان أمير المؤمنين قد رضي عنك ، فهات حوائجك . قال : هذه كانت حاجتي . قال : ارفع حوائجك كما أقول لك قال : عليّ دَين قدره أربعة آلاف ألف درهم . قال : هذه أربعة آلاف ألف درهم ، فان أحببت أن تقبضها فاقبضها من منزلي الساعة ، فانه لم يمنعني اعطاؤك إياها إلا لأن قدرك يجل عن أن يصلك مثلي ، ولكني ضامن لها حتى تُحمل اليك من مال أمير المؤمنين غداً . فاسأل حوائجك أيضاً. قال : ابني تُنوّه بذكره وتكلم أمير المؤمنين في رفع اسمه وقدره . قال : قد ولاه أمير المؤمنين مصر ، وزوّجه ابنته العالية ، ومهرها عنه ألفي ألف درهم . قال اسحاق : فقلت في

(١) كان موضع الزيادة المحصورة بين هاتين العلامتين [ ] بياضا في المختصر . وأكملناه من الاغاني

نفسي « قد سكر الرجل » يعني جعفرا . فلما أصبحت لم يكن لي همة الا الحضور في دار الرشيد ، فاذا جعفر قد بكر ، ووجدت في الدار جلبة ، واذا أبو يوسف القاضي ونظراؤه قد دُعوا ودُعي بعبد الملك بن صالح وابنه فأدخلا على الرشيد فقال الرشيد لعبد الملك بن صالح : ان أمير المؤمنين كان واجدا عليك وقد أمر لك بأربعة آلاف ألف درهم فاقبضها من جعفر بن يحيى الساعة ثم دعا بابنه وقال اشهدوا علي أني زوجته العالية بنت أمير المؤمنين ، وأمهرتها عنه من مالي بألفي ألف درهم ووليته مصر . فلما خرج جعفر بن يحيى سألته عن الخبر ، فقال : بكرت الى أمير المؤمنين فحكيت له جميع ما كان منا وما كنا فيه حرفا حرفا ، ووصفت له دخول عبد الملك وما صنع ، فعجب من ذلك وسر به . ثم قلت له : قد ضمنت عنك يا أمير المؤمنين ضماناً . فقال : ماهو ؟ فاعلمته . فقال : نفي لك بضمانك . وأمر باحضاره فكان ما رأيت

قال اسحاق : غدوت يوماً وأنا ضجر من ملازمة دار الخليفة والخدمة فيها . فخرجت وركبت بكرة ، وعزمت على أن أطوف بالصحراء وأتفرج . وقلت لغلماني : ان جاء رسول الخليفة أو غيره فعرّفوه أني بكرت الى بعض مهماتي ، وأنكم لا تعرفون الى أين توجهت . ومضيت وطفت ما بدا لي ، ثم عدت وقد حمي النهار ، فوقفت في شارع الحزم (١) في فناء ثخين الظل وجناح رحب على الطريق لاستريح ، فلم ألبث أن جاء خادم يقود حماراً عليه جارية راكبة تحتها منديل ديبقي ، وعليها من الثياب الفاخرة مالا غاية بعده ، ورأيت لها قواماً حسنا وطرفا فاترا وشمائل حسنة ، فحسبت أنها مغنية ، فدخلت الدار التي كنت واقفا عليها . ثم لم ألبث أن أقبل رجلان شابان جميلان فاستأذنا فأذن لهما فنزلا فدخلا ، فدخلت معهما فظنا أن صاحب البيت دعاني وظن صاحب البيت أني معهما

(١) كذا في المختصر . وفي الاغاني « في الشارع المعروف بالمحرم »

فجلسنا ، وأتي بالطعام فأكلنا وبالشراب فوضع ، وخرجت الجارية وفي يدها عود فغنت وشربنا ، وقمت قومة فسأل صاحب المنزل عني من الرجلين فأخبراه بأنهما لا يعرفاني. فقالوا : هذا طفيلي ، ولكنه ظريف فأجملوا عشرته . وجئت فغنت الجارية في لحن لي في شعر ذي الرمة :

[ذكرتك أن مرت بنا أم شادن أمام المطايا تشرئبُّ وتسنح

من المؤلفات الرمل أدماء حرة شعاع الضحى فى متنها يتوضح

فأدته أداء صالحا ، وشربت ثم غنت أصواتا شتى ، وغنت في أضعافها من صنعتي والشعر لابن ياسين[1] :]

الطـــلول الدوارس فارقتهـــا الاوانس

أوحشت بعد أهلهـا فهي قفر بسابس

فكان أمرها فيه أصلح من الاول . ثم غنت أصواتا من القديم والحديث ، وغنت في أضعافها من صنعتي :

قل لمن صد عاتبا ونأى عنك جانبا

قد بلغت الذي أرد ت وان كنت لاعبا

فكان أصح ما غنت ، فاستعدته لاصححه لها ، فأقبل علي أحد الرجلين فقال : ما رأيت طفيليا أصفقَ وجها منك : لم ترض بالتطفيل حتى اقترحت ، وهذا غاية المثل « طفيليٌّ ويقترح » . فأطرقت ولم أجبه ، وجعل صاحبه يكفّه عني وهو لا ينكف . ثم قاموا الى الصلاة وتأخرت قليلا ، ثم أخذت العود وشددت طبقته وأصلحته اصلاحا محكما ثم عدت الى موضعي فصلّيت ، وعادوا وأخذ ذلك الرجل في عربدته عليّ وأنا صامت ، ثم أخذت الجارية العود فجسته فأنكرت حاله وقالت : مَنْ مسَّ عودي ! قالوا : ما مسّه أحد . قالت : بلى والله ، قد مسه حاذق متقدم ، وشد طبقته وأصلحه اصلاح متمكن من صناعته . فقلت لها : أنا أصلحته . فقالت : بالله عليك خذه فاضرب به . فأخذته

«١» الموضوع بين هاتين العلامتين [ ] كان بياضا فى المختصر ، واكملناه من الاغاني

وضربت به مبدءاً عجيبا ظريفا صعبا فيه نقرات محركة ، فما بقي منهم أحد إلا وثب وجلس بين يدي ، وقالوا : بالله ياسيدي أتغني ؟ فقلت : نعم ، وأعرفكم نفسي أنا اسحاق بن ابراهيم الموصلي ، ووالله اني لأتيه على الخليفة اذا طلبني ، وأنتم تسمعوني ما أكره منذ اليوم ، ووالله لانطقت بحرف ولا جلست معكم حتى تخرجوا هذا المعربد المقيت الغث . فقال له صاحبه : من هذا حذرت عليك. فأخذ يعتذر ، فقلت : والله لانطقت بحرف ولا جلست معكم حتى يخرج . قال : فأخذوا بيده وأخرجوه ، وعادوا . فبدأت فغنيت الأصوات التي غنتها الجارية من صنعتي . فقال لي الرجل : هل لك أن تقيم عندي شهرا ، والجارية والخادم والحمار لك مع ما عليهم . قلت : أفعل . فأقمت عنده ثلاثين يوما لايعرف أحد أين أنا ، والمأمون يطلبني في كل موضع فلا يعرف لي خبرا . فلما كان بعد الشهر سلم الي الجارية والخادم والحمار ، فجئت بذلك الى منزلي . وركبت الى المأمون من وقتي ، فلما رآني قال : يا اسحاق أين كنت ؟ فأخبرته خبري فقال : عليَّ بالرجل الساعة . فدللتهم عليه . فأحضره وسأله عن القصة فأخبره . فقال : أنت رجل ذو مروءة ، وسبيلك أن تعان على مروءتك . وأمر له بمائة الف درهم ، وقال له : لاتعاشر ذلك الرجل المعربد النذل . وأمر لي بخمسين الف درهم . وقال : أحضرني الجارية ، فأحضرته اياها ، فأعجبته وقال لي : قد جعلت للجارية نوبة في كل يوم ثلاثاء تغني من وراء الستارة مع الجواري ، وأمرت لها بخمسين الف درهم . فربحت بتلك الركبة وأربحت

قال اسحاق أخرج الى عبد الله بن طاهر بيتي شعر في ورقة وقال : هذان البيتان وجدتهما على بساط طبري اصبهبدي أهدي الى من طبرستان ، وأحب ان تغني فيهما ، وهما :

لجَّ بالعين واكفُ   من هوًى لايساعف
كلما كفَّ غرْبها   هيجتْها المعازف

فغنيت فيهما ، وغدوت بهما اليه ، فأعجب بالصوت ووصلني صلة سنية .

وكان يشتهيه ويقترحه ، وشاع خبر اعجابه به . فبينما المعتصم جالس يعرض عليه فرش الربيع اذ مر به بساط ديباج في نهاية الحسن عليه هذان البيتان ومعها هذان البيتان أيضاً :

أما الموت ان تفا رق من أنت آلف
لك حبّان في الفؤا د تليـد وطـارف

فأمر بالبساط فحمل الى عبد الله بن طاهر وقال للرسول قل له : إني عرفت شغفك بالغناء في هذا الشعر ، فلما وقع هذا البساط أحببت أن يتم سرورك به . فشكر عبد الله بن طاهر ما تأدّى اليه من هذه الرسالة ، وأعظم مقداره وقال : شغفي بتمام الشعر أحبُّ الي من كل شيء

قال اسحاق كان بيني وبين الحارث بن بُسْخُنَّر [1] مودَّة ، فتغير لي وحال عما عهدته ، فقلت :

تنكّر لي فيمن تنـكر حارث ورب أخ قد غيرته الحوادث
أحارث إن شوركت فيك فربما غنينـا وما بيني وبينك ثالث

***

وتوفيَ اسحاق في رمضان سنة خمس وثلاثين ومائتين أول خلافة المتوكل في بغداد ، وكان يسأل الله عزوجل أن لا يبتليه بالقولنج لما رأى من صعوبته على أبيه ، فأرى في منامه قائلا يقول له : قد أجيبت دعوتك ، ولست تموت بالقولنج ولـكنك تموت بضده . فأصابه ذرب وكان يتصدق في كل يوم يمكنه صيامه بمائة درهم ، ثم ضعف عن الصوم . ولم يطقه ومات

ولما نعي الى المتوكل غمه وحزن عليه وقال : ذهب صدر عظيم من جمال الملك وبهائه وزينته . ثم نعي اليه بعده أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين والله أعلم بما قال . ورثي بعده بقصائد طوال

(١) في المختصر « بسخر » وفي طبعة بولاق من الاغاني « بشخير » وصححناه من نسخة سعادة الاستاذ احمد تيمور باشا

فهرس

الجزء الاول ـ من مختار الاغاني

صفحة

صفحة

أمية بن أبي الصلت

صحيفة

ابراهيم الموصلي

صفحة

اسحاق بن ابراهيم الموصلي

[redacted]